الصُّوفِيَّةُ
فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّة

الطبعة الثانية

مَزيدَةٌ وَمنَقَّحَةٌ وَبإخْرَاجٍ جَدِيد

فوزي محمد أبو زيد

دار الإيمان والحياة



الكتاب	الصوفية فى القرآن والسنة
المؤلف	الأستاذ فوزى محمد أبوزيد
عدد الطبعات	طبعتان
الطبعة الثانية	غرة رمضان ١٤٢٩هـ، الأول من سبتمبر ٢٠٠٨م
الطبعة الأولى	١٥جمادى الأولى ١٤٢٦هـ، ٢١ يونيو ٢٠٠٥م
عدد الصفحات	٣٢٠ صفحة
المقاس	١٧ سم * ٢٤ سم
الورق	٨٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون ، أسود
الغلاف	كوشيه لميع ٣٠٠ جرام
طباعة الغلاف	٤ لون، سلوفان لميع
إشراف	دار الإيمان والحياة- ١١٤ش ١٠٥ -المعادى- القاهرة- جمهورية مصر العربية، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٢-٠٠٢٠
طباعة	دار نوبار للطباعة
رقم إيداع محلى	٢٠٠٨/١٦٩١٣
رقم إيداع دولى	ISBN: 977-17-6079-3

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنه من فضل الله علينا وتوفيقه؛ أنه لما صدرت الطبعة الأولى من كتابنا هذا "الصوفية فى القرآن والسنة"؛ تهافت عليه القراء، وألحت المكتبات ودور التوزيع فى طلبه من داخل مصر وخارجها وبخاصة من دول العالم الإسلامى، مما جعل طبعته الأولى تنفد بسرعة.

وتحت إلحاح السادة القراء والمكتبات ودور التوزيع؛ رأينا أن نعيد طباعته، على أن نزيد فيه القليل مما يكمل موضوعاته ولايخل بأساسه، كما أرتأينا أن نعيد تنسيق صفحاته حتى لا يكون حجمه أكبر من اللازم.

وقد وفقنا الله لذلك، فها هو الكتاب فى ثوبه القشيب بين يديك أيها القارىء العزيز، وهو كتاب فريد فى بابه، جديد فى تناوله لموضوعاته، قوىٌ فى أدلته التى يستند إليها من الكتاب والسنة، وذلك لينفح عن الصوفية الحقَّة من يعارضهم بدون دليل أو بأدلة واهية، كما يؤصل لقواعدهم فى التربية والسلوك، ومناهجهم فى التقرب إلى الله جلَّ فى علاه.

ولا ننسى أن نشير إلى أن بعض الأخوة الأفاضل المتخصصين قد ترجموه حسبة لوجه الله إلى اللغة الإنجليزية وجارى طبعه إنشاء الله.

فإذا أضفت أخى القارىء الكريم إلى هذا الكتاب كتبنا الأخرى التى تتحدث عن الصوفية فى مختلف جوانبهم ونماذجهم ومناهجهم وهى :

١. "كيف يحبك الله": صدر فى أبريل.
٢. "مراقى الصالحين": صدر فى يناير ٢٠٠٦.

٣. "رسالة الصالحين":صدر فى أكتوبر ٢٠٠٥.

٤. "علامات التوفيق لأهل التحقيق": أغسطس ٢٠٠٥.

٥. "المنهج الصوفى والحياة العصرية" ، طباعة نـــوفمبر ٢٠٠٦، وهو يتكون من جزئين معا فى نفس الكتاب : الجزء الأول: "ملامح المنهج الصوفى"، والجزء الثانى: "الشيخ المربِّى".

٦. "المجاهدة للصفاء والمشاهدة": طبع فبراير ٢٠٠٥.

٧. "طريق المحبوبين وأذواقهم": طباعة يناير ٢٠٠١.

٨. "أذكار الأبرار": مايو ٢٠٠٠، ثم صـــدرت لـــه طبعتـــان متتاليتان بالحجم الصغير.

٩. "طريق الصديقين إلى رضوان ربِّ العالمين": طباعـــة مـــارس ١٩٩٥، ونحن فى طريقنا لإعادة طباعته مرة ثانية إنشاء الله.

عندها ومع كتابنا هذا الذى بين يديك " الصوفية فى القرآن والسنة"؛ تصبح هذه الكتب العشرة بإذن الله تعالى وحسن معونته وتوفيقه؛ مرجعـــا كاملا متكاملا وافياً عن الصوفية الحقة، ينتفع بها من قرأها، ومـــن قرأهـــا وعمل بها، ومن استعان بها فى معرفة القوم وأحوالهم.

وحتى تكتمل هذه الموسوعة العلمية عن الصوفية الحقة؛ ألحقنـــا بهـــا أمثلة للشيوخ الصادقين والحكماء الربانيين من السلف الصالح والمعاصرين، مع التركيز على حرصهم رضى الله عنهم أجمعين على اتباع الشرع، ومتابعة رسول الله ﷺ، وجهادهم فى تربية الرجال، بعد تنقية هذه السير مما شابها من مغالاة المحبين أو انتقاص وانتقاد المغرضين.

وقد صدر لنا فى هذا المقام كتاب "الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى"

عام ١٩٩٢، وكتاب "الشيخ محمد على سلامة سـيرة وسـريرة" عـام ١٩٩٣، ثم كتاب " المربى الربانى السيد أحمد البـدوى " طبعـة فبرايـر ٢٠٠٧، وأخيراً وليس بآخر كتاب "شـيخ الإسـلام السـيد إبـراهيم الدسوقى" وقد صدر فى مايو ٢٠٠٨، وهو كتاب كادت طبعته تنفد فـور ظهورها فى الأسواق.

ولنا تحت الطبع إنشاء الله فى مجال التصوف ثلاثة كتب وهى: "حقائق التصوف النقى"، و "موازين الصادقين"، و"سياحة العارفين" ، بالإضافة إلى كتاب بالحجم الصغير من سلسلتنا "شفاء الصدور"، إسمه "الفتح العرفانى".

نسأل الله تعالى أن ينفع بها كل من قرأها أو سـاهم فى نـشرها، أو ساعد على قراءتها، والله المستعان و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليـه أنيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ليلة الاثنين ٢٤ شعبان ١٤٢٩هـ

الموافق ٢٥ أغسطس ٢٠٠٨م



البريد: الجميزة ـــ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٤٠-٥٣٤٠٥١٩، ٠٤٠ ، فاكس: ٠٤٠-٥٣٤٤٤٦٠

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com

fawzyabuzeid@yahoo.com

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مولى الفضل والجود والكرم، واهب الخير والبر والنعم، والصلاة والسلام على من به أجرى الله الكتابة في لوحه المحفوظ بالقلم، سيدنا محمد غرَّة جبين الدهر، وكوكب النور للعرب وللعجم، صلى الله عليه وعلى آله الذين أحيوا القلوب به من العدم، وأصحابه واتباعه الذين ساروا على هذا القدم، وبعد...

هناك حملات ضارية قديماً وحديثاً، ليس لها أساس من الدين ولا من العلم ولا من العقل السليم على الصوفية...

والإنسان العاقل يحكِّم عقله في القضايا، فالقضايا بمنطقها بمقدمات تـؤدي إلى نتائج، والإنسان صاحب الدين يتورع أن يفتي في أمر من قبل نفسه، أو مـــن قبـــل هواه.... لكنه يعرضه على شرع الله، وعلى كتاب الله، وعلى سنة رســـول الله ﷺ، ولا يقول إلا ما يوافق كتاب الله، وما يوافق سنة حبيب الله ومصطفاه.

والإنسان الدارس في أي معهد علمي؛ يطبِّق المناهج العلمية علـــى أي قـــضية علمية.ولو طبَّقنا المناهج العلمية؛ مثل: الملاحظة، والتجربـــة، والمـــشاهدة، وكيفيـــة البحث العلمي السديد؛ نجد أن الأوربيين الذين تفوقوا على العالم كلـــه في البحـــث العلمي يضعون قضية التصوف في مقدمة القضايا الثابتة علمياً، والتي يحتـــاج إليهـــا الناس أجمعون للخروج من المشكلات وللتوازن النفسي ولإصلاح النفوس وزيـــادة مناعة الأجسام، ولتصفية القلوب، ولإعـــلاء شأن المثل والقيم التي يتوقـــف عليهـــا سعادة المجتمعات.

أشياء كثيرة أثبتوها وسجَّلوها وموجودة عند كبريات الجامعات العالمية، لكن الأبواق الضالة التي تنعق على الصوفية – بدون حجة ولا دليل ولا برهـــان ولا أي منطق مقبول عقلاً أو مثبوت نقلاً – لا ترى ذلك ! فيجب علينا وينبغي علينا أن نرد

على مثل هذه الأمور.

وقد حاولنا – بحمد الله – في جلساتنا الشهرية، والتي تعقد بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي بالقاهرة؛ أن نضع الصوفية في موضعها الصحيح بـــأن نقعّد لها قواعدها الأصلية: .... من الآيات القرآنية، ومن الأحاديث النبوية، ومـــن الأحوال الزكية التي كان عليها محمدٌ رسول الله والذين معه.

والحمد لله وفقنا الله سبحانه وتعالى في هذا الأمر بمَنِّه وجوده ، وأخرجنا هـــذا الموضوع في كتابنا هذا، وسمَّيْناه :

"الصوفيَّة في القرآن والسنَّة".

وقد يسأل سائل: **وهل الصوفية موجودةٌ في القرآن والسنَّة ؟**

نقول: نعم، وقد أثبتنا ذلك في هذا الكتاب ابتغاء مرضاة الله، وإظهارا للحقيقة لوجه الله جلَّ في علاه، ولا نريد بذلك غير رضاه.

فعن طريق التصوف، يقول الإمام الغزالي :

" إن الطريـق إلى ذلـك إنمـا هــو: تقـديم المجاهـدة، أو محــو الصفات المذمومـة، وقطـع العلائـق كلهـا، والإقبـال بكنـه الهمـة علـى الله تعالى، ومهما حصل ذلك: كان الله هو المتولِّي لقلب عبده، المتكفِّل لـه بتنـويره بـأنوار العلـم.وإذا تـولَّى الله أمـر القلـب فاضـت عليـه الرحمـة، وأشـرق النـور في القلـب، وانـشرح الـصدر، وانكـشف لـه سـر الملكـوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمــور الإلهيــة.فلـيس علـى العبـد إلا الاسـتعداد، بالتـصفية المجـردة، وإحـضار الهمَّـة، مـع الإرادة الـصادقة، والـتعطش التـام، والترصُّـد بـدوام الانتظار، لما يفتحه الله سبحانه وتعالى من الرحمة ".

وعن هذا الطريق يقول ابن خلدون : " **وقد كان الصحابة ﷺ على مثل**

هذه المجاهدة، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ، لكنهم لم يقع لهم بها عناية. وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها، وتبعهم في ذلك أهل الطريقة، ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم، ومن تبع طريقتهم من بعدهم ".

هذا فيما يتعلق بالطريق، أما فيما يتعلق بالموضوع، والشعور، والأحوال؛ فإن الصوفية – على وجه العموم – نبَّهوا في صورٍ حاسمةٍ إلى وجوب التـــزام الـــشريعة، يقول الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه:

" من دعا إلى الله تعالى، بغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهـو بِدْعِيٌّ.". ويقول: **" إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس في الجماعة، فلا تعبأ به ".**

ومن أجمل كلماته في هذا: **" ما ثَمَّ كرامة أعظم من كرامـة الإيمان، ومتابـعة السنَّة.فمن أعطيهما؛ وجعل يشتاق إلى غيرهما: فهو عبدٌ مفترٍ كذَّاب، أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب.كمن أُكْرِمَ بشهود الملك على نعت الرضا؛ فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب، وخُلَع الرضا ".**

وكل الصوفية ينهجون هذا النهج، ومن هؤلاء مثلاً: أبو يزيـــد البـــسطامي، الذي يقول في قوة حاسمة، وفي نطق صادق : **" لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات، حتى يرتقي في الهواء !، فلا تغتروا به؛ حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة ".**

ولقد تحدث الإمام الجنيد رضي الله عنه – أكثر من مرة – فيمـــا يتعلـــق بالتـــصوف والشريعة، ومما قاله في ذلك :

" الطرق كلها مسدودةٌ على الخلق؛ إلا من اقتفى أثر الرسـول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته، ولزم طريقته "، وقال أيضاً : **"من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب**

الحديث، لا يُقْتَدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيَدٌ بأصول الكتاب والسنَّة ".

ولقد كان الإمام الغزالي في سلوكه وقوله وفي حياته كلها يلتــزم الــشريعة، ويقول: " **إن المحققين قالوا لو رأيت إنساناً يطير في الهواء!، ويمشي على الماء!، وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع، فاعلم أنه شيطان"**

والواقع أن المثل الأعلى للصوفية على بكرة أبيهم، إنما هـــو رســـول الله ﷺ، وهم يحاولون باستمرار أن ينهجوا نهجه، وأن يسيروا على منواله.فهو إمامهم الأسمى في كل ما يأتون، وما يدَعون، وهم يتابعونه مهتدين في ذلك بقوله تعالى [٢١ الأحزاب]:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

وقد قال د. عبد الحليم محمود في كتابه قضية التصوف"، ص ٤٨:

"إن الصوفية لهم طريقٌ روحيٌ يسيرون فيه.وهذا الطريق يعتمد أساساً ومنهجاً وغايةً على القرآن الكريم والسنَّة النبوية الشريفة،.وهذا الطريق قد جرَّبَه الصوفية؛ فثبتت ثماره عن طريق التجربة أيضا،.وجوهر الطريق الصوفي هو ما سمَّاه الصوفية المقامات والأحوال، والمقامات هي المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله؛ فيقف فيها فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى يهيئ الله له ﷻ سلوك الطريق إلى المنزل الثاني؛ لكي يتدرج في السمو الروحي من شريف إلى أشرف، ومن سام إلى أسمى، أما الأحوال؛ فإنها النسمات الروحية التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة، ثم تمرُّ تاركةً عطراً تتشوق الروح للعودة إلى تَنَسُّم أريجه".

وقد قام بتسجيل هذه المحاضرات على شرائط كاسيت؛ ثم تفريغها وكتابتها،

الأخوان الصادقان: أ. محسن عبد الحي، الموظف بالهيئة العامة للاتصالات بالقـاهرة، وأ. مصطفى عبد الموجود، المشرف العام بالمدينة الجامعية لجامعة الزقازيق، وقام بعـد ذلك بكتابتها على الكمبيوتر بعد مراجعتها أ. أحمد سعيد عبـد العـال _ المـدرس بالتربية والتعليم بالشرقية، وأخته أ. شيماء، مدرسة اللغة الفرنسية بالمعهـد الـديني بالزقازيق، وقام بترتيبها وتنسيقها ومراجعتها ابنتنا د. عبير فوزي أبو زيد.

أسأل الله ﷻ، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم طلباً لمرضاته سبحانه وتعالى جلَّ فى علاه، ونافعاً لمن قرأه.

﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [٨ التحريم]، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ليلة الاثنين،
الرابع عشر من ربيع الآخر ١٤٢٦هـ ،
الموافق للثانى والعشرين من مايو ٢٠٠٥م



تمهيد [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

اخوانى وأخواتى القراء الكرام بارك الله عز وجل فيكم أجمعين...

بعض إخواننا الصادقين في حبهم لله، المتأسين فى أحوالهم بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ يجدون فى النفس غضاضة عندما يسمعون كلمة "تصوَّف" أو "صوفى" ويقولون ما للتصوف وللإسلام ؟

ويظـــنون أن التصـــوف شئ غـــير الإســـلام.

ونحن وقبل أن نبحر معاً فى هذا الكتاب، فإننا ومن خلال هذا التمهيد المقتضب؛ نضع النقاط فوق الحروف فى سهولة ويسر، فلا علينا الآن من إسم "التصوف" — فسنعود إليه لاحقاً — ولنبحث عن حقيقة الصوفية، والمغرمين بأحوال الصوفية، والمنتسبين إلى السادة الصوفية، ماذا يريدون ؟ وهل لهم سند مباشر وصحيح وواضح فى دين الله ﷻ بلا لبس ولا مراء؟

فنقول وبالله التوفيق..:

إن دين الله ﷻ فصله الله جلَّ فى علاه، وأمر سبحانه أمين الوحى جبريل أن يتزل على الحبيب ﷺ وهو وسط أصحابه، وكان جبريل يسأل والحبيب يجيب، وبعد أن انتهى جبريل عليه السلام وانصرف، قال ﷺ أتعلمون من هذا ؟، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمور دينكم.

ومعظمنا يحفظ هذا الحديث، فهو حديث صحيح فى البخارى ومسلم وكل كتب الصحاح، والراوى له سيدنا عمر بن الخطاب ؓ ، ومع أننا نحفظ رواية الحديث، لكني سآتى بها هنا من أجل الوقفات التى نريدها فى حديث رسول الله.ﷺ، إستمعوا إلى سيدنا عمر بن الخطاب ؓ ، ماذا يقول :

---

[1] صحارى أسوان، يوم الأربــعاء ١٥ محرم ١٤٢٩هــ، ٢٠٠٨/١/٢٣م، بمنزل الحاج أحمد عبد الباسط.

{ بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب.شديد سواد الشعر.لا يرى عليه أثر السفر.ولا يعرفه منا أحد.حتى جلس إلى النبي ﷺ.فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه} – وهنا يعلمنا ﷺ أن طالب العلم عليه أن يظل ماشيا إلى أن يزاحم العالم بركبتيه،وذلك لأن الحبيب ﷺ رأى ثلاثة داخلين على مجلسه، فأخذ أحدهم يتخطى الرقاب حتى وصل إلى مكان خالٍ بجوار رسول الله فجلس، وأما الثانى فنظر فى المجلس فوجده غاصاً بالجالسين فاستحى وجلس فى مؤخرة المجلس، وأما الثالث فقد نظر إلى الحاضرين وتفرس وجوههم ثم مشى، فقال ﷺ :

{ ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه }[2]

إذن علينا أن نعمل فى مجالس العلم كما كان أصحابه ﷺ فقد كانوا يقولون كنا نزاحم العلماء فى مجالس العلم بالركب!، من أين تعلموا ذلك ؟ من جبريل، فأخذ يزاحم حتى زاحم الحبيب بركبتيه، ثم وضع يده على فخذيه، وبعض الأخوة الغير منتبهين ظنوا –وهذا لسوء الفهم– أن جبريل وضع يده على ركبتى النبى، لا! ولكن جبريل جلس كما نجلس فى التشهد وكانت ركبتيه فى ركبة النبى، وزيادة فى الأدب وضع يده على ركبتى نفسه وهى جلسة الأدب، ولذا فينبغى أن يجلس الجالس مع العلماء بالأدب الذى كان عليه الأمين جبريل مع السيد النبيل ﷺ.. وقال :

{{ يا محمد ! أخبرني عن الإسلام.فقال رسول الله ﷺ: " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ.وتقيم الصلاة.وتؤتي الزكاة.وتصوم رمضان.وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا " قال: صدقت.قال فعجبنا له.يسأله ويصدقه }}.

---

[2] أبو واقد الليثى ،الإمام البخارى فى الجامع الصحيح.

وهذا هو مقام الإسلام ... وهو أول مقام فى الدين.

وهل الدين إسلام فقط؟ أم هناك ما هو أعلى من الإسلام ؟

نعم! هناك مقام الإيمان،وهو أعلى من الإسلام، ولذلك عندما قالت الأَعْرَابُ آمَنَّا، قال حضرة الله: قـــل لهـــم لا ...

﴿ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَـٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾

وذلك لأن الإيمان أعلى ولم يصلوا إليه بعد،{ **قال فأخبرني عن الإيمان؟** }، فالإسلام أعمال الظواهر لهذه الجوارح، والإيمان أعمال القلب، ولذلك فإن أعمال القلب أعلى { **قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره " قال: صدقت.**}.

هل الدين إسلامٌ، ثم إيمانٌ وفقط!! أم هناك مقام أعلى ؟

نعم! هناك ما هو أعلى؟ ما هو ؟ ..... { **قال: فأخبرني عن الإحسان؟**} ، إذاً المقام الأعلى فى الدين هو مقام الإحسان ، وفى رواية { **قال ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه.فإن لم تكن تراه، فإنه يراك.**} .

وهذا مقام الإحسان وهو المقام الأعلى، ... فالمنتـــسبون للـــصالحين... والذين يمشون مع الصالحين... ويلازمون مجالس الصالحين • لماذا يفعلون ذلك ؟ .. لأنهم يريدون أن يصلوا إلى المقام الأعلى فى الدين وهو مقام الإحسان.

إذن فنحن عندما نقول الصالحين أو نقول الصوفية، فنحن نقـــول علـــى التمام ..طلاب مقام الإحسان..

أو الراغبون فى مقام الإحسان، أو العاشقون لمقام الإحسان، أو الـــذين يريدون أن يكونوا عند الله فى درجة الإحسان ... إذن هل درجة الإحسان هذه من الدين أم لا ؟ .... بل فى الدين.

وهل هذا المقام فرضٌ أم نفل ؟ إنه فرض! لأن الحديث قال فى النهاية :

{ هذا جبريل آتاكم يعلمكم أمور دينكم }

إذن فكل هذه الأمور من الدين، والإحسان فرضٌ من فروض الدين طالبنا به الرحمن ﷻ، وهو مقام يجمع الإسلام والإيمان، فالإسلام هو عمل الجسم والمظاهر والظواهر، والإيمان عمل القلب كما قلنا، أما الإحسان فهو عمل الظاهر والباطن.

ولو أن رجلا منا تعلم الكيفية الصحيحة للركوع والسجود والوقوف والجلوس للتشهد فى الصلاة، وجوَّد القرآن على يد عالم قارئ، وأتقن التلاوة، لكنه أدى هذه الحركات ونطق بهذه الكلمات وقلبه فى بيته! أو فى عمله! أو فى السوق!

هل تكون هذه الصلاة لها القبول عند حضرة الله؟ لا! مع أنه أتقن الوقوف والركوع والسجود و وجوَّد التلاوة! لكن القلب غافلٌ عن الله! أو مشغول عن الله! ولذلك عندما يثنى ربنا على المؤمنين فى أول سورة المؤمنون فماذا يقول؟

﴿ **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾** ﴾ الذين نجحوا وهم ﴿ **ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾** ﴾ وهل الخشوع عمل من أعمال الجسم ؟ أم من أعمال القلب ؟ من أعمال القلب! إذاً العبرة بعمل القلب : **{ أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم }** ، وإذا كان القلب خاشع، فهل يصح الخشوع والبدن غير خاضع لله! ؟ لا !

إذاً! فتمام العمل خضوع البدن والجوارح لله، وتمثلها بحركات الصلاة كما كان يؤديها حبيب الله ومصطفاه، مع خشوع القلب وحضوره بين يدى الله ﷻ، وهذا ما نسمِّيه الإحسان!، أى أحسن الركوع والسجود والتلاوة، وكذلك أحسن معهم الطهارة والخشوع والحضور لله ﷻ، وهذا ما يطلبه أهل مقام الإحسان، أو إن شئت قلت الصالحون أو الصوفية، وهم من قال لهم حضرة النبى ﷺ :

{ إن الله كتب الإحسان على كل شيء }[3]

[3] رواه شداد بن أوس، سنن أبي داوود ومسلم.

فأى شئ يعمله الإنسان يجب أن يحسنه، كيف ؟ .. إخواننا الغير منتبهين ظنوا أن الإحسان فى الأشياء الظاهرة وحسب!

كما قلت: الإحسان فى الحركات الظاهرة!، إذاً لا بد معها مــن حركــات القلوب لكى تنال المطلوب ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧ المائدة).

والتقوى عمل من أعمال القلوب،وأى عمل أعمله .. فإن درجــات العمــل وقبول العمل ومنزلتى فى العمل عند الله ﷻ تتوقف على نيتى فى العمل.

{ إنما الأعمال }[٤] .. هل هى حركات؟ لا! ولكن **{ بالنيّات }**، أين هــذه النيات؟ فى القلوب، **{ وإنما لكل امرئ }** .. هل ما عمل؟ لا! ولكن **{ ما نـوى }** فكلنا نصلى مع بعض .. لكن فى نهاية الصلاة، هل نكون كلنا فى الأجر سواء ؟ كلا، إذاً الاختلاف فى الأجر الأساس فيه ... القلب والنيَّة.

وقد رأى حضرة النبى ﷺ إثنان من الناس يصليان فقــال مامعنــاه أن المــرء ليصلى بصلاة أخيه وركوعهما واحد وسجودهما واحد وبينهما كما بــين الــسماء والأرض، ودعا للتصدق فجاء رجل بدرهمين وآخر أتى بألف درهم وثالــث أتــى بدرهم واحد فقال ﷺ مبينا تأثير النوايا فى قبول الأعمال ودرجاتها عند الله :

{ سبق درهم مائة ألف درهم فقال رجل وكيف ذاك يا رسول الله قال: رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها، ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به }[٥]

كيف ذلك؟ ... فى الظاهر يبدو أن الأكثر فى الأجر هــو صــاحب الألــف درهم!... لكن صاحب الدرهم فاز بالنية.

فالعمل لكى يقبله الله لا بد فيه من الإخلاص، والإخلاص فى القلب، وكذلك لا بد أن يكون فى العمل صدق، والصدق فى القلب، ولا بد أن يكــون فى العمــل

---

[٤] رواه عمر بن الخطاب ﷺ ، البخارى ومسلم وكثير غيرها.
[٥] رواه أبو هريرة ، الترغيب والترهيب.

خشية، والخشية فى القلب.

من هم العلماء الذين اجتباهم ربنا وأثنى عليهم؟

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ والكل يبلغ!، فهناك من يبلــغ على المنبر، وهناك من يبلغ فى التلفزيون والإذاعة، لكن من اللذين أثنى علــيهم الله ؟ زودهم بـــ ﴿ وَيَخْشَوْنَه ﴾ قال تعـالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (٣٩ الأحزاب)

إذن الموضوع ليس بالعلم، ولنفرض أن هناك من أعطاه الله الخشية وهو أمــيٌّ لا يقرأ ولا يكتب؛ فهو عند الله عالمٌ كبير، وآخر حفظ كــل العلــوم ولــسانه فى الفصاحة ينطق بكل اللغات والفهوم!!!!، ومع ذلك ليس عنده خشية لله ، مثل هذا قال فيه الله فى سورة الصف :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾

إذن التمييز بالخشية ... والخشية فى القلب، ومن أجل أن يصل الإنــسان إلى مقام الإحسان ؟ لا بد وأن يحسن العمل، ولكى يحسن العمل ويحوز به القبول، لا بد وأن ينظف القلب ويطهره لله، ويجعله أولاً طاهراً من ناحية خلق الله، ليس فيه غــلٌّ ولا غشٌّ ولا حقد ولا حسد لأحد من الخلق أجمعين.

كيف ذلك .. أولا من الكتاب فقد وصف الله المؤمنين فقال (٤٧ الحجر) :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾

وثانيا ، فى السنة المطهرة الكثير ، ونختر منها ... هذه القصة المعروفة .. ففــى جلسة مع حضرة النبى قال لأصحابه:

{ يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة وبعد أن جلس الرجل قليلاً

خرج، فقال صلى الله عليه وسلم قام عنكم الآن رجل من أهل الجنة، و كان هذا الرجل هو سيدنا عبدالله ابن سلام ﷺ }٦

وفى رواية أن هذا الأمر تكرر ثلاثة أيام متتالية على نفس المنوال، وفى كل مرة يطلع نفس الرجل وعلى نفس الحالة ..... والآن أعيرونى سمعكم وفهمكم !!

هذا الرجل سيدنا عبدالله بن سلام ، كان يهودياً واسلم ...، ولكن كان هناك فى وسط الحضور من الصحابة يوجد من؟ يوجد سيدنا عبدالله بن عمرو بن العاص، وكانت له قصة مشهورة فى العبادة ... لأنه كان يقوم الليل كله يقرا القرآن فى صلاته ويصوم الدهر كله، والحديث يروى عنه رضى الله عنهما ويقول:

{ كنت رجلا مجتهدا، فزوجني أبي، ثم زارني، فقال للمرأة: كيف تجدين بعلك؟ فقالت : نعم الرجل من رجل لا ينام ولا يفطر (تعنى أنه منشغل بالعبادة فلا يأتيها)، **قال: فوقع بي أبي** (أى لمرنى وعنفنى)، **ثم قال: زوجتك امرأة من المسلمين فعضلتها!** (أى ظلمتها)، ، **فلم أبال ما قال لي مما أجد من القوة والاجتهاد إلى أن بلغ ذلك رسول الله ﷺ** (فاستدعانى ﷺ وسألنى عن عبادتى وفعلى، فأخبرته)، **فقال ﷺ: لكني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، فنم وصل وأفطر ، وصم من كل شهر ثلاثة أيام، فقلت: يا رسول الله أنا أقوى من ذلك، قال: فصم صوم داود، صم يوما وأفطر يوما، قال أني أقوى من ذلك، قال لا أفضل من هذا، واقرأ القرآن في كل شهر قلت: يا رسول الله أنا أقوى من ذلك، قال: اقرأه في خمس عشرة، قلت: يارسول الله أنا أقوى من ذلك، قال حتى بلغ سبعاً أو ثلاثاً }٧**

فهذا الصحابى الذى شكاه أبوه لرسول الله من شدة عبادته !! هذا الرجل

---

[٦] الرواية هنا مأخوذة بالمعنى عن كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى ، وتوجد روايات عديدة للحديث لم تسم الرجل وقد وردت فى العديد من كتب السنة عن أنس بن مالك ﷺ.

[٧] رواه عبدالله بن عمرو بن العاص، المحدث: الألبانى، صحيح ابن خزيمة ، وفيه روايات أخرى .

عندما سمع حضرة النبى يقول عن سيدنا عبد الله ابن سلام أنه رجل من أهل الجنة قام ومشى خلفه حتى بيته، وعندما دخل البيت طرق عليه الباب، فلمـا فـتح الرجـل الباب، قال إنى تلاحيت مع أبى (هناك خلاف بينى وبين أبى) وتركت المترل، وأريـد ضيافتك إلى أن ينتهى الأمر، وكانت مدة الضيافة عندهم ثلاثة أيام.

وكان عبد الله ابن عمرو يريد أن يرى ماذا يفعل هذا الرجل لتستوجب لـه الجنة، فكانا يصليان مع رسول الله العشاء، ويعودان، فيجد أن الرجل ينام، فقال عبد الله فى نفسه قد يكون متعباً هذا اليوم، وقبيل الفجر قال الرجل هيا نصلى مع رسول الله، وفى الصباح أتى له بوجبة الإفطار، فقال عبد الله بن عمرو فى نفسه لعله متعبـاً هذا اليوم ولن يستطيع الصيام، وفى اليوم الثانى والثالث تكرر نفس الأمـر فكـان الرجل لا يزيد عن الفرائض !!! .. فقال ابن عمرو :

{ يا أخى سمعت رسول الله يقول فى شأنك عند دخول المسجد – يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة ويقول فى شأنك وأنت خارج كذلك قام عنكم الآن رجل من أهل الجنة ، وما رأيتك تزيد شيئاً عن الفرائض!، قال يا أخى والله ما أزيد شيئاً عما رأيت، وعندما وجد حيرته نظر إلى الأرض وقال غير أنى أبيت وليس فى قلبى شئ لأحد من المسلمين قال فبذلك } ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩ الشعراء)

وفى رواية أنس بن مالك فى الترغيب والترهيب : { فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله : هذه التي بلغت بك } وفى رواية أخرى { وهى

التى لا نطيق أو لا يطيق الناس }

إذن لا بد على الإنسان أن يطهر قلبه من ناحية الخلق، ويطهر قلبه للحق.

كيف ؟ بألا يكون فى قلبه شئ أعظم ولا أكبر ولا أعلى من حب الله ورسوله!!. لا المال! ولا الزوجة! ولا الوظيفة! ولا العيال! ... ويجب أن يكون كل ذلك فى الدرجة الأقل، والدرجة الأعلى التى يكون فيها حب الله ورسوله ﷺ.

وإذا نفذ الإنسان ذلك...ولا يتم له ذلك إلا بمصاحبة أهل ذلك، ولهذا يقول الله لنا فى هذا المقام أو فى ذلك الشأن فى (١١٩ التوبة):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

أى ابحثوا عن الصادقين ولازموهم!! من هم الصادقون ؟ فلنسأل الحبيب الأعظم والمصطفى الأكرم ﷺ قال:

{ خياركم من ذكركم بالله رؤيته، و زاد في عملكم منطقه، و رغبكم في الآخرة عمله }[٨]

أى الذى تذكر الله عندما تراه، زدنا يا رسول الله .. قال فى حديث آخر:

{ خير الأصحاب صاحب إذا ذكرت الله أعانك، و إذا نسيت ذكرك }[٩]

وهذا إخوانى القراء والقارئات الكرام هذا سر التآخى والتآلف بين الصالحين وبين المريدين وهو بلوغ مقام الإحسان، وهذا الأمر الأول الذى أريد أن أبينه لكم أجمعين فى هذا التمهيد الموجز.

والأمر الثانى هو فى بشريات مقام الإحسان ، فكيف ذلك؟ .. إذا بلغ الإنسان مقام الإحسان!، فإنه يجد علامات وبشريات حكاها الله فى كتاب الله :

---

[٨] الراوي عبدالله بن عمرو بن العاص و أبو سعيد الخدري و أبو ، المحدث الألباني
[٩] رواه الحسن البصري، المحدث الألباني

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (٦٤ يونس)

مـــن هذه البشريات فى قوله تعالى (٣٠ فصلت) :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ ما لهم يارب؟ قال :

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ هل تنزل عليهم الملائكة أم تـــنزل ؟ تـــنزل باستمرار وعندما تنزل الملائكة لا يروهم وحسب وانما هناك حوار بينهم ..

﴿ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

ونحن تحت إمرتكم: نحن أوليائكم فى أى مكان أولاً هنا أم هنـــاك ؟ هنـــا فى الدنيا أولاً ثم فى الآخرة وكان على ذلك أصحاب رسول الله ... والأمثلـــة فى هـــذا الباب يطول سردها .. فعلى سبيل المثال:

سيدنا عمران بن الحصين ﷺ مرض بالبواسير، وقالوا له لا بد من الكى بالنار وأصر أخوه على ذلك، قال يأخى أنى كنت حاضرا بين يدى رسول الله فقال لنا :

{ يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب،قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون }[١٠]

وأنا أريد أن أكون من هؤلاء ولا أكتوى بالنار، فقال أخوه أن الأطباء يقولون لا سبيل إلا ذلك، والحديث الآخر يقول :

{ الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار }[١١]

فلما اكتوى زاد ما به من مرض، فقال أخوه لقد حيرتنى!، قال أتـــدري مـــا الذى زاد من مرضى ؟ قال لا قال كانت الملائكة تأتى لزيارتى وتسلم علـــى فلمـــا اكتويت امتنعت الملائكة عن زيارتى فذالك الذى زادنى مرضا.[١٢]

---

[١٠] عن عمران بن حصين ، صحيح مسلم .

[١١] رواه عبد الله بن عباس ، البخارى الجامع الصحيح.

[١٢] { سمعت النبي ﷺ ينهى عن الكي، قال: فما زال البلاء بي حتى اكتويت، فما أفلحت ولا أنجحت، قال عمران: وكان

وكذلك تعلمون أن الصحابة فى بدر قـــد رأوا الملائكـــة وكانـــت الملائكـــة تشجعهم على القتال، قال تعالى فى آية ١٤ سورة التوبة:

﴿ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾

كم واحد من أصحاب رسول الله كان معه شهادة الليسانس أو البكالوريوس أو الدكتوراه أو حتى الثانوية أو الإعدادية أو الابتدائية ؟ لا أحـــد.. إذاً كيف ملأوا الأرض علماً؟ ومـــن أيـــن أتـــوا بكل هـــذه العلوم ؟

﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف)

هناك فصل للمتفوقين ... المخصوصين ... المجتبين عند رب العـــالمين، ومـــن الذى يعلمهم؟ .. هو حضرة العليم بذاته، ورسوم من يدخل هذا الفصل:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ (٢٨٢ البقرة)

من الذى يعلم هنا ؟ الله! فعندما أجد رجل آتاه الله علماً لم أقرأه فى كتاب ولم أسمعه من عالم يطابق شرع الله ولا يخرج عن سنة حبيب الله ومصطفاه وأجد أن هـــذا الرجل قد أكرمه الله بشئ من الفراسة النورانية وأصبح داخلاً فى قول خير البرية:

{ إِتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فِإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله } ١٣ وفى رواية زيادة :

{ وَيَنْطِقُ بِحِكْمَةِ الله }

فأعلم أن هذا الرجل أصبح له قدرا عند الله فى مقام الإحسان فماذا أفعـــل؟ أصحبه لكى أتعلم كيف أصل إلى ما وصل إليه، وصحبة الصالحين من أجـــل هـــذا الأمر لأن الله ﷻ عندما تكلم عن العمل وأنه لا يضيعه قال عز شأنه :

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴿٣٠﴾ ﴾ (الكهف)

يسلم علي، فلما اكتويت، فقدت ذلك ثم راجعه بعد ذلك السلام } عن عمران بن حصين، ابن عبدالبر فى الاستذكار.

[13] رواه الطبرانى عن أبى أمامة ﷺ.

واحسان العمل – مع القيام به على الوجه الشرعى الظاهر – لا يكون إلا:

- بإحسان النية.
- وبوجود الإخلاص فيه.
- وبوجود الصدق لله ﷻ فيه.
- ومراقبة الله ﷻ فى أوله وأثنائه وبعده.
- وأن يجعل هذا العمل بغية رضاء الله جل فى علاه.

وهذا ما جعل الناس تصحب الصالحين ...من أجل أن تتعلم منـــهم إحـــسان العمل، لأن الله جلَّ فى علاه قال فى المحسنين:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (النحل)

معهم بنصحه، معهم بلطفه، معهم بإكرامه، معهم بتأييده، معهم بإجابة الدعاء وتحقيق الرجاء، معهم بالفرج القريب، معهم بتحقيق المأمول، معهم فى كل شأن وفى كل حال، معهم فى الدنيا، معهم فى البرزخ، ومعهم فى الآخرة، ومعهم فى الجنة، لأنهم فى معية الله التى لا تغيب ولا تنقطع عن قريب أو حبيب طرفة عين أو أقل .. وهـــذه هى معية المحسنين الذين نريد أن نكون منهم، وهذا كما قلنا سر صحبة الصالحين أو المتقين لإى كل وقت وحين ...

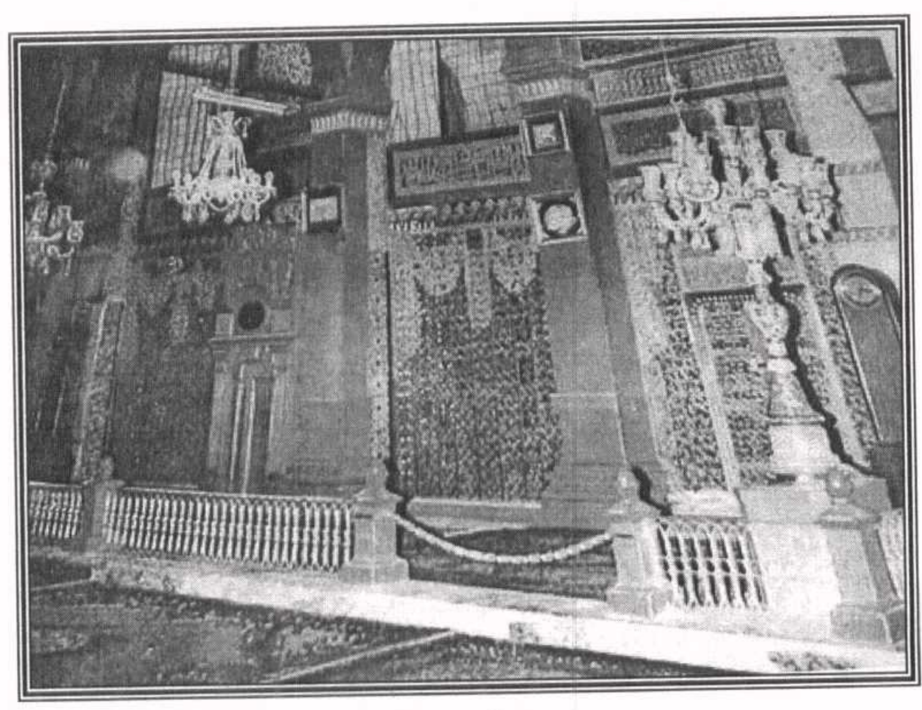
وإن شئت قلت هذا سر صحبة الصوفية أو أهل الإحسان ..فهذه التسميات ليست هى المربط، فإذا أسماها الناس بعد ذلك صوفية أو تـــصوف، فلابـــأس .. لأن أساسهم فى دين الله، ونحن نصحبهم لنتعلم منهم إحسان العمل الذى ظهرت علـــيهم بشرياته، ونتعلم منهم كيفية العمل الذى يبلّغ الأمل لتكون لنا درجـــات فى منـــازل الإحسان، ونكون مع النبى العدنان فى منازل الرضوان.

ونكتفى بهذا التمهيد القليل، والمؤمن يكفيه قليل الحكمة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

البَابُ الأَوَّل

الصُّوفيَّةُ في الإسْلام

- حقيقة الصوفية
- أول صوفي متحقق
- تأهيل الأصفياء للعطاء
- جامعـــة أهل الصفَّـــــة
- الزهـــد
- أصول التصوَّف
- من أحوال الصادقين
- جهــــاد العارفين للهـــوى
- وراثة النبـــوَّة
- إشراقات علم الآيات
- التكنولوجيا الربانيــــة
- حقيقة التكنولوجيا الماديــة
- رجـــال الله
- تكنولوجيـــــا الإلهام
- ظهور المدارس الصوفيَّـــــة.



أساس موقع عريش أهل الصُّفَّة خلف الحجرة النبوية المشـــرفة
على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليمات

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمد لله على واسع نعماه، والصلاة والسلام على حبيب القلـــوب وعلى آله الذين استناروا بهداه، وأصحابه الذين تأسوا به في كل أنفاسهم في هذه الحياة، وكل من عشق كمالاته، ومال بكله إلى شمائلـــه وصـــفاته، وعلينا معهم أجمعين، واجعلنا يا ربنا من العاشقين لجمال الروح والجـــسم والقلب... لسيد الأولين والآخرين.

إخواني وأحبابي القراء الكرام بارك الله ﷻ فيكم أجمعين، كثر في هذا الوقت الحديث عن التصوف والصوفية، وظهر في الأفق كثير من المعترضين والذين ينظرون إلى مُدَّعى التصوف – الذين انشغلوا بالظواهر والمظـــاهر؛ ولم ينشغلوا بنور الله ﷻ الواضح والباهر– وظنوا أن هؤلاء هم الـــصوفية !!.واعترض كثيرون أيضا على الصوفية؛ بحجة أنه لا يوجد لهم أصـــل في الشريعة الإسلامية والملة الحنيفية.

ونريد أن نجلِّى هذا الأمر، بوضوح، وببيان من القرآن وبسنة الـــنبي العدنان، ومن الحياة العملية التي ربَّى عليها النبي المصطفى أصحابه في مكة والمدينة... في بدء دعوته وفى أول رسالته.

حقيقة الصوفية

والصوفية يا إخواني تعنى باختصار شديد؛ العمل بما علمه الإنسان من دين الرحمن ﷻ: .. أي الترجمة السلوكية والحياة العملية للآيات القرآنيـــة، والتوجيهات النبوية.

---

[1] كانت هذه الأمسية الربانية بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى بالقاهرة مساء الخميس ٢٩ من المحرم ١٤٢٦هـ الموافق ١٠ من مارس ٢٠٠٥ م.

فآيات القرآن تدعو أهل القرآن إلى مقامات عليـة، وإلى أحـوال مرضية رغّبت فيها الآيات القرآنيـة، والـصوفية عاشـوا هـذه الحيـاة بأجسادهم، ونفوسهم، وقلوبهم، وأرواحهم؛ حتى يجدوا لـذة الوصـال، ويبلغوا مقامات الكمال، التي وضحها الله ﷻ في قرآنه للرجال، فليـست الصوفية: سفسطة، ولا فلسفة، ولا نظريات، ولا أقوال، وإنما هي:

- سلوك ،وأفعال، وأحوال.
- بعده ينظر الله ﷻ إلى العبد؛ فيمنحه من عنده من معين فضله، أو من نور وصله، أو من ينابيع حكمه: ألوانا من الإتحافات الإلهية، والعطاءات الربانية؛ لا يستطيع أحد من الأولين والآخرين حصرها، وكلها من فـضل الله.،قال تبارك وتعالى فى محكم الذكر [(١٨)سورة النحل].:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

أول صوفى متحقق

وأساس الصوفية هو ما فعله سيدنا رسول الله ﷺ بذاته، عندما كـان يخرج كل عام في شهر رمضان ليختلي بغار حراء، وتجهز له زوجته الصفية التقية النقية السيدة خديجة رضى الله عنها: زاداً يكفيه الشهر.

وكان يختلي في هذا الغار مع الله، تارة يتفكر، وتارة يتدبر، وتـارة يذكر الله، وتارة يتعبَّد على الملة الحنيفية – ملة إبراهيم عليه السلام – حتى قال أهل مكة في شخصه ﷺ– قبل نزول الرسالة– لقد عشق محمدٌ ربـه، وذلك من شدة شغله بالله ولذلك أكرمه الله ﷻ بعد ذلك بالصفاء والنقاء،

فقال ﷺ عن هذه الفترة:

أنه كانت الأحجار والأشجار والجبال تناديني باسمي وتقول يامحمـــد يامحمد، وورد فى ذلك الكثير من الأحاديث والروايات منها قوله ﷺ:

{ إن بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت إني لأعرفه الآن } [2]

وهذا كان قبل نزول الوحي.

فكل من صفت روحانيته، واستنارت بشريته؛ كان ما فيه من الحقائق الراقية تخاطب وتسمع خطاب الحقائق ، قال تعالى فى [٤٤ الإسراء]:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

فمن صفا يسمع، ويفقه هذا التسبيح، ويسمع هذا الكلام، وإن كان بغير لسان ولا صوت ولا لهاة ولا شفتين، لكن الله ﷻ إذا أراد فهو فعال لما يريد وهذا هو أساس التصوف.

وبعد نزول الوحي على حضرته ﷺ استمر على حالته فكـــان يقوم الليل حتى تتورم قدماه؛ شكرا لله على عطاياه.وكان يصوم حتى يقولـــوا لا يفطر، وهو صيام الوصال.وكان كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: يذكر الله على كل حال حتى وصل إلى حال قال فيه :

{ تنام عيني وقلبي لا ينام } [3]

فكان لا يغفل عن ذكر مولاه، حتى وهو في حالة المنام، لماذا؟ .. لأنه استلذ طاعة الله ﷻ، ولم يضيِّع نفسا في غير ذكر مولاه ...، وكان وقته كله وحاله كله مع مولاه:

---

[2] حدث به ابن عدى، عن جابر بن سمرة

[3] عن عائشة ﷺ فى الجامع الصحيح للبخارى، وعن أبي هريرة فى الصحيح المسند للوادعى، وفى مسند أحمد.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ ﴾[١٦٢ الأنعام].

فكان قوله عبادة، وفعله عبادة، وأكله عبادة، وشربه عبادة، ونومـــه عبادة، حتى إتيانه لشهوته كان عبادة، وكل أفعاله حتى مزاحه كان عبادة:

{ إني لأمزح ولا أقول إلا حقا }[٤].

فترجم حياته كلها إلى عبادة لله ﷻ، ولما قال الله ﷻ له، قل :

﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام]

استبق أحبابه وأصحابه في اتخاذ هذا النهج في حياهم.

فأسس النبي ﷺ أول مدرسة في التصوف السلوكي والعملـــي في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكانت قريبة من الصفا الآن، وكان يجتمع فيها مـــع أحبابه الثلة المباركة ... وكانوا لا يتجاوزون الأربعين:

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الواقعة]

وبدأ معهم ﷺ في هذه المدرسة الحياة الصوفية الرفيعة ..... .

ومعنى الصوفية أي نشر الصفاء... لا نريد أن ندخل في هـــذا الاسم من أين جاء ؟ ولا أقوال الفلاسفة والحكماء ؟ لكن ندخل مباشـــرة على الصفاء: لأنه أساس الصوفية، فالصوفية كل همهـــم الـــصفاء، وبعـــد الصفاء يواجههم الله ﷻ بخالص المنح والعطاء.

متى يصلح الإنسان للعطاء ؟ إذا وصل وأشرف بنفسه وقلبه علـــى مقام الصفاء؛ يأتيه الهناء من الله ﷻ بالمنح والعطايا الإلهية؛ التي لا نـــستطيع أن نعدها حتى عدّاً؛ لأنها من الله ﷻ.

---

[٤] رواه الطبراني عن ابن عمر والخطيب عن أنس.

فمكث مع أصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ يؤهلهم لهذه المنح، ويجهزهم لهذه العطاءات؛ لأن عطاءات الله ﷻ الخاصة بعباده المؤمنين، تهبط على القلوب، وتتزل على الأرواح....أما العطاءات والمنح والخيرات الـــتي تتمتع بها الأجسام، والنفوس، والأشباح؛ فــإن أمرهـــا مبـــاح للكـــافر والنافر،فالكل يتمتع بالخيرات الحسية، والمباهج الدنيوية، والمظاهر الظاهرة الأرضية، وربما يكون للكافر حظا أوفر من المؤمن فيها؛ لأن الله ﷻ يــربى عبده المؤمن، ويقول في ذلك سيد الأولين وإمام الموحدين ﷺ:

{ إن الله ﷻ يحمى عبده المؤمن من الدنيا كما يحمى أحدكم مريضه من الشراب والطعام }[5].

فالمريض إذا كان هناك طعام أو شراب يزيد الـــداء عنـــده، فإننـــا جميـــعا نتلطف معه حتى لا يتناوله أملا في الشفاء.والله ﷻ علم بعلمـــه المكنون أن الدنيا هي الداء الذي يصيب النفوس، فيحجبها عن مقامـــات الصالحين والأولياء؛ فيحمى المؤمنين من الدنيا لأنه يريد أن يكـــرمهم وأن يعطيهم وأن يمنحهم.

تأهيل الأصفياء للعطاء

فأخذ النبي ﷺ معهم دورة تجهيزية للعطاءات الإلهية، وكانت هـــذه الدورة تشتمل على :... تنقية النفوس ،... وطهارة القلوب.

تنقية النفوس من الرذائل، والصفات التي تحرم الإنسان من الأنـــوار

[5] مسند احمد بن حنبل عن محمود بن لبيد.

وتمنعه من فضل المنعم العزيز الغفار: كالحقد، والحسد، والبغض، والكـــره، والطمع، والأثرة، والأنانية، والشح، وغيرها من الصفات التي بينتها الآيات القرآنية، ووضحتها الحضرة النبوية، وركز عليها في دورته التأهيلية...خير البرية ﷺ......وعنوان هذه الدورة من قوله تعالى ف [(٤٧) الحجر]:

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾

ثم بعد ذلك القسم الثاني في الدورة:

دورة التأهيل التي قام بهـــا البـــدر المـــشرق المـــنير ﷺ.تأهيـــل القلوب.وذلك بتنقيتها من أمراض القلوب، وأعظمها وأخطرهـــا مـــرض الكبر!؛ لأنه يمنع الإنسان من أي فضل يترل من حضرة الرحمن ﷻ:

{{ مكتوب على باب الجنة:

لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر }}[٦]

وغيرها من الأمراض التي أشارت إليها الآية التي وردت في شأنها :

﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [٦٠ الأحزاب]

وهى الموسومة بصفات النفاق، فلا بد للإنسان أن يتطهَّر من أوصاف النفاق، وأحوال المنافقين؛ ليكون من عباد الله الصالحين... [(١١٩)التوبة].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾

أي لتكونوا صدِّيقين.وهذه الدورة اسمها: دورة تزكية النفوس، أي: طهرة النفوس، وتصفية القلوب.

من الذي حضرها؟ :

---

[٦] رواه عبدالله بن مسعود، إبن خزيمة فى التوحيد ومسلم فى مسند الصحيح.

أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيـــد الله، ومصعب بن عمير، وحمزة بن عبد المطلب، وغيرهم من الوجوه النيرة، التي حملت على أكتافها لواء تبليغ دعوة الله ﷻ؛ رغبة في رضاه، لا يرجون من وراء جدهم وجهادهم مناصباً، ولا مكاسباً فانية، وإنما يرجون مناصباً راقية ومكاسباً باقية عند حضرة الباقي ﷻ [الآية (٢٨) سورة الكهف]:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾

لا يريدون إلا وجه الله جلَّ في علاه، حتى أنهم وصلوا إلى درجـــة لم يعد لغير الله في قلوبهم نصيب ولو كانوا الآباء، والأمهـــات، والأخـــوات؛ لأنهم لا يعرفون إلا الله، ولا يحيدون عن منهج الله طرفة عين ولا أقل.

انظر إلى الإمام عمر بن الخطاب بعد موقعة بدر:

قال للحبيب ﷺ: يا رسول الله، أعطني فلانا – قريبا له– وأعطِ أبـــا بكر فلانا – قريبا له–، وذكر أصحاب رسول الله ﷺ من علّية المهـــاجرين وأقربائهم، وقال: أعطهم لنا، لنقتلهم بأيدينا، حتى يعلم الله ﷻ أن قلوبنـــا ليس فيها هوادة لسواه.

ولن تقوم قائمة يا إخواني للإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان؛ إلا إذا وُجدَ رجالٌ من هذا الطراز؛ لا يحابي الرجل منهم أحدا – حتى ولو كان ابنه أو ابنته – لأنه يرجوا رضا الواحد الأحد. لا يجامل الناس بكلام، ولا يرائي الخلق، وإنما إذا قال فعل.

هؤلاء هم الرجال الذين قيل فيهم القائل :

"إن لله رجالا إذا قالوا فعلوا"

وقد دربهم ﷺ على ذلك، وأهّلهم لذلك.حتى كان الرجل منـــهم لا ينطق بكلمة واحدة إلا إذا قدّرها، ودبّرها، ودوّرهـــا في آفـــاق فكـــره، وعرضها على نور قلبه، ثم عرضها على شرع ربه :.فإذا وافقت كل ذلك أخرجها!، وإلا كتمها ولم يخرجها !.

ومن ضمن جلسات هذا البرنامج المبارك:

جلسات غريبة وعجيبة في نظر كثير منا؛ فمجالس ذكر الله، ومجالس العلم، ومجالس قراءة القرآن مجالس متعارف عليها...ولكن مـــا يـــستدعى العجب :......... مجالس الصمت ......:وهى التي قال فيها سيدنا أبـــو بكر رضى الله عنه وأرضاه :

{ كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام }.

أي كان هناك حلقة يتعلمون فيها الصمت؛ حتى لا ينطق أحدهم إلا بما يستطيع فعله،وهذا هو حال المؤمن.

فالنذر فرض ومن الذي فرضه على الإنسان ؟ الإنسان نفـــسه..وإذا نذر، ولم يفِ :... حاسبه على ذلك الله،...لماذا ؟ ليتعود على أنه إذا قـــال فعل، وإذا وعد فلا بد أن يفِ، هل هناك أحد يرغم الإنسان على النـــذر؟ كلا !..لكن عندما ينذر لا بد أن يفِ بنذره.

وكذلك الزواج كلمة!، والطلاق كلمة!.فالكلمة لها وزنها عند رجال الله، ودرّبهم على ذلك سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك كانت شهادة التخرج التى حصلوا عليها :

{ علماء حكماء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء }[٧]

[٧] ابونعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحارث

من الذي أعطاهم هذه الشهادة؟ صاحب الحسنى والزيادة ﷺ، قال تعالى فى الآية ٢٤ سورة الحج :

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾

وتفصيل ذكر أحوال هؤلاء الرجال يطول بنا لكن حسبنا أن نبين أن أول مدرسة في الصفاء والنقاء والتصوف كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة المكرمة وكان عنوانها:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ ﴾ [الأعلى]

لقد وصلوا إلى حالة من المعرفة. حتى أن الرجل منهم ﷺ ، وعلـــى سبيل المثال:

- سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ.:

اتخذ له حجرة في بيته يقرأ فيها القرآن، فكان العبيد والنساء والصبيان والرجال يحيطون بمترله ليستمعون إلى تلاوته للقـــرآن، ولا يستطيع أحد من ذويهم أن يأخذهم بالقوة، لأهُم مأخوذون بـــتلاوة أبي بكر في القرآن....حتى حدثت ثورة في مكة !!، وذهب أكابرها إليه يطالبونه بالخروج منها!، أو يقرأ القرآن سرا، ولا يرفع به صوتهز

- وكذلك مصعب بن عمير ﷺ :

عندما دخل المدينـــة! بم فـــتح قلـــوب أهلـــها؟ بـــتلاوة القرآن.....لقد كان عندما يقرأ القرآن يعتصر قلبه؛ فيشد النفوس، ويجذب القلوب إلى هذا الكلام....حتى كـــان يُـــسَمَّى في المدينـــة: المقرئ، لأنه يقرأ القرآن .. وأى قراءة..!!.

فكانت وسيلة دعوته هو وإخوانه هي قراءة القرآن، لكنها

من قلوب انفعلت بالقرآن !، وعظّمت القرآن !، فــأثرت فــيمن يستمع إلى تلاوها، لأهم تربوا على هدى النبي العدنان ﷺ.

جامعة أهل الصفة

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، زاد هذا الخير.

فتأسست جامعة الصفة:

وكان مسجد حضرة النبي ﷺ، ليس به سقف، بل كان جدار يحيط به من الخارج، وكانوا يصلون على الأرض..لأنــه لم يكــن بــه فــرش، وأجسادهم معرضة للسماء، والأسقف عارية، فهم الذين وظفهــم الله في اقتباس الهدى من حبيبه ومصطفاه ﷺ، ليقوموا بعد ذلك بنشره في ربــوع الأرض بين عباد الله.

جعلهم الله ﷻ تتفرغ قلوبهم من الدنيا، والشواغل الكونية، وذهبوا إلى الحبيب ﷺ لا همَّ لهم إلا الإقبال على حضرته.

لم يكن لأغلبهم زوجات، ولا أولاد، ولا مساكن في هــذا الوقــت، فكانوا يجالسونه آناء الليل !وأطراف النهار! ...فإذا أرادوا أن يناموا أمرهم الحبيب ﷺ أن يناموا في المسجد: فصنع لهم الأنصار " صفة " يعنى عريــشا، على جزء من المسجد ينامون تحته، ليقيهم هذا العريش من حرارة الشمس في الصيف، ومن المطر الخفيف في الشتاء، أما المطر الغزير فكان لا يقــيهم منه بل كان يترل عليهم.

هؤلاء القوم كان منهم بلال بن رباح، وسلمان الفارسى، وأبوهريرة، وصهيب الرومى، وأنس بن مالك، وغيرهم كثيرون، فكانوا حوالى تسعين

رجلا، تفرغوا تفرغا كاملا لله ورسوله.

وإياك أن تظن أنهم تفرغوا لقلة الشيء، أو الفقر !!!

ولكنها إرادة الله: فقد فرَّغهم الله، وكأنه أخذهم في بعثة رسمية إلهية – بإقامة كاملة – لنقل علوم خير البرية، وهى الموجودة الآن في أنحاء العالم كله ... والرسول ﷺ حضهم على ذلك، وحثهم على ذلك، وقال لهم في ذلك..فيما روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

{ وقف رسول الله ﷺ على أصحاب الصُفة فرأى فقرهم وجهدهم، وطيب قلوبهم، فقال: ابشروا يا أصحاب الصفة، فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه، راضيا بما فيه فإنه من رفاقي في الجنة }[8]

وهذا الذي جعل التابعين، وتابعى التابعين والصالحين، يتأسون بأعمال هؤلاء القوم !!..لأنهم يريدون مرافقة سيدنا رسول الله ﷺ.

الزهـــد

وكان أول ما بدأت به الجامعة المحمدية:

الزهد في المتع،والشهوات، والحظوظ، والملذات، والأموال، والدنيا، رغبة في رضاء الله جلّ في علاه، فالذي وضع المنهج؛ عميد الجامعة ﷺ، فقد ورد أن رسول الله ﷺ جاء إلى أهل الصفة فقال :

{ كيف أصبحتم؟...، قالوا : بخير ، فقال رسول الله: أنتم اليوم بخير أم يوم يغدى على أحدكم بجفنة ويراح بأخرى ويغدو في حلة ويروح في

---

[8] الكافي الشاف عن ابن عباس رضي الله عنه

أخرى وتسترون بيوتكم كما تستر الكعبة..!!، فقالوا يا رسول الله..نصيب ذلك ونحن على ديننا؟ قال : نعم.. قالوا: فنحن يومئذ خيرٌ، نتصدق ونعتق، فقال رسول الله ﷺ: لا، بل أنتم اليوم خيرٌ } [9] **وفي رواية أخرى: { إنكم إذا أصبتموها؛ تحاسدتم، وتقاطعتم، وتباغضتم }**

فقد صدق ﷺ، لأن البغضاء والحسد، سببه الشهوات، والحظـوظ، والدنيا الدنيَّة التي شغل بها الناس بالكلية.

فبدءوا حياتهم الإيمانية؛ وكان أساس اجتماعهم ودخولهم إلى هــذه الجامعة النبوية: الزهد، والزهد ليس معناه ألا يكون في يد الإنسان شــئٌ، لكن حقيقة الزهد ألا يسكن قلبُ الإنسان لشيء.

فقد يكون الإنسان ليس في يده شئٌ من الدنيا، لكن قلبه يتطلع إليها ! ،وهذا ليس بزاهد !.لأنها لو وجدت له لتغير حالُه.لكن الزاهد الحقيقي؛ هو الذي أعطاه الله الدنيا في يده، ولم يجعل لها تأثيرا على قلبه، فيصرفها في مرضاة ربه ﷻ.كما وجدنا من أصحاب رسول الله ﷺ:

{ ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟ .. فقال: أبقيت لهم الله ورسوله } [10]

فلم ينكر عليه، ولم يعترض عليه، ولكن أقرَّه على ذلك.لأن حالــه يستوجب ذلك، لكن غيره قال:

{ أنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة، أفاتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت: بالشطر؟ فقال: لا . ثم قال: الثلث والثلث كبير، أو كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء ، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس } [11]

---

[9] أخرجه الزيلعي عن الحسن في تخريج الكشاف

[10] عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أخرجه ابن حزم فى المحلى.

[11] عن سعد ابن أبي وقاص رضى الله عنه، أخرجه البخارى فى الجامع الصحيح

ويتبين لنا من ذلك تفاوت القدرات، واختلاف الوجهات، وتبـاين المقامات والدرجات......

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [سورة الصافات].

ماذا كان جدول أهل الصفة ؟

- كان حلقات لتلاوة القرآن الكريم.
- وحلقات لذكر الله ﷻ.
- وحلقات لمدارسة العلم والفقه.
- وتدريبات على أعمال الجهاد.
- وكان من أجل أعمالهم التفرغ لمتابعة رسول الله ﷺ وتلقى العلوم عنه، وتبادلها معا وتوصيلها لباقى المسلمين كما سيأتى التفـصيل لاحقا، وكانت هذه المهمة أحد أعظم أعمالهم تأثيرا فى المجتمع.

لأنهم كانوا على الحقيقة جنوداً لله جلّ وعلا وخَدَمَةً لحضرة الـنبي ﷺ، وضيوفه الكرام.

فهذه أبرز أعمالهم، وكان النبي يتفقدهم، فقد ورد عـن أبى سـعيد الخدرى ﷺ فى الحديث :

{ كنت في عصابة (جماعة) فيها ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا ونحن نستمع كتاب الله ﷻ، فجاء النبي ﷺ حتى قام علينا فلما رآه القارئ سكت، قال فسلم ثم قال: ما كنتم تصنعون؟ قلنا يا رسول الله كان قارئ يقرأ علينا وكنا نستمع إلى قراءته فقال النبي ﷺ الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر

نفسي معهم ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا، ثم قال بيده هكذا فحلق القوم (صنعوا حلقة) وبرزت وجوههم، قال فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحدا غيري }[12]

{أن أصبر نفسى معهم}، يشير ﷺ إلى قوله ﷻ فى سورة الكــهف: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ ﴾

ثم قال: { أبشروا يا معشر صعاليك (فقراء) المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذاك خمسمائة سنة }

ومرة أخرى يحكى ثابت البنانى عن سلمان الفارسى ﷺ، فيقول:

{ كان سلمان في عصابة (جماعة) يذكرون الله ﷻ، فمر النبي ﷺ فكفُّوا، فقال: ماكنتم تقولون؟ قلنا نذكر الله يا رسول الله، قال قولوا، فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم، فأحببت أن أشاركم فيها، ثم قال ﷺ: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرْتُ أن أصبَر معهم }

وأحيانا كانوا ينقسمون إلى طائفتين؛ إحداهما تذكر الله تعالى، والثانية تُعَلِّمُ وتتعَلَّم، وعلماؤهم منهم؛ فإن سيدنا رسول الله ﷺ جهز منهم علمـــاء يعلموهم: فكان سيدنا عبد الله بن رواحة يقول لهم: تعالوا بنا نؤمن بـــالله ساعة، ويعطيهم دروساً في الإيمان، ومرَّ رسول الله ﷺ ذات مرة بـــسيدنا عبدالله بن رواحة ﷺ وهو يذكر أصحابه فقال لهم ﷺ:

{ أما إنكم الملأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معكم، ثم تلا الآية }[13]

---

[12] المزى فى تهذيب الكمال ، وابن حجر العسقلانى فى هداية الرواية.
[13] عن عبدالله بن عباس ﷺ ، المنذرى فى الترغيب والترهيب.

وعيّن حضرة النبي أساتذة لهذه المدرسة في كافة التخصصات؛ فقال:

{أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأشدهم حياءاً عثمان، وأفتاهم عليّ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبى ذر، وأقرأهم أبي بن كعب، وأفرضهم – أي أعلمهم بأحكام الميراث– **زيد بن ثابت}**[١٤]

فعين لكل مادة أستاذا، وصدر قرار التعيين من سيد الأولين والآخرين ﷺ ليقوموا بالتدريس بجامعة المصطفى ﷺ، وكل رجل منهم كان يلتـــف حوله طلابه ... وكان ﷺ يتفقّد الجامعة .. فخرج ذات مرة إليهم :

{ فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله ﷻ ويرغبون إليه, والثاني يعلمون الناس, فقال: أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس، وإنما بعثت معلما ثم عدل إليهم, وجلس معهم } [١٥]

أصول التصوف

فكان ﷺ هو الذي وضع هذه الأسس.

ومن هنا امتد هذا النسق، وهذا النهج، إلى يومنا هذا...علـــى يـــد العلماء العاملين، والحكماء الربانيين في كل وقت وحين.

ولذلك كان بداية التصوف:

---

[١٤] رواه البخارى ومسلم والترمذى عن أنس بن مالك.
[١٥] عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، العراقى فى تخريج الإحياء.

- أن الرجل الصالح كان يبنى زاوية.
- ومن ثم يجمع فيها خلاصة أصحابه.
- ويصنع معهم ما كان الحبيب يصنع مع أهل الصفة.
- ويتكرر نفس المشهد، فمنهم من يذكر الله، ومنهم من يتفكـــر، ومنهم من يقرأ القرآن، ومنهم من يعلّم، ومنهم من يتعلم، ومنهم من يصوم النهار، ومنهم من يقوم الليل.
- ويتعهد الرجل الصالح هذا أبنائه وأتباعه فيعطى لكل رجل منهم ما يلائم قواه، وما تميل إليه نفسه من العمل الصالح الذي يقرِّبـــه إلى الله، وذلك لأن النفوس مختلفات، وكل نفس تميل إلى عمـــل يقرها إلى الله، فيعطيه لكل منهم ما تميل إليه نفسه وما يصلح به حاله ليتقرب به إلى ربـــه ﷻ؛فيفـــيض الله ﷻ علـــيهم المـــنح والعطاءات التي أفاضها من قبل على أحباب الحبيب المصطفى من أهل الصُفَّة رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين.

وهذا هو الأساس الذي سار عليه الصوفية الصادقون، والأوليـــاء، والمتقون، والحكماء الربانيون، متَّبعين أحوال أهل الـــصُفَّة في أحبـــابهم وفى مريديهم ولذلك كما قلنا وبينا تجد لديهم حلقات الذكر، وحلقات العلم، وحلقات الفكر، وحلقات قراءة القرآن.

وكذلك تجد بينهم: التحابب، والتوادد، والتآلف لأنهم يـــشترطون فيمن يدخل بينهم، ويشاركهم أمرهم، ألاّ يكون في قلبه: ضغينة أو حقد أو حسد، وألاّ يكون في نفسه أدنى ميل إلى الدنيا؛ لأنهم يجتمعون علـــى الله، ويريدون وجه الله جلَّ في علاه.ومن أجل ذلـــك يكـــرمهم الله ﷻ بـــالمنح والعطاءات الإلهية المذكورة في قول الله [٣٢ فاطر]:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾

وهل التصوف هذا، يحتاجه الإنسان في هذا العصر ؟ نعم !

يحتاجه الإنسان في هذا العصر، وفى كل عصر: لسلامة قلبه، ولصحة بدنه، ولصفاء وقته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من أحوال الصادقين

ذهب أحد المريدين إلى الشيخ أبو السعود، وقال له: أريد أن أتتلمذ على يديك، فقال له: شيخك الشيخ عثمان المغربي، وهو في بلاد المغـــرب، ولما يأت بعد.فامكث هنا معنا إلى أن يأتي شيخك !، أي اجلـــس مـــستمعا فقط، لأنهم اخوة.....:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [١٠الحجرات]

وبعد خمسة عشر عاما، وذات يوم، سأل الشيخ عن هذا المريد، وقال له: شيخك سيصل عصر اليوم إلى منيل الروضة قادما من بلاد المغرب عن طريق الإسكندرية، فاذهب للقائه، فتوجه المريد إلى الميناء بالمنيـــل، فوجـــد السفينة الآتية من الإسكندرية قد وصلت.فانتظر حتى نزل الركاب، فتعرف على شيخه، وذهب ليسلم عليه، ففوجئ به يقول له: جزى الله آخي أبـــو السعود عنى خيرا، إذ حفظك لي طوال تلك المدة.

هؤلاء هم الأبطال حقا !!

أمَّا ما يحدث من بعض المعاصرين عندما يتركه أحد المريدين، فتجده يقول لمن حوله: سيحدث له كذا من السوء، وسيصاب بكذا وكذا، فهذا ليس من دين الله ﷻ في شئ.فليس بشيخ من يحنق على مريد إذا تحول عنه

إلى غيره من الأشياخ، أو ترك مجلسه وذهب إلى مجلس غيره من الصالحين، لأن صاحب قدم الصدق من الرجال يعلم علم اليقين أن الإخوان الصادقين رزق من الله ﷻ يسوقه إليه: "وما كان لك فسوف يأتيك"، وما ليس لــك فلن تستطيع جلبه حتى لو أنفقت كل ما تملك:

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [٦٣ الأنفال]

فالذات العلية هي التي تتولى ربط قلوب المريدين بقلــوب المــشايخ والعارفين، وأي تبديل أو تغيير لا يتم ولا يكون إلا بإرادة العلي القــدير، وسجلات المريدين ومن ينتمون إليهم من الأساتذة، والعارفين ثابتة من قبل القبل، ولذلك فإن سيدنا سهل التسترى رضي الله عنه كان يقــول: إني لأعلــم أولادي وأربيهم وهم في أصلاب آباءهم منذ يوم ألست بربكم.

أي أن الكشف المسجل فيه أحبابه، أخذه من هنــاك..! فالــذي لم يكتب بالكشف يترك المكان، ولو جلس مرة لأنه ضيف وقتي والــصالحون يعلمون ذلك ويعلّمونه لله ﷻ؛ وليس هناك مشكلة في ذلك.

وهذه أحوال الصالحين في كل زمان ومكان، لأن بينهم نقــاء وصــفاء ووفاء، فكلهم أساتذة في الجامعة المحمدية، ولازم كل ليلة يجتمع أعضاء هيئــة التدريس: وأين هذا الاجتماع؟ كما أشار سيدي إبراهيم الدسوقى رضي الله عنه في قوله:

على الدرة البيضاء كان اجتماعنا ... وفى قاب قوسين اجتماع الأحبة

فالذي يشهد اجتماع قاب قوسين هل يبقى عنده بقية من الدنيا الدنيــة؟ كلا، وهكذا كل من وصلوا إلى هذا المقام العالي، ليس هنــاك شــئ يحــاك في صدورهم نحو إخوانهم؛ لأن كل من حاك شئ في صدره بسوء نحو إخوانــه، لا يؤذن له بالإشراف على هذه المعية، أو الحضور بقلبه في هاتيك المقامات السنية.

وهؤلاء بسر استنارة بصائرهم يعرفون مريدهم، بل آونة يطلعهم الله ﷻ على المريدين، ومن ينتسبون إليهم من أشياخهم.ومثل هؤلاء لا يجدون غضاضة في قلوبهم، إذا تحول أي مريد من مجالسهم إلى غيرهم.

وهذا هو التصوف السليم، والمنهج المستقيم الذي جاء به السلف الصالح من الرؤوف الرحيم ﷺ، وأي شئ غير ذلك قد يكون فيه شهوة نفس أو حظ أو مآرب دنيوية أو هوى.ومن عنده هوى !.فليس له دواء.

جهاد العارفين للهوى

ولذلك فمن بدايتهم، نزعوا الهوى من النفوس، وجعلوا هواهم الأوحد في المليك القدوس :

قد كان لي قبل أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

إذا كان الغافل له هوى في النساء، أو في المال، أو في الأكل، أو في أي شهوة أو غرض، فإن الذي عرف الله:....عينه لا تلتفت لحظةً هنا أو هناك.فسيدنا رسول الله: أشهده الله كل الجمالات من الجنَّات والعرش، والكرسي !!..لكنه كما أثنى عليه ربه:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة النجم]

فلم يلتفت هنا أو هناك!!، وهل بعد جمال الله !،.وكمال الله !، ينظر إلى شئ؟ وهل هناك ما يطرف العين بعد هذه الجمالات والكمالات، وكذلك الذي يرى الحبيب الأعظم ﷺ هل يريد أن يرى شيئا بعده؟

قد كان لي قبل أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بذاتك يا ديني ودنيائي

فالذي اشتغل بالله ﷻ حقا، وصدقا: لا يلتفت لغيره طرفة عين، ولا أقل..!! وهؤلاء هم الرجال الصادقون، الذين قال الله فيهم :

﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة]

لماذا؟ لتكونوا معهم على الأقل!

فمن أحب قوما حشر معهم أو تكونوا منهم، وهذا الذي عنده همَّـــة وعزيمة! فإما أن نكون معهم، أو منهم.

وراثة النبوة

فالذي منهم يرث، وماذا يرث ؟

يرث علما، ونوراً، وحالاً، وفتحاً، وكشفاً، والهاماً، وفــضلاً مـــن ميراث الحبيب المصطفى ﷺ: {إنما نورث علما ونورا}[١٦]

أي يأخذ حظه من العلم، أو حظه من النور، وما العلم الذي تركـــه رسول الله؟ علم القرآن، وعلوم الحقائق، وعلوم الدقائق، وعلوم الرقـــائق، وعلوم الفتح، وعلوم الكشف، وعلوم الفضل،.....

علوما، يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

فلو أنى أبـــوح ببعض ما بي	لأحـــرقت المشارق والمغارب
وولعت القلوب بحب ذات	تحـــــلى من حلاها كل طالب

ويقول أيضا رضي الله عنه :

لو ذاق أهل البعد بعض مدامتى... تركوا الجدال وأحرقوا علم الرسوم

[١٦] سنن أبي داود وسنن ابن ماجة عن أبي الدر داء بلفظ (إن الأنبياء لا يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر).

علوماً، يقول فيها الإمام على ﷺ :

" لو فسرتُ فاتحة الكتاب بما أعلم، لوقرتم سبعين بعيرا"

علوما ليس لها حصر..!! من أين جاءت هذه العلوم؟ ... هذه وراثة من رسول الله ﷺ، وليست دراسة بإعمال الفكر والعقل والمــشاهدة أو التجربة، ... بل هي وراثة نبوية مصطفوية فعلوم الوراثة غير علوم الدراسة

فعلوم الدراسة: ربما يفنى المرء حياته كلها، ولا يستطيع أن يبلغ الغاية في التعمق في ميدان واحد من هذه الميادين، كما نرى.

لكن علوم الوراثة: يحصل الإنسان فيها ما يشاء من العلوم في أقل من لمح البصر، إذا فتحوا له الباب وأدخلوه الرحــاب، وكــسوه حلــة الأحباب، وجمَّلوه بجمال هذا الجناب، فإن كنوز فضل العلي الوهاب تتزل عليه بغير حساب :

﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة النور]

وهذه العلوم هي التي عاش فيها وبها أصحاب رســول الله ﷺ، يمكن أحدث نظرية تربوية في وزارة التربية والتعليم، أو التعليم الجــامعي، يقولون فيها: نحن نوجه الطالب ليحصل المعلومة بنفسه، هذه هي النظريــة القرآنية الإسلامية فرسول الله كان يوجههم وهم يحصِّلون، أي يحصِّلون من الملأ الأعلى!، وبعضهم كان يحصل من الآيات التي في الكائنات !.

إشراقات علم الآيات

ولو تصفحنا كتب الصالحين الموجودة – لأن كثيرا منها ضاع عندما دخل المغول بغداد، فقد ألقوا هذه الكتب في نهر دجلة حتى صنعوا منــها

جسرا من الكتب، وضاعت هذه العلوم – لوجدنا الصالحين عندما يتحدثون عن خواص الأشياء كخواص النباتات أو الحيوانات أو النجوم؛ فإنهم يكشفون عن حقائق – ربما يكون العلم الحديث لم يصل إلي كل حقائقها بعد، مثال ذلك:

ما الذي يلون النبات والثمار؟ ويضع فيه الطعم؟ ويضع فيه الروائح؟ ويصنع شكله وحجمه؟

علميا:

يقولون جينات الوراثة فى البذور تحمل أصل ذلك، والغذاء يقويه وينميه بعد ذلك، وهذا علم قد ثبت بلا شك.

ولكننا نقول لهم أنه هذه ليست الحقيقة كلها! إذا كان الهواء ليس له طعم ولا لون ولا شكل!، والأرض كذلك ليس بها طعم ولا لون ولا رائحة!، والماء أيضا ليس له طعم ولا لون ولا رائحة!، وهذه هي المكونات التي تشكل العناصر التي تغذى النبات!، فمن أين جاءت إذاً الطعوم والألوان والروائح.للثمار التي نراها ونتناولها؟ وكيف تشكّلت أحجامها؟ فهل الجينات وحدها وفقط قادرة على القيام بكل ذلك ؟ أم إن هناك أسرار أخرى لم يصل إليها العلم بعد ؟؟؟

العارفون الذين يكتشفون خواص الأشياء، مثل الإمام أبى العزائم، وغيره من رجال السلف الصالح ﷺ و أرضاهم، عندما ينظر أحدهم إلى النباتات؛ فإنها تتحدث معه، وتخبره عن الفوائد التي بها.فيكتب هذه الفوائد، بعد سماعها من النبات نفسه، فهو الذي يعطيه خواص ذاته، فيكون حديثه عن هذا الشأن، ليس تأليفا ولا تخمينا.

ولذلك، فالإمام أبو العزائم قال في هذا المجال:

هناك نجوم مخصصة لذلك، وقد أختصها الله ﷻ بهذه الصفات، فهناك نجوم خاصة بالمذاقات للنباتات والفواكه، وهناك نجوم خاصيتها تعطي لهـــا الروائح، ونجوم خاصة تعطي لها الشكل والحجم.ونحن جميعا قد لاحظنا هذا الموضوع عندما تكبر الخضراوات، ويزداد حجمهـــا في الليـــالي المقمـــرة، وأصحاب الأراضي والمزارعون يعرفون ذلك بالفطرة، أن الليالي القمريـــة تكبر فيها الخضراوات والفواكه، لأن مجموعة النجوم الثمرية تظهر في هذا الوقت، وهي التي تتولى نمو الثمار ... لكن مَنْ مِن العلمـــاء يـــستطيع أن يكتشف هذه الحقيقة بالأجهزة ؟ والمعدات المادية ؟ لا يمكن بأي حال مـــن الأحوال...!! وإن كانوا يحاولون جهدهم، وقد أثبتوا أن جاذبيـــة القمـــر والشمس تساهم مساهمة فاعلة فى جذب البراعم والنباتات لتخـــرج مـــن الأرض وتتجه لأعلى عند نموها، فإن كانت جينات الوراثة فيها خطة النمو فإن القمر والشمس يساهمان فى تنفيذها بما ينفع الحياة، وأثبت العلـــم أن هناك ألاف من انواع الآشعة القادمة من السماء من النجوم وغيرها منها ما يعرفون طبيعته، وأغلبها مجهول لهم ولم يستطيعوا أن يعرفوا تأثيره بعد، فما وصلوا بالتجربة والإختبار إلى ما ألهم الله به الأخيار، قال ﷻ فى النجوم :

﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[سورة النحل]

أي يهتدوا بها في ظلمة الليل ليس إلى الإتجاهات فحسب، ولكن إلى المذاقات والألوان وإلى الروائح وغيرها فقد خصها الحي القيوم ﷻ بذلك، فالدراسة لا تستطيع أن تحصل هذه العلوم، لكن الذي يكتشفها علوم الوراثة.

واعلموا علم اليقين يا أخواني أن هذه الأمة لن تنهض من كبوتها ولـــن تبلغ غايتها إلا إذا اتجهت إلى علوم الوراثة، فمثلا الأوروبيـــون والأمريكيـــون قرروا منع المسلمين من تعلم التكنولوجيا النووية، وفرضوا حظرا عليهم بعـــد أحداث سبتمبر فكيف نتعلمها؟

نتعلمها من العليم، لأن التكنولوجيا النووية عندنا من قبل هــؤلاء، وإلا فمن الذي عرف أن الذرة تنقسم إلى مثقال ذرة ؟

إنه القرآن الكريم والعلماء به، فعندما يصل الإنسان إلى مقــام: "كنــت سمعه الذي يسمع به"، ما الذي يغيب عنه من علوم الأكوان ؟ ..وكذلك عندما يتحقق بمقام: "كنت بصره الذي يبصر به"، فما الذي لم يره من حقائق الأكوان ؟... إنه لا شك يرى، ويسمع كل شيء في ملكوت الله وملكه، من أين؟

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٢٨٢ البقرة]

ماذا يعلمنا ؟....يعلمنا كل شيء علوم الأجسام، وعلوم العقول، وعلوم النفوس، وعلوم القلــوب، وعلــوم الأرواح، وعلــوم الــصناعة، وعلــوم الزراعة.وكل أصناف العلوم التي تخطر على البال، أو التي لا تخطر حتى علــى الخيال !!.فالذي يعلمها لنا.... هو الواحد المتعال ﷻ.

التكنولوجيا الربانية

و هناك بعض الناس بلغوا بالتكنولوجيا الربانية...

أنهم كانوا يطيرون في الهواء من غير بدلة فضاء !!!

وبعضهم كان يمشي على الماء.

وكان كثير من الصالحين يفعلون ذلك، وإذا عددنا هذه الوقائع نحتاج إلى دواوين، لكي نكتب هذه الوقائع التي حدثت للصالحين.

و سيدنا رسول الله أشار إلى ذلك فقال :

{ لو عرفتم الله حق معرفته لطرتم في الهواء، ومشيتم على البحور،

ولزالت بدعائكم الجبال }[17]

فالتكنولوجيا الموجودة مع الأنبياء، هي أيضا موجودة مع الأولياء :

❁ بماذا كان نبي الله داود يُلين الحديد ؟ أبفرن أم بيده ؟

❁ والذي صنع السفينة ثلاثة أدوار من غير مسمار، كيـــف تم لـــه ذلك؟ سيدنا نوح: صنع السفينة من ثلاثة أدوار، وكان طولها مائة وسبعون ذراعا، وكانت تتكون من ثلاثة طبقات: طبقة للوحوش، وطبقة للحيوانات الأليفة، والطبقة الثالثة للأنس من غير مسمار واحد، أين التكنولوجيا التي تستطيع صنع ذلك الآن ؟.. هل هناك أي دار لصناعة الـــسفن في العـــالم تمتلك هذه التكنولوجيا الآن؟

ثم دهنها بالقار، حتى لا يكون بها ثقب واحد يدخل منه الماء، ومـــن العجب انه صنعها بمفرده!. فقد زرع الشجر أولا، ثم مكث مائتي سنة حتى صلح لصنع السفينة، ثم قطعه، وجففه، ودفن الشجر في الأرض حـــتى لا يتشقق كما ألهمه الله، ثم شق الشجر ونجره وصنع منه السفينة العظيمة التي ليس لها مثيل في عالمنا الآن !! من أين جاء بهذه التكنولوجيا؟! ..هذا هـــو علم الله الذي يعلمه للأنبياء، ويعلمه أيضا للصالحين.

هل هناك الآن تكنولوجيا تبرأ الأكمة، والأبرص، وتحي المـــوتى ؟ .. كلا، ليس في علوم المادة هذه التكنولوجيا..لكن هـــذه المـــادة موجـــودة وتدرس في التكنولجيا الإلهية الخاصة بخير البرية

ويرثها الصالحون عن حضرته ﷺ، كما ورثها أصحاب رســـول الله من قبل، وهناك من الـــصالحين الآن كـــثير معهـــم هـــذه التكنولوجيـــا واستخدموها، ومما يوضح ذلك....:

[17] جرير بن حازم عن وهيب المكي.

هل هناك كاميرا تلتقط ما في الصدور؟ وأين هذه ؟

نعم ! هي موجودة مع......:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩ سورة الفتح]

فالكاميرات التي ترى ما في الصدور هي التي قال فيها ﷺ:

{اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله}[١٨]

فالناس غافلة عن أرقى أنواع التكنولوجيا العالية في هذه الحياة، فأنت لكي تسافر تحتاج إلى طائرة أو سيارة...:

لكن أصحاب رسول الله والــصالحون مــن بعــدهم اســتخدموا التكنولوجيا الربانية.

فسيدي أحمد البدوي عندما جاء من مكة إلى طنطا قطع المــسافة في إحدى عشرة خطوة.وكذلك عندما اعترض ابن دقيق عليه، فقال له: إن لم تصمت سأطيِّر دقيقك، ودفعه بيده، فوجد نفسه في بلد بعيدة، فسأل الناس عن المكان الذي هبط فيه ؟ فوجد نفسه في بلدة من بلاد الهند !.

أين التكنولوجيا المادية التي تفعل ذلك؟ ..لا يوجد......

لكن الذي يحقق ذلك: كنت يده التي يبطش بها؛ ولما سألهم عن كيفية الرجوع؛ قالوا: اذهب إلى المسجد فذهب، وانتظر الصلاة، وعندما حــضر الإمام وجده سيدي أحمد البدوي، الذي كان معترضا عليه، ويتهمه بتــرك الصلاة.وبعد انتهاء الصلاة، ذهب إليه واعتذر عما بدر منه نحوه، فدفعــه بيده مرة أخرى ! وقال له: ارجع لبيتك، فإن زوجتك مشغولة عليــك !، وهى في انتظارك خلف باب المترل..فكان الأمر كما أشار!.

---

[١٨] سنن الترمذى عن أبي سعيد الخدرى

من أين هذه التكنولوجيا الربانية؟ .. هـــي موجـــودة في القـــرآن، وتكنولوجيا النبي العدنان ﷺ، فالحاسب الآلي أنت توجهه بيديك، لكـــن الذي معه حضرة الحسيب ﷻ لا يحتاج لأحد يحسب له أي شئ؛ بل يكفيه حساب الله عن جميع الخلق.

الجهاز المركزي للمحاسبات لسيدنا عمر كان في الصلاة :.. فقـــد كان يأتيه الولاة في موسم الحج، ولكي يحاسبهم كان يقول لهم: انتظروا !، ثم يتوضأ، ويصلى ركعتين..وبعد انتهاء الصلاة، يقول يـــا فـــلان: أنـــت حسابك كذا، ويا هذا...أنت حسابك كذا، فيقال له: من أين لك هـــذا؟ فيقول: أخبرني الله ﷻ به، وأنا في الصلاة.

أين الجهاز المركزي عند سيدنا عمر؟ ... كان في صدره فلا يحتـــاج لمحققين ولا أقلام، ولكن:

﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ [آية (٢٩) سورة الأنفال]

هذا هو الفرقان الذي في صدر عباد الرحمن.

حقيقة التكنولوجيا المادية

والأمر الغريب:

أن التكنولوجيا الحسية ليست صعبة المرام، لأنهم عنـــدما تعلموهـــا، تعلموها من عالم الإلهام الذي ألهم به الله ﷻ بعـــض أجنـــاس الحـــشرات، والفصائل المختلفة في هذه الأكوان.

فعندما ترى أي مدنية أوربية مهما بلغت في رقيها، هل تصل في دقتها وانتظامها، وعلو شأنها، إلى ما بلغته مملكة النحل؟ أو مملكة النمل؟

كلا !، وهذا مستحيل، لأنهم لو وصلوا لمستوى مملكة النحل؟ لكانوا قد وصلوا إلى الغاية..لكن ربنا أعطانا الخلافة، وقال لابن آدم: أنت ســـيد الأكوان!، ولكن بشرط واحد: أن تكون عبداً للرحمن، اجعل نفسك عبدا للرحمن، يجعلك الله سيدا للأكوان.

والصالحون ذللوا أنفسهم لله، وزينوا أعضائهم بطاعة الله، وجعلـــوا وجهتهم كلها: في كل عمل، أو ترك، لحضرة الله.وأصبحوا عبادا لله، فذلل الله لهم كل شئ في هذه الحياة..... آفتنا الآن:....أننا بعدنا عـــن المنـــهج واعتقدنا أن أهل الغرب هم الذين وصلوا للغاية، ويجب أن نتبعهم ونمشى وراءهم، وتركنا العناية.

مع أننا نحن جميعا أهل العناية، فلكي نصل إلى أي غاية لا بد أن نسلم لأهل العناية، ونجمل أنفسنا بالرعاية: رعاية أوامر الله، ورعاية محـــارم الله، ورعاية سنة حبيب الله ومصطفاه :

"كن عبدا لله، يكن كل شئ في الكون تحت أمرك، لأنـــك عبـــد لله ﷻ" الأرض والسماء والجبال والوحوش كلها تكون تحت طوع أمـــرك، إذا أردت الماء: فالسماء تكون تحت طوع أمـــرك، وهـــذه التكنولوجيـــا موجودة في صلاة الاستسقاء...: لكن بلاد الغرب، عندما ينـــادون علـــى السماء، فمن الاستحالة أن تنزل نقطة واحدة.كوَّنوا مطراً صناعياً، لكنـــه عالي التكلفة جدا !، وضئيل الكمية !، لكن معنا نحن: المطر الطبيعي، كـــل ما في الأمر: أنك تدعوَ وتقول يا رب :.. يستجيب الله لك في الحال.

كذلك الأرض: بمجرد ما دعا الخليل :كل الخيرات انتشرت فيهـــا، وكفاية عليهم البترول، والذهب الموجود المخزون في الجبال، فالأوروبيون يتعبون في التنقيب عن البترول واستخراجه، وإخواننا الذين أصابتهم دعوة إبراهيم يأتيهم نصيبهم وهم في أشد الراحة.

والعالم كله محتاج لنا في هذه الخيرات، كأمريكا واليابان وأوروبا وكل هذا من دعوة آبائنا وأجدادنا والصالحين، وكل ما ينبغي علينا هو أن نحافظ عليه بتنفيذ أمر الله وتطبيق شريعة الله.

وحتى الزلزال الذي حدث في آسيا (تسونامى عام ٢٠٠٤) كان آية من آيات الله ﷻ، فكل المساجد الموجودة لم تتأثر بقوة الزلزال ! لماذا؟ يعرفنا الله ﷻ قدر إيماننا سيدنا عمر عندما حدث زلزال في المدينة، أمسك بالدرة وضرب الأرض، وقال لها: يا أرض قرى واسكنى فإني أعدل على ظهرك، فسكنت في الحال.

فكان عدم تأثر المساجد فقط بالزلزال قوة لأهل الإيمان وأهل التقى، بأنهم في عناية ربهم وفي حفظه وصيانته.

فالله ﷻ جهز المسلم بكل شيء يحتاج إليه في هذه الحياة، ولكن بشرط واحد أن يكون هو كله لله.ولكنا فرطنا في هذا الأمر وسبحان الله !، صرنا كالرجل الغني الذي له ثروة تغني الأولين والآخرين: ولكنه ترك كل هذا، وذهب ليتسول على أبواب الناس المساكين، فنحن نتسول من أهل الغرب الصناعات والتكنولوجيا؛ مع أننا موجود عندنا كل شيء :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق٢،٣]

سيدنا عقبه بن عامر ﷺ وأرضاه، ذهب إلى شمال أفريقيا وأراد أن يبني مدينة لأصحاب رسول الله ﷺ، واختاروا مدينة بواسطة المهندسين، فاختاروا مكانا يجمع بين الصحراء وأطراف المدن – وهذا كان نظام الجيش الإسلامي دائما – فاختاروا موقع القيروان الآن، وكان المكان مليئا بالغابات، فماذا يفعلون في هذه الغابات؟ بعضهم قال نقطع الأشجار،

وبعضهم قال نحرقها، فركب عقبة بن نافع فرسه، وجاء عند الغابة، وقـام بالنداء على من بالغابة، فقال : يا سكان هذه الغابة !، أخرجوا فإنا سـنبني في هذا المكان مدينة لجند رسول الله ﷺ، وسأمهلكم ثلاثة أيام.

من الذي ترجم هذا الكلام للحيوانات والحيات والأسـود ولكـل واحد منهم لغة ؟ سمعوا جميعا هذا النداء بالترجمة الإلهية الـتي وصـلت إلى الآذان في كل مكان، لأن الله ﷻ كساه حلة: " كنت لسانه الذي ينطق به "، بعد ذلك وجدوا الحيوانات والحيات تخرج وهي تحمل صـغارها علـى ظهورها وتغادر هذه الغابة.وفي خلال ثلاثة أيام، لم يكن شيءٌ من الحيوانات في هذه الغابة !!.

ما هذه التكنولوجيا التي تركناها؟ بل ونجري وراء تكنولوجيا غربية لا تعرف الرحمة، لكن هذه التكنولوجيا كلها رحمة وهداية وإلهام من الله.

و كذلك في الصناعات:

ما الذي يحفظ بدله صوف مائة سنة من العتة، لكن ملبوسات رسول الله ﷺ – حتى وقتنا هذا – موجودة في استنبول كما هي، ومنها الـبردة التي كان يلبسها وتوارثها مئات من الخلفاء ولبـسوها، فـسيدنا معاويـة اشتراها من ورثة كعب بن زهير، وتوارثها الخلفاء من بعـده، ولبـسوها والخلفاء العباسيون أيضا توارثوها ولبسوها، وجاء العثمـانيون فأخـذوها ووضعوها عندهم، أنظر كم من السنين استخدمت؟!

ما هذه التكنولوجيا التي جعلت هذه البردة لم تصب بالعتة، و أيـضا القميص والسيف والرمح، وكل أدوات رسول الله موجودة.

و أيضا الصالحون:

آثارهم كلها موجودة في كل مكان وزمان، وقد حفظت هذه الأشياء

بتكنولوجيا الحياة، لأن معهم إكسير الحياة الذي إذا وضعوه على أي شيء يظل حيا بأمر الله، إلى أن يشاء الله جل في علاه، وهذا سر من أسرار الله، و أنتم تعلمون أسرار التكنولوجيا التي برع فيها قـــدماء المـــصريين، والـــتي أخذوها من علوم سيدنا إدريس – فهو الذي علمها لهم – ونرى آثارهـــا مشهودة في فن التحنيط وغيره

و هكذا فليس لنا مخرجا لنلحق بركب التطور في هذا العصر إلا إذا رجعنا إلى تكنولوجيا رب العالمين، نأخذ من الله فتحا من الله، بعدما نتجه إلى الله جلَّ في علاه رغبة في رضاه.

و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رجال الله

سؤال: كيف نخوض المعركة المقبلة مع اليهود؟

المعركة الآتية مع اليهود إن شاء الله، لا نستطيع خوضها بالأســـلحة التقليدية فقط، لأنهم أقوى منا فيها، ولذلك يلزم لنا لننتصر مـــن وجـــود رجال يتصرفون في الكون بأمر الواحد المتعال.

فالمعركة الأولى كانت بـــسيطة وانتـــصرنا فيهـــا بفـــضل هـــؤلاء الرجال.والمعركة الآتية أيضا تحتاج نفس الرجال.فنحن جميعا نجهز أنفـــسنا استعدادا لهذه المعركة، حتى نكون من هؤلاء الرجال، و الرجل منهم يدفع عن أمة، ويكشف الله به كل غمة.

أهل فارس هجم عليهم الجراد من كل فج، فذهبوا إلى رجـــل مـــن الصالحين ليستنجدوا به، فقال لهم:

أين هذا الجراد؟ ثم نفخ فيه، فطار الجراد كله، ولم يأكل عودا واحدا من أرض هذا البلد.هؤلاء هم الرجال الذين أقام الله بهم الدين، والذين يحيى بهم الله الأرض، والذين:

تحيا بهم كل أرض يتزلون بهـــا... كأنهم لبقاع الأرض أمطـــار

و تنظر العين منهم منظرا حسنا ... كأنهم في عيون الناس أقمار

فالرجل منهم بأمة كاملة :

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [١٢٠ النحل]

لأن الله يدفع به عن أمة،... ويكشف به كل ملمة عن أمة ..، ويحي به وببركته أمة،... هؤلاء هم الرجال الذين نحتاج إليهم في هذه الآونـــة، ونحتاج لهؤلاء الرجال قبل العتاد والسلاح، لأنهم الرجال الذين يسعون في الأرض بنور الله ﷻ:

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ [١٢٢، الأنعام]

و كل التكنولوجيا منهم :هل تذكرون من أول مـــن أســـس علـــم الكيمياء؟ إنه جابر بن حيـــان: وقـــد كـــان تلميـــذا لـــسيدي جعفـــر الصادق.وسيدنا جعفر الصادق أملى عليه ثلاثمائة كتاب في علم الكيمياء، وهذا تخصص واحد، أين التخصصات الأخرى؟

وكذلك الإمام أبو حنيفة:

صحب سيدنا جعفر الصادق سنتين، وبعد السنتين قال: لولا السنتان لهلك النعمان.

لأنه فتَّق له القضايا الفقهية، وأعطى له فيها وضوح الرؤيا البصرية، ليمشي على نور من ربه، وكلهم يا أخواني على هذا المنوال.

تكنولوجيا الإلهام

من الذي ألهم النحل؟

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [٦٨ النحل]

من الذي علم النمل التكنولوجيا التي تجعل النمل يصنع في البلاد الممطرة لقراه أسقفاً لا تؤثر فيها القوى التدميريه ولا تخترقها الأمطار مهما كانت كمياتها الهاطلة حتى تكون المملكة محفوظة في فترة المطر؟، وأين هذه التكنولوجيا؟ مع أنه سقف ليس به زلط ولا أسمنت ولا حديد ولا شئ من هذه المكونات العصرية، كيف نصل إلى هذه التكنولوجيا؟! من الذي ألهم النمل عندما يخزن النبات بأن يشقه نصفين لكي لا ينبت؟ وفى أي مدرسة تعلم النمل هذه الاشياء؟

كيف صنعت أم موسى التابوت الذي وضع فيه سيدنا موسى حتى لا يدخله الماء! ؟ وأين درست هذه الصناعة؟ لكن الله ألهمها في ذلك الشأن.

فالإلهام مصدر كل خير وكل بركة وكل فضل للمسلمين على الدوام، ومن لحظة ما تركنا عين الإلهام وأعطينا له ظهرنا أصبحنا كالأيتام على مأدبة اللئام ...فالذي يحدث لنا في هذا الزمان من أمريكا وغيرها سببه أننا تركنا المدد الذي أعطاه الله ﷻ لنا.

ظهور المدارس الصوفية

بدأ ظهور المدارس الصوفية بمدرستين صوفيتين، اعتصمتا بالكتاب والسنة، واتخذتا من سيد المرسلين إماماً وقدوة، وجعلتا من أشواق الحب

الإلهي، ومن إلهامات الروح القرآني، ومن مثاليات الخلق المحمدي، منهجاً في المعرفة، وطريقا في السلوك ومعراجاً للوصول.

فقدمتا للعالمين، أروع وأقوى روحانية إيمانية معتصمة مهتدية، قدمتا التصوف الإسلامي :مشرقاً مبيناً فيه هدى، وفيه نور يرسم الطريق المستقيم المضيء، طريق المخبتين المتبتلين، الذين أحالوا الكون، محاريب للمناجاة والطاعات، وجعلوا من مشاهده صفحات ناطقات ملهمات، الطريق المضيء الصاعد إلى رضوان الله وقربه، وأنسه وحبه، وهداه وعلمه وفيضه، مدرستان، هما قلب التصوف ولسانه وبيانه وإليهما الفتوى والفيصل في مناهجه وقواعده، وسلوكه ومعارجه.

مدرستان تميزتا بالمعرفة الكاملة الصادقة، النابعة من الكتاب والسنة، لم تتفرق بهما السبل، ولم تجنح بهما الأذواق، والأشواق، قلما يعترفا أبدا بالسبحات الفلسفية، والشطحات المترنحة، والكلمات الغامضة، التي تسربت إلى الأفق الصوفي، وحاولت أن تنتسب إليه !، وأن تتستر بأشواقه!، وأذواقه!!.

أما المدرسة الأولى :

فهي مدرسة الإمام أبو القاسم الجنيد ببغداد، وهي مدرسة اتخذت من المساجد منابر لدعوتها، وجعلت من حلقاتها معاهد لتخريج الرجال.الرجال الذين تموج بهم كتب الأصول الصوفية، كأعلام تضيء كلماتهم الطريق وترسمه وتحدده.

والمدرسة الثانية :

هي مدرسة الإمام أبو نصر السراج الطوسى بنيسابور، وهي مدرسة اتخذت من الكتب منابر لبيان دعوتها، وشرح رسالتها، ونشر علومها وأذواقها ومعارفها ومعارجها. وجعلت من صفحات هذه الكتب معاهد

لتخريج الفحول من الرجال، وخزائن خالدة تحفظ للأجيال هذا التـــراث المضيء العظيم.

وصاحب اللمع، أبو النصر السراج الطوسي، هو بحق أكبر المـــؤلفين الصوفيين وأستاذهم جميعا بلا استثناء، اقتفى أثـــره الهجـــويري في كتابـــه (كشف المحجوب) وتتلمذ عليه، أبو عبد الرحمن السلمي صاحب الطبقات، وعلي السلمي: تتلمذ عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيري، صاحب الرسالة القشيرية.

فمؤلف اللمع إذن، قد أنجبت مدرسته الأقلام الكبيرة التي حفظـــت لنا، ورسمت أمامنا، مناهج الطريق وصانته وحمته من الدخيل والغريب.

كما احتضنت هذه المدرسة وحفظت لنا أيضاً، تراث الجنيد وتلاميذه ورجاله. فأصبحت مدرسة السراج وحدها عبر التاريخ :

المحجة التي يلوذ بها، ويهتدي بنورها، عباد الرحمن الذين اســـتهدفوا وجهه سبحانه، وصعدوا بقلوبهم وبعزماتهم إلى الأفق الأعلى، مـــع المـــلأ الأعلى، لا يستنكفون عن عبادة ربهم، ولا يفترون عن ذكره وحمده. قوتهم طاعة، وحياتهم عبادة، ومناجاتهم حب، ووجودهم قرب، وذوقهم علـــم، وبساطهم انس، وخلقهم القرآن. إنهم أمنـــاء الله ﷻ في أرضـــه، وخزنـــة أسراره وعلمه، وصفوته من خلقه، كما يقول السراج الطوسى في اللمع.

إنها مدرسة المعرفة الصوفية النقية، حمـــل اللـــواء فيهـــا الـــسراج، والقشيري، والهجويري، والسلمي، والكلاباذي. المدرسة التي حاربـــت في عنف وفي قسوة، كل انحراف فلسفي، أو شطح ذوقي، تسرب إلى جـــوهر التصوف الإسلامي.

يقول السراج في مقدمته لكتاب اللمع:

(وأعلم أن في زماننا هذا قد كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة.وقد كثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها، والمجيبون عنها وعن مسائلها.وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتابا قد زخرفه، وكلاما ألفه.وليس بمستحسن منهم ذلك؛ لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات، ونطقوا بهذه الحكم: إنما تكلموا بعد قطع العلائق، وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق، والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعتهم عن الله ﷻ طرفة عين، وقاموا بشرط العلم، ثم عملوا به، ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل).

وكما يقول "ماسنيون":

(إن رجال المعرفة الصوفية في الإسلام، كانوا دائما النماذج التي تقدم لنا الصورة الحية للمفكرين الكبار في الإسلام)

ويقول شاعر الإسلام "محمد إقبال":

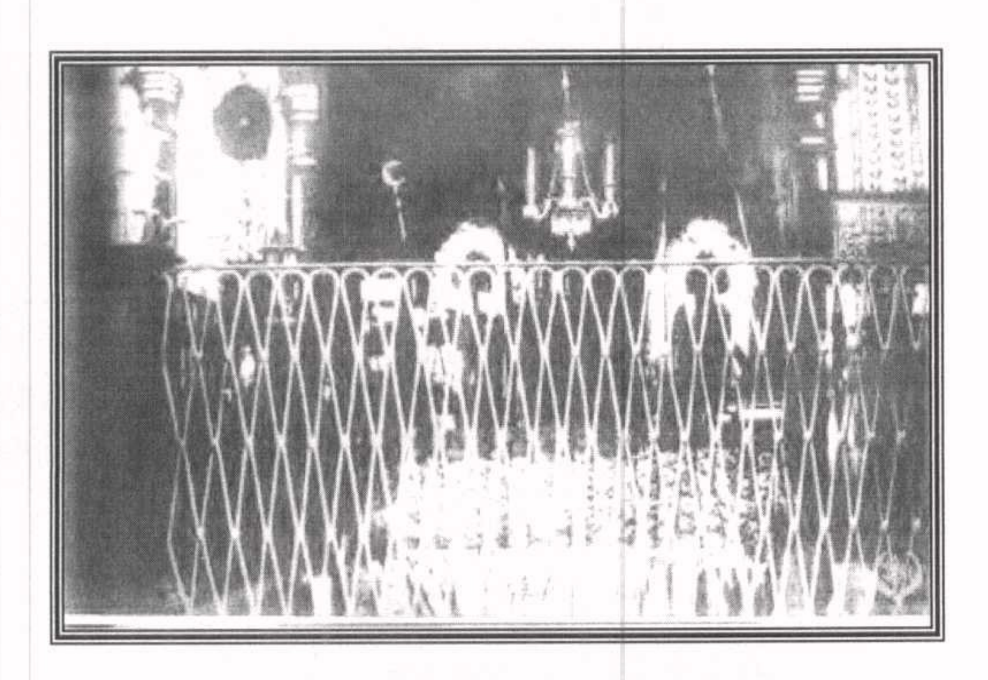
(إن الإسلام عند الصوفية، يأخذ طابعاً من الجمال والكمال، والإنسانية العالية، والأخوة العالمية، لا تجده في إسلام الفقهاء أو المتكلمين.رسم المبادئ الصوفية النقية، تلك المبادئ التي تعبر عن روح القرآن، وجوهر السنة.: المبادئ الخلقية والإيمانية التي تتلمذت لفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهديه. المبادئ التي تحيط بكل شيء في الحياة، فتطلق فيه النور، والروح، وتطلق فيه الحب، وتعمق فيه الإحساس المقدس، الإحساس بالقرب من الله؛ قرب ذوق ووجدان، ومشاهدة ذوق ووجدان...فإن لم تكن تراه فإنه يراك، المبادئ التي تتحقق فيها كلمات الله، التي صورت الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس.

البَابُ الثَّانِي

الصُّوفيَّةُ

والتَمَسُّكُ بالكِتَابِ والسُنَّة

- عــالَم المثــال
- الصوفيَّة والتمسُّك بالشريعة
- رأي الشيـــخ عبد الواحد يحي
- التــأسي برســـول الله في الجهـــاد
- الصوفيَّة والتحلل من الشريعة الإسلاميـــة



صورة نادرة من حوالى مائة عام للمواجهة النبوية المشرفة كما بدت من الخارج

الصوفية والتمسك بالكتاب والسنة(*)

الحمد لله الذي أنعم على خاصة عباده المتقين بأحوال عباده الأنبيـــاء والمرسلين والصديقين والصالحين وجعل هذه الوراثة النبوية قائمة في الــدنيا إلى يوم الدين سر قول إمامنا عليٌّ ﷺ وكرم الله وجهه :

{ اللهم لا تخلِ الأرض من قائم لك بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً وإما باطناً مستوراً لئلا تخلو الأرض من قائم لله تعالى بحجة }

إخواني وأحبابي القراء الكرام بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

في هذا الزمن لأن الناس حكّموا عقولهم وتركــوا نقــولهم في كــل شئوهم، فتعالت الصيحات للاعتراض على السادة الصوفية وأهم على غير السنن المرضية، وليس لهم أصل في مآخذهم من الشريعة الإلهية ونكاد نجد دوى هذا الفكر وهذا الكلام في كل مكان.

لكن الحقيقة لمن أرادها أن السادة الصوفية هم أكمل الناس إتباعــا لحبيب الله ومصطفاه في سننه الظاهرة وأحواله الباطنة.

فإن كان غيرهم يزعم أنه يتابع الرسول ﷺ في سننه فإنهم ما زادوا عن متابعته في هيئته لكن ما شموا رائحة من أحواله ولا تنسّموا بارقة من أنواره ولا مرّ على قلوبهم وأرواحهم شيئاً من باطن أحواله ﷺ.

أما السادة الصوفية :..فهم الذين تشبهوا به ظاهراً وأفاض علــيهم ببركة التشبه به أحواله باطناً فكانوا صورة على قدرهم لظــاهره وباطنــه صلوات ربى وسلامه عليه، ولو بحثنا في أصولهم وكل أحــوالهم وأفعــالهم

(*) لقاء بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بالمعادى بالقاهرة الخميس ٢١ من صفر ١٤٢٦هـ ٣١ من مارس ٢٠٠٥م.

نجدهم أسسوها على أصل ركيز من هدى نبيهم، ومن سنة حبيبهم ﷺ.

وسلوا إن شئتم عن أي أمر أو شأن يفعله السادة الصوفية المتبعون، وليس المتصوفة المبتدعون، تجدون له ركنا ركيناً في شرع سيدنا رسول الله ﷺ واضحاً ومبين

فقد قال إمام الطائفة الجنيد رضي الله عنه :

علمنا هذا مشيد بالقرآن والسنة.علم الصوفية كله عن القرآن والسنة.وكان إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه يقول لأحبابه: حافظ على السنة ولو بشرت بالجنة!

ويقول أيضا رضي الله عنه :

لسنته فاخضع وكـــن متأدبـــــــاً...وحاذر فحصن الشرع باب السلامة

على الجمر قف إن أوقفتك تواضعا....يكن لك بردا بل سلاما برحمـــــة

يعنى لو السنة أمرتك بأن تقف على الجمر قف ولا تعترض، لأن الـــذي يعترض ينطرد، فإن الله يقول للنار كوني بردا وسلاماً على خليلنا، وكذلك من هو في مقام خليلنا إبراهيم عليه السلام إن كانت نار بلاء أو نار داء أو نار تعب وعناء فالأنيار كثيرة في هذه الدار، وليست النار الظاهرة الحسية فقط! وهكذا شأن الصوفية في كل زمان ومكان رضي الله عنهم وأرضاهم.

حتى ورد عنهم أنه في أشد الساعات التي يكون فيها الحليم حيرانــاً، وهى ساعة خروج الروح من البدن كانوا يتمسكون بالسنة ولا يتركوهـــا طرفة عين ولا أقل.

فالإمام الشبلى رضي الله عنه مع أنه كان من أهل الجذب وأهل الأحـــوال، ووصل به شدة الحال إلى أهم وصفوه بالجنون، وحولوه إلى المارستان الذي يعالج فيه المجانين، لأنه لم يستطع أن يكتم مكنون حبه لله ! فظهر حبه علـــى

ظاهره وكان يقتدي في ذلك بقول حبيب الله ومصطفاه:

"اذكروا الله حتى يقال مجنون".[٢]

وصل إلى هذه الحالة! والجنون فنون! فجنون العارفين كما قال سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه فيه:

مجانين لكن سر جنونهم ... غريب على أعتابه يسجد العقل

هذا جنون آخر، غير فقدان الذاكرة أو اللوثة التي تصيب العقل الظاهر! هذا جنون في الله وزيادة حب في حبيب الله ومصطفاه صلوات ربى وسلامه عليه.

هذا الرجل الإمام الشبلى ﷺ :

عندما حانت منيته وكان راقدا على ظهره وبدء الموت يمشى في أعضائه وبدأت الروح تخرج منه عضوا وراء عضو: فأشار إلى خادمه أن يوضأه، فوضأه، وأثناء الوضوء نسى سنة من سنن الوضوء وهى تخليل اللحية – لأنه لا بد أن يتخلل الماء اللحية حتى يصل إلى البشرة (لمن يربى لحيته)، الذي ليس له لحية يغسل الوجه بالماء لكن الذي له لحيه لا بد أن يصل الماء إلى منبت الشعر – فأمسك بيده وهو لا يستطيع النطق، ووضعها على لحيته فقال الحاضرون: سبحان الله حتى في ساعة الموت لا يترك سنة من سنن الوضوء! وهكذا حال الصالحين.

وكذلك الإمام خير النساج ﷺ :

رأى ملك الموت داخلا عليه في بيته مع آذان المغرب فتحادثا، وعرف أنه جاء قابضاً وليس زائراً فقال له: قف عافاك الله فإن ما أمرت به

---

[٢] عن أبي سعيد الخدرى، الذهبى فى ميزان الإعتدال.

لا يفوتك، وما أمرت به يفوتني! لقد أذّن المغرب ولو قبضت روحـــي الآن خرجت مديناً لله ﷻ بصلاة المغرب، فقف حتى أصلى المغـــرب ثم اقـــبض حيث شئت.

وهؤلاء الرجال يقول في شأهم الواحد المتعال:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [٣٤ الزمر]

فيتوفاهم الله ﷻ على الهيئة التي يريدونها وعلى الكيفية التي يحبونهـــا ولا يقبض أرواحهم إلا برضاهم! ليس بغتة ولا فجأة ولكنهم يُستشارون في هذا الأمر ويخيرون في الكيفية التي يقبضهم الله ﷻ عليها عناية مـــن الله ﷻ بهم وحرصا من الله ﷻ على إرضائهم فالله حريص علـــى أن يرضـــيهم!، فانتظر ملك الموت حتى توضأ وصلى المغرب ثم تمدد على مصلاه وقبضت روحه بإذن الله جلّ في علاه.

هذا شأن الصوفية الصادقون الصالحون في كل زمان ومكان ومـــن خالف ذلك فليس من أهل ذلك، وإنما هو هالك لأنه يـــسيء إلى القـــوم الصالحين ويدعى أنه منهم وهو في الحقيقة ليس منهم لأنهم أول المتـــشرعين على نهج سيد الأولين والآخرين ﷺ.

من فارق الشرع الشريف فليس من ... آل العزائـــم فافهمن برهاني.

هذا برهان مولانا الإمام أبي العزائم ﷺ .فالذي يفارق الشرع طرفة عين وهو يقظ وحاضر الذهن قوي البال والعقل فليس منهم، إلا إذا أخـــذ ما وهب: فإنه إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب، لكنه إذا ردّ إليه عقلـــه يتدارك ما فاته، لأن هذا شأن الصالحين في كل زمان ومكان!

فهذا الإمام عبد القادر الجيلانى ﷺ جاءه رجل من بلخ وقد قطـــع ثلاثة أشهر حتى وصل إليه في بغداد.

وكان له مدرسة – بيت الشيخ يسمونه مدرسة – (مدرسة الشيخ عبد القادر) – مدرسة كاملة مليئة بطلاب العلم، منهم من يتفقه، ومنهم من يقرأ القرآن، ومنهم من يدرس الحديث، ومنهم من هو في الخلوة ومعه الأوراد، ومنهم من يتكلم في المقامات، ومنهم من يتكلم في أسرار القرآن.مدرسة كاملة: وكل مجموعة من الطلاب لهم مشربهم ومنهجهم.

هكذا حال الصالحين أجمعين ﷺ في كل وقت وحين.وكذلك كانت مدرسة مولانا الإمام أبو العزائم في قصر الفريق: كانت مدرسة كاملة فيها كل طلاب العلم وجميع أنواع العلم.

فوصل إليه وهو في صلاة العصر، وكانوا بعد الصلاة يصافحون شيخهم. صفا ويسلمون عليه – ومن عادة الشيوخ، وهذه أيضا كانت عادة مولانا أبو العزائم ﷺ كلما صافحه إنسان، سأله من أنت ؟ حتى ولو رجع في الصف مرة أخرى، كان يسأله من أنت ؟ لماذا ؟ .. لأنه في غيبة مع الله، فلما صافحه قال له الشيخ عبدالقادر ﷺ :

مرحبا بك يا محمد يا بلخي، إن لك عندنا لخير كثير..!!

وذلك بدون سابق معرفة.

عالم المثال

وهكذا شأن الصالحين.

والكرامات في هذا الميدان لا حد لها ولا عد لها، إن شئتَ كتبتَ منها دواوين، لأنهم المعنيون بقول رب العالمين (١٠٨ يوسف) :

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾

يدعون إلى الله على بصيرة بصائرهم منيرة وشمس الحبيب المصطفى ﷺ ساطعة في قلوبهم على الدوام فينظرون بالله إلى خلق الله: الذي ينظر بنـــور الله المريدون: {اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله}[٣]

لكن الشيوخ في مقام الإيقان، والموقن يجمله الله بمقام: "كنت بصره الذي يبصر به"، فيبصر بالله وليس بنور الله وهناك فارق كبير بين من ينظر بنور الله وبين من يبصر بالله جلَّ في علاه في المقامات.

لم يقل اتقوا فراسة المحسن أو الموقن...وإنما المؤمن العـــادى، لكـــن المحسن والموقن فلهم مقام أعظم وتجلى أكرم وفتح أعم من الله ﷻ لأهـــل هذه المقامات بينهما كما بين من ينظر بنور الله ومن ينظر بمولاه ... هـــل يستويان مثلا؟...! أبدا.

وجلس الشيخ محمد البلخي في بيت استأجره ليتلقى ويـــتلقن مـــن شيخه، وفى يوم وهو في خلوته، رأى في عالم المثال شخصان نورانيان. وعالم المثال يلوح لعين القلب بعد محو الظلال:

فعين الرأس ترى الظلال، وعين الفكر ترى الخيال، وعين القلب ترى عالم المثال بعد محو الخيال ومحو الظلال، عالم المثال وهو عـــالم الـــشفافيات والنورانيات والأرواح المثبته في أرجاء الأرض والسموات، يراهـــا بعـــين البصيرة؛ يقول فيها مولانا أبو العزائم ﷺ :

بعين الروح لا عين العقول ... شهدت الغيب في حال الوصول.

لكن عين الرأس ماذا ترى في الغيب؟!

لا ترى إلا الطين أو ما هو من الطين أو الظلال والتكـــوين، وعـــين العقل لا ترى إلا الخيال والظلال لكن عين القلب هي التي ترى عالم المثال.

---

[٣] سنن الترمذى عن أبي سعيد الخدري

وعالم المثال، لنقرب حقيقته: فنحن معنا مندوبون منـــه، الآن عـــالم الملائكة الذين يحضرون معنا، وعالم الملائكة الذين يسجلون الأحوال الـــتي فينا والتي بيننا، وعالم الجنة وعالم الملكوت، وملكوت كل إنسان، ومـــا في باطنه من خواطر ومن أحوال، ومن تفضلات تفضل بها عليه الواحد المتعال: كل هذه من عالم المثال، الذي كان يظهر في أحاديث المصطفىﷺ، ولا يفقه معناه إلا كُمّل الرجال، وعلى سبيل المثال في الإسراء والمعراج يقول ﷺ:

{فجاءوا بطست مملوء إيمانا وحكمة}[٤]

وهل الإيمان والحكمة يوضعان في طست؟! .. كلا !، لكـــن هـــذه رؤية عالم المثال ولا يستطيع أن يقرب الحقيقة إلا بهذا المقال. لكن الحقيقـــة في ذاتها تحتاج إلى ذُقْ تعرف، وانظر بعين قلبك تدرك، ولا تعقل هذا الكلام بفكرك، فإن الفكر عقال عن أحوال جميع الرجال.

فالعقل يا أخي لا يفقهن حالاتي كما قال مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ

فرأى الرجل في عالم المثال شخصان: في يد أحـــدهما حلـــة وفي يـــد أحدهم شربة وقال له أحدهما: أنا علي بن أبي طالب، وهـــذا ملـــك مـــن الملائكة ومعنا حلة من النور وشربة من عين المحبة، وقد أمرنا أن نكـــسوك بهذه الحلة ونسقيك هذه الشربة، فألبسوه معنى وليس مبنى – هذه الحلة – وسقوه معنى – هذه الشربة–، كما قال أبو العزائم عن ذلك:

سقوني الراح في ليل التداني ... بكأس النور من بحر المعاني

أين كأس النور؟ وأين بحر المعاني ؟!بحر المعاني سيدنا رسول الله ﷺ .

وشاهدت المشاهد وهى تجلى ... برنات المثالث والمثاني

---

[٤] صحيح البخاري عن أنس بن مالك

بعض الناس لم يفقهوا المعنى، وقالوا: المثالث والمثاني، يعــني الألآت: العود والجيتار، لكن المثالث والمثاني يعني: يشهد في العبد..الحقيقة المحمديــة والحضرة الإلهية، هذا مثالث أو يرتقى فيشهد رسول الله ﷺ ويـــشهد فيــه الحضرة المحمدية والحضرة الإلهية وهذا مثانى أو يرتقى فيشهد حــضرة الله ويغيب به عما سواه.

هكذا المريد يشهد في العبد السيد الأعظم يتجلى له في العبد في حال البدايات، لأنه لا يستطيع أن يدركه بذاته، فإن نوره ﷺ لو لم يلطّفه نــور العبد، يحرق كل من واجه حضرة ذاته، ثم يتجلى الكبير المتعــال – علــى قدره على جبل هذا العبد – ويواجهه على قدره فقد قال ﷺ:

{إن لله سبعين ألف حجاب من النور لو كُشف واحد منها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره}°

صعقت وقد دك تحتي الجبل ... أفقت فكنت لأصلى المثل

تمنيت رؤية غيب مصـــون ... وقدري ترب فعزَ الأمـــل

فأين أرى؟ .. أرى في العبد ..في البداية ... لأنني لا أستطيع أن أرى بذاتي، إلا إذا طهَّر الله ﷻ ذاتي وأصلح بذاته ذاتي، ورأيت بما فيّ من صفاته حضرات ذاته وقدسه ﷻ

لكن كيف أرى بنفسي؟ وماذا معي؟

جلية الأمر: أنه يُرِى ما فيك من أوصافه .. غيبَ ذاته، لكن ما فيك من الطين ومن الماء المهين لا يرى إلا المشاهد الكونيــة والمظــاهر الدانيــة الدنيوية، أما المظاهر الغيبية، والحقائق العلوية: فلا تراها إلا بما فيــك مــن الأوصاف القدسية، ومن الصفات الربانية إذا تجلى الله ﷻ عليك وخلــع

° صحيح ابن ماجة عن أبي موسى بلفظ (حجابه النور).

عليك هذه الخصوصية، فعندما ألبسوه وسقوه غاب عنه وعيه ورأى في عالم المثال عوالم الأولياء والصالحين السابقين مجتمعين في الملأ الأعلى.

قال: وعرفت منهم أبا بكر الصديق، وعمر الفاروق وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وذكر بعض المشايخ الذين عرفهم ورآهم، قال: وسمعت قائلا يقول :إذا أراد الله ﷻ زيادة نور أوليـاءه، وصفاء قلوب أحبابه يتنزل الحبيب المصطفى ﷺ على كرسي نوره – ورأى كرسيا من النور– فينظرون إليه، فيزيدون نورا على نورهم، وصفاءا على صفاءهم، ثم غاب عن وعيه بعد ذلك، وظل على هذا الحال ثلاث سنوات.

وبعد مضى هذه المدة..... إذا بالشيخ عبدالقادر يضع رجلا عنده في مكانه، ورجلا في بيته، ويقول له :

يا بنى إن الله قد أمرني أن أردك إلى حالك، لقد رأيت كذا وكذا، وقال: وسرد لي كل ما رأيته في هذه الفترة كأنه كان معي، ثم قال: يا بنى قم فاقضى ما فاتك من فرائض.

أي أنه حتى في فترة الأخذ، وفترة الجذب، أمره بأن يقضى ما عليه من الفرائض.لأن الصالحين والصوفية الصادقين هم أول المتبعين لسيد الأولين والآخرين ﷺ في كل وقت وحين.

الصوفية والتمسك بالشريعة

يقول الإمام الدكتور عبد الحليم محمود :

"أنه لا يوجد صوفي لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ذلك لأن التصوف لا يخلو من الغاية، وغايته دائماً روحية، رضاء الملأ الأعلى،

حب الله، الاتصال به، الفناء فيه ليصبح عارفاً به سبحانه، تلك هي الأغراض التي يسعى إليها، أو إلى بعضها الصوفي لذلك لا يتأتى لشخص ليس بمؤمن أن يسعى إليها، ذلك أن الإيمان بالله يستلزم الإيمان بكماله، والسعي وراء هذا الكمال."

"وهي إذاً مجاهدة ضد النفس والأهواء والشهوات، حتى يصل الإنسان إلى الغايات التي وضحناها سابقاً، وهذه الغايات تقوده نحو الكمال، أو نحو المثل العليا، ولكن التخلق بأخلاق الله، لا يتأتى إلا عن طريق الوحي المعصوم، فلا بد إذاً من اتباع تعاليم الرسول اتباعاً سليماً. وبالتالي فإنه لا يتأتى أن يوجد تصوف قط مالم يكن اتباع كامل لشريعة صادقة، وإن التصوف الإسلامي لم يوجد إلا باقتداء الصوفية اقتداء تاماً برسول الله ﷺ. لقد أحبوه واتبعوه وحققوا بذلك قول الله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

إن الصوفية لا تتأتى إلا بالإقتداء، والقدوة المعروف الآن سيرتها في صدق ويقين هو رسول الله ﷺ، إنه الأسوة الوحيدة الآن لكل من يحب القرب من الله في صدق".

ويقول سهل التستري معبراً عن أصول التصوف :

"أصول طريقنا سبعة: التمسك بالكتاب، والإقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، وتجنب المعاصي، ولزوم التوبة، وأداء الحقوق".

وذكر رجل المعرفة أمام الجنيد وقال:

"أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر، والتقرب إلى الله ﷻ"، فقال الجنيد:

"إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا ".

فإذا ما وصلنا إلى الإمام الغزالي، فإننا نجـده يقـول في شـئ مـن التفصيل، فيه دقة، وفيه استدلال غاية في القوة :

"واعلم أن سالك سبيل الله تعالى قليل، والمدعى فيه كثير، ونحن نعرفك علامة له: وذلك أن تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع، موقوفة على توقيفاته: إيراداً وإصداراً وإقداماً وإحجاماً.

إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها، ولا يصل فيه إلا من واظب على جملة من النوافل، فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض ؟.

فإن قلت: فهل تنتهي رتبة السالك إلى الحد الذي ينحط عنه فيه بعض وظائف العبادات، ولا يضره المحظورات، كما نقل عن بعض المشايخ من التساهل في هذه الأمور؟ وأقول لك: اعلم أن هذا عين الغرور، وأن المحققين قالوا لو رأيت إنساناً يطير في الهواء، ويمشي على الماء، وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع، فاعلم أنه شيطان وهو الحق."

فإذا ما انتهينا أخيراً إلى أبي الحسن الشاذلي ﷺ، فإننا نجده يقول:

"إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة، فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف، ولا الإلهام، ولا المشاهدة، إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة".

والصوفية يتبعون في كل هذا النصوص القرآنيــة والــسنة القوليــة والعملية للرسول ﷺ..وهم يعلمون - لا شك - البديهيات التاريخية من أن الرسول ﷺ كان المثل الأعلى في أداء الشعائر، إلى آخر لحظة مــن حياتــه الطاهرة.

رأي الشيخ عبد الواحد يحيى

ويقول الشيخ عبد الواحد يحى المستشرق الفرنسي المسلم:

[وقد يكون من المحتمل أن نرى أحد ممثلي الشريعة يجهل التصوف، وإن كان جهله لا يبرر إنكاره، ولكن ليس من المحتمل وليس من الطبيعي أن يجهل رجل التصوف ميدان الشريعة، ولو من جانبها العلمي. ذلك أن الأكثر، وهو: التصوف، يتضمن بالضرورة الأقل، وهو "الشريعة".

على أن نظرة من يريد أن يسلك السلوك الصوفي، إلى الشريعة، من حيث عدم أهميتها على الخصوص، أهمية الجانب العملي منها بالنسبة له... هذه النظرة تتضمن ولو نظرياً، تقليل أهمية الجانب العملي في التصوف نفسه...وفي هذه الخطورة كل الخطورة، فإنه من المشكوك فيه كثيراً، أن يتوفر للشخص الذي عنده هذه الفكرة، الاستعداد الصوفي، ومن الخير له أن يلتزم الشريعة التزاماً كلياً قبل أن يبدأ السلوك، فإذا لم يمكنه التزامها فلا خير فيه، بالنسبة للجانب الصوفي.

إن تقليل شأن الشريعة إنما هو مظهر من مظاهر الروح التي لا

تبالي بما أنزل الله وعادة تكون الروح الخاضعة لما أنزل الله هو أول خطوة في طريق السالكين.]

ثم يفصل ذلك بأسلوب أوضح فيقول :

[إن الإنسان لا يشيِّد القصر في الهواء، إنه يشيِّده على أساس، وكل فكرة لا ترتكز على أساس من السنة الصحيحة: إنما هي بناء في الهواء، إنها بناء على غير أساس. والبناء الذي يمكن أن يبقى على الدهر لا بد له من أساس مدعم، وعلى الأساس يرتكز البناء كله، حتى الأجزاء العليا منه، والارتكاز على الأساس يستمر حتى بعد انتهاء البناء، وعلى هذا النمط تكون النسبة بين الشريعة والتصوف، فالشريعة الصحيحة هي الأساس الذي لا بد منه لكل سالك، وكالأساس تماماً، لا يمكن طرح الشريعة بعد سلوك الطريق.

بل نقول أكثر من ذلك:

إنه كلما سار التصوف في طريقه واستغرق فيه، بدت له ضرورة الشريعة، واستنارت معرفته بها، وأصبح فهمه لها أكثر عمقاً وأكثر دراية بحقيقتها من هؤلاء الذين درسوها وآمنوا بها، دون أن يضربوا بهم في الميدان الصوفي يعيش في جوها الروحي، ويحياها، إذا أمكن هذا التعبير، وإذا كان لا يُقبل من رجل دين أن يعلن تدينه، دون أن يجعل للشريعة السيطرة على قياده، فإنه لا يُقبل من باب أولى من رجل التصوف أن يزعم انتسابه إلى الصوفية، دون أن تسيطر شعائر الدين والتزاماته على حياته].

التأسي برسول الله في الجهاد

يقول صاحب عوارف المعارف :

[الصوفي: هو الذي يكون دائم التصفية ...!!لا يزال يصفّي الأوقات عن شوب الأكدار، بتصفية القلب عن شوائب النفس، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه.فبدوام الافتقار ينقى من الكدر، وكلما تحركت النفس، وظهرت بصفة من صفاتها، أدركها ببصيرته النافذة وفرّ منها إلى ربه.فبدوام تصفيته جمعيته، وبحركة نفسه تفرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه، وقائم بقلبه على نفسه... قال تعالى :

﴿ كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [٨ المائدة]

وهذه القوامية لله على النفس، هي التحقيق بالتصوف.،

ويقول في موضع آخر: والصوفي :

- يضع الأشياء مواضعها.
- ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم.
- يقيم الخلق مقامهم.
- ويقيم أمر الحق مقامه.
- ويستر ما ينبغي أن يستر.
- ويظهر ما ينبغي أن يظهر.
- ويأتي بالأمور في مواضعه ا، بحضور عقل، وصحة توحيد، وكمال معرفة، ورعاية صدق وإخلاص.]

لقد أخذ الصوفية على أنفسهم التأسي بالرسول ﷺ فيمـــا دق مـــن الأمور، وما وضح منها، وفي اليسير من أعمالهم، والعظيم منها.

ومن أمثلة ذلك:

كان شقيق البلخي وهو من قمم الصوفية الشامخة، يسارع إلى خوض المعارك لا يبالى على أي جنب كان في الله مصرعه، ولقد وصلت ثقته بالله، إلى حد أنه – وهو لا يرى إلا سيوفا مصلتة ورقاباً تقطع، ورءوساً تتساقط – يقول لمن بجواره في هذا الجو :كيف ترى نفسك؟

أترى نفسك في سعادة تشبه سعادتك في الليلة التي زفت فيها امرأتك إليك؟....فأجابه الذي بجواره:

لا والله، فقال شقيق: لكنى والله أرى نفسي في هذا اليوم، مثلـــها في الليلة التي زفت فيها امرأتي إلي.

وشخص آخر – هو من قمم الصوفية أيضاً– إنه حاتم الأصم:

كان يدخل المعارك، ويخوضها في غير فزع ولا خوف، لقد كان كيانه كله في ثقة مطلقة بالله، وهذه الثقة تتمثل أجمل ما يكون التمثـــل، حينمـــا أخذوه أسيراً وطرحوه أرضاً، وجثم العدو على صدره ليذبحه، إنه يـــصف شعوره وهو في هذه الحالة فيقول :

لم يشتغل به قلبي، بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى فيّ، فبينما هـــو يطلب السكين التي يذبح بها، أصابه سهم فقتله، وقمت سليماً معافى.

وإذا قفزنا في ساحة الزمن، قفزة واسعة، فوصلنا إلى معركة المنصورة، مع الفرنجة فإننا نجد كبار المؤمنين، وصفوة الصوفية في قلب المعركة :

أبو الحسن الشاذلي وهو من صفوة الصفوة الصوفية:

وهو قد تجاوز الستين وكان قد كف بصره، ومع ذلك تـرك بيتـه وذهب إلى المنصورة، مساهماً في المعركة بقدر اسـتطاعته، وفي ليلـة مـن الليالي، رأى رسول الله ﷺ في رؤيا طويلة وأصبح ﷺ يبشر بالنصر.

وكذلك عبد القادر الجزائري:

كان من كبار الصوفية– ومن كبار القادة في الحرب فى تحرير الجزائر، ولقد حارب الاستعمار في الجزائر، وفعل بإيمانه القوي، وصوفيته العميقـة الأعاجيب في الشجاعة والإقدام.

الصوفية والتحلل من الشريعة الإسلامية

من المدهش أن نجد بعض من يزعمون الانتساب إلى التصوف يقللون من ضرورة التمسك بالشريعة، أو يهملون العمل بها، وهؤلاء خالفوا كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ لأنهم تركوا العلم والآداب، وجانبوا الصواب.

وفيهم يقول القائل :

"رضوا من التواضع بترقيع الملبوس، ومن التصوف بتزيين الرؤوس، واقتصروا في العبادة على مشى النقباء أمامهم وحمل السجادة، وفي الزهد والجلادة على تخشين الفراش والوسادة".

ولقد أجاد من وصفهم بقوله:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

فالخير كله في الإتباع، وقد سئل الإمام الغزالي ﷺ عن معنى : ارتفاع التكليف عن الولي ؟

فأجاب كما ذكر السبكي في طبقات الشافعية بقوله :

"معنى ارتفاع التكليف عن الولي: أن العبادة تصير قرة عينه، وغذاء روحه، بحيث لا يصبر عنها ولا يكون عليه كلفة فيها.

وهو كالصبي يكلف حضور المكتب، ويحمل على ذلك قهراً، فإذا اكتمل بالعلم، صار ذلك ألذ الأشياء عنده، ولم يصبر عنه، فلم يكن فيه كلفة، وتكليف الجائع ليتناول الطعام اللذيذ محال لأنه يأكله بشهوة ويلتذ به، فأي معنى لتكليفه؟

فإذن تكليف الولي محال، والتكليف مرتفع عن الولي بهذا المعنى لا بمعنى انه لا يصوم، ولا يصلى، ويشرب ويزني، وكما يستحيل تكليف العاشق النظر إلى معشوقه، وتقبيل قدميه، والتواضع له، لأن ذلك منتهى شهوته ولذته ... فكذلك غذاء روح الولي، في ملازمة ذكره، وامتثال أمره، والتواضع له بقلبه، لا يمكنه إشراك القالب مع القلب في الخضوع إلا بصورة السجود فيكون ذلك كمالاً للذة الخضوع والتعظيم، حتى يشترك في الالتذاذ قلبه وقالبه كما قيل :

ألا فاسقني خمراً ... وقل لي هي الخمر

أي ليدرك سمعي لذة اسمه، كما أدرك ذوقي طعمه، بل تنتهي لذة الولي من القيام لربه قانتاً مناجياً، إلى أن يدرك الورم من القدم.... فيقال له: ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً."

ونختم كلامنا في هذا الموضوع بهذا الكلام المحقق للـــدكتور حـــسن الشرقاوي في تعليقه على كتاب الكوكب الشاهق للشعراني:

"إن اتهام الصوفية بأنهم يرفعون التكاليف والفرائض الشرعية، قـــول مردود، ودعوى كاذبة، فالصوفية يؤمنون إيمانا راسخاً بأنه لا شريعة بـــلا حقيقة، ولا حقيقة بلا شريعة، فمن تشرع ولم يتحقق فقد تفسّق، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق.

فأعمال القلوب يجب أن ترتبط بأعمال الجوارح، فلا تباين بينها، ولا تناقض ولا انفصال.

ولكل عضو من أعضاء الجسم وظيفته الـــتي يجـــب أن يؤديهـــا في معاملاته، وعباداته، وتكاليفه الشرعية، كما أن عقل الإنسان ونفسه وقلبه جميعاً يجب أن تتكامل مع جوارحه بالتقرب إلى الله تعالى، فإذا ما انفـــصلت أعمال الجوارح عن أعمال القلوب، فسدت النفس والبدن جميعاً.

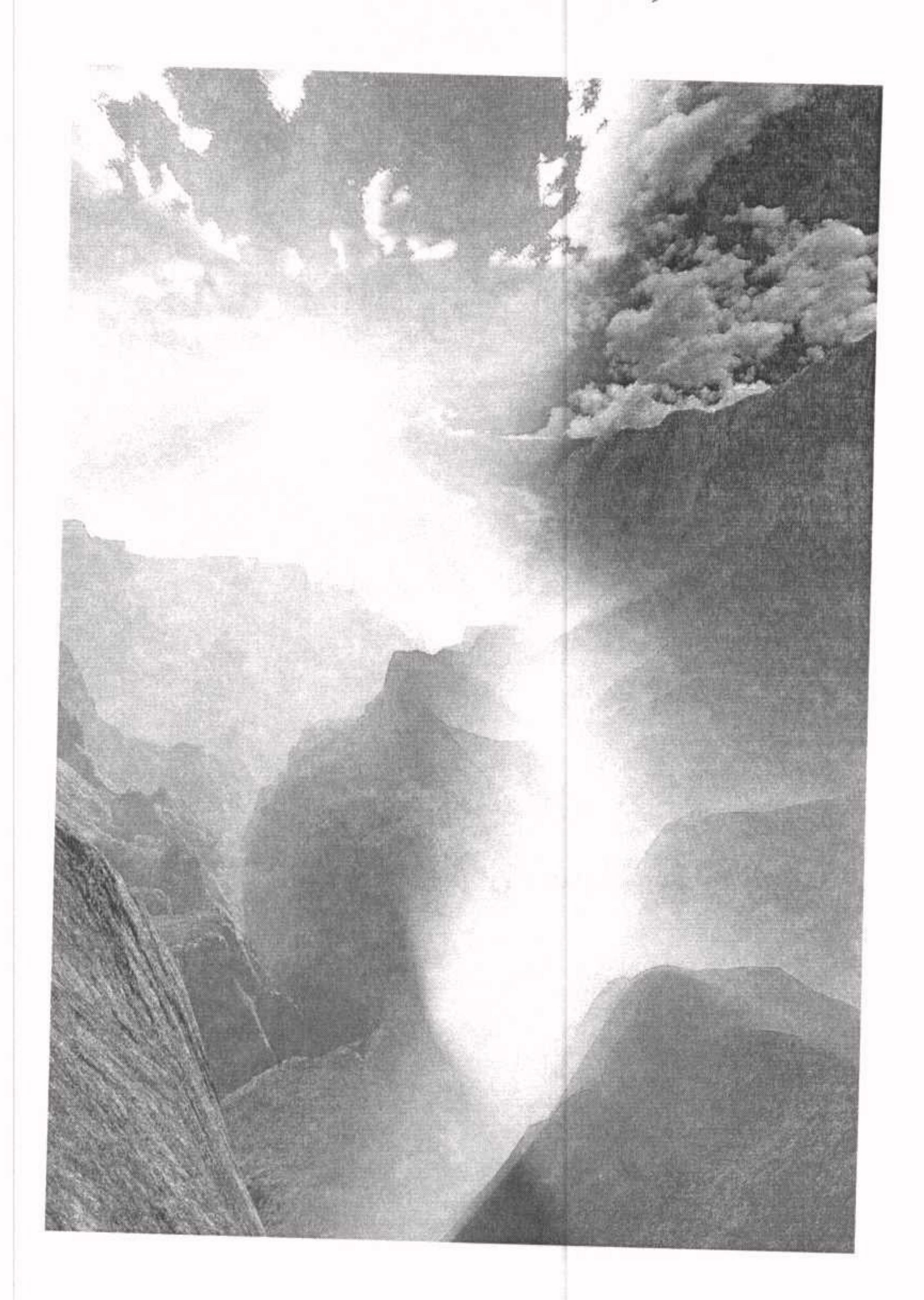
فكيف يمكن أن يقال بعد ذلك أن الصوفية قـــوم خمـــول وتبطُّـــل وتكاسل !، وأنهم يدعون إلى رفع التكاليف الشرعية !، وهم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الكريم.

ويبدو للمتأمل السليم القلب أن هناك اختلافاً بينا بين أهـــل الحـــق الذين يتبعون شريعة الله وسنة رسوله وبين المبتدعة الذبن يخالفون قـــول الله وسنة رسوله فيبتدعون أعمالاً وأفعالاً من عند أنفسهم، ويؤولون كلام الله؛ فيحرمون أشياءاً، ويبيحون أشياءاً، بحسب أهوائهم.

وهؤلاء ليسوا من الصوفية، إنما هم دخلاء على أهل الله، وهم مـــن مرضى القلوب... يزعمون أنهم من الصوفية !!! ، وهم إلى الكفر أقـــرب منهم إلى الإيمان."

البَابُ الثَّالِثُ
أَئِمَّةُ الصُّوفيَّةِ الأوَّلين

- **الإمام أبو بكر الصديق** رضي الله عنه
- **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه
- **عثمان** رضي الله عنه
- **على بن أبي طالب** رضي الله عنه
- **نماذج من أحوال الصحابة الكرام الصادقة**



أئمة الصوفية الأولين

إذاً يا إخواني: البداية شرعية، والنهاية صوفية.

والبداية حاكمة، ما دام في دار الدنيا الدنية لأنه قدوة يقتدي بـه في هذه الدار، فلا بد أن يكون أكمل الناس اتباعا للحبيب المصطفى لأنه إمام لمن خلفه من أهل الصفا والوفا، حتى قال إمامنا أبو العزائم في هذا المقام في كتابه (مذكرة المرشد والمسترشد) :

"على الداعي أن يتنـزل للمريدين ويقوم معهم بالأعمال البدنية وإن كان وصل لمقامات الكمال حتى يتعلموا منه ويقتدوا بهديه"

بمعنى انه ينبغي ألا يقول : أنا داعي !!، وليس مهمـا أن أصـلي في الجامع مع الناس لأنني حاضر مع الله على الدوام !!.لأنه إمام يقتدي بـه ويهتدي بهديه، فلابد أن يكون أول الناس قياما بالحقوق الشرعية، مهمـا كان في المقامات الحقية ودرجات القرب عند رب البرية ﷻ، وهذا حـال الأئمة والدعاة وحال الصوفية الصادقين في كل زمان ومكان.

الإمام أبو بكر الصديق

ولذلك: ... من هو أول إمام اقتدى به المتصوفة بعد سيدنا رسـول الله ؟ لا خلاف أنه سيدنا أبو بكر الصديق، وبعده الفاروق، وبعده سـيدنا عثمان، وبعده الإمام علي، لأنهم كانوا أئمة، شرعاً وتحقيقاً.

فلم يكن في عصرهم انفصام بين الشريعة والحقيقة كما نـرى الآن، لكنهم كانوا رجال الشريعة وهم في نفس الوقت أئمة الحقيقة.

فكان سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ قـدوة الـصوفية في التخلـي للتحلي والتجلي، فهو أول من تخلى عن كل ما يملك من الدنيا رغبـة في الآخرة، وقد وضح ذلك في قول الحبيب ﷺ له :

{ ماذا خلفت لأهلك؟ قال الله ورسوله }[1]

و الحبيب ﷺ لم يناقضه ولم يأمره بخلاف ذلك لأنه رآه أهلا لذلك فهو إمام في هذا المقام في مقام التخلي. أو فيما يسمى في مقامات الصالحين مقام التجريد، فحال التجريد الذي انفرد به الأقطاب في كل زمان ومكان بـأن جردوا أنفسهم من الدنيا والشهوات والحظوظ والأهواء والملذات فخلـع عليهم الله ﷻ خلع الكمالات الإلهية والمزايا والخصوصيات المحمدية.

هذه الأحوال للأئمة، مَنْ إمامهم فيها؟

الإمام أبو بكر الصديق ﷺ وأرضاه.

وكذلك سر الوصول إلى الجناب العالي ما هو؟ ومن الإمام في هـذا المقام الذي اقتدى به الصـوفية على مدى الدهور والأيام والأعوام؟

سيدنا أبو بكر الصديق. لأننا لو فسرنا كل مـا قالـه الـصالحون السابقون واللاحقون، فإنه لا يخرج عن قول الصديق مخاطبا للحبيب ﷺ:

أحبك حبا لو يفاض يسـيره... على الناس مات الناس من شدة الحب

وما أنا موف بالذي أنت أهله... لأنك في أعلى المراتب مـن قلبـي

فأول إمام في مقامات التمكين من الأولين والآخرين هو سـيدنا أبو بكر الصديق، لأن حبه لسيدنا رسول الله الذي لا يضاهى ولا يماثـل لم يجعله يفقد وعيه، كما حدث لأصحاب الحبيب عند انتقالـه إلى الرفيـق

[1] عن عمر بن الخطاب في المحلى { أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة فأتى أبو بكر بماله كله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله}.

الأعلى، بل مكّنه الله وكان هو الذي ثبَّتهم ومكّنهم.

فسيدنا عمر مع شدته وقوته، أمسك السيف وقال: من قال إن محمداً قد مات قطعت عنقه بهذا السيف، وسيدنا عثمان أُخِذ فقعــد ولم يــستطع القيام والنهوض من شدة ما حدث له عندما علم بهذا الخبر، وغيره وغيره.

لكن صاحب التمكين هو الذي ظهر في هذا المكان وهو الذي وقف ودخل عليه وكشف وجهه وقبّله من جبينه وقال: طبت حياً وميتاً يا رسول الله، ثم خرج فقال : من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كــان يعبد الله فإن الله حي لا يموت...:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران]

سيدنا عمر بلغ به الأمر أن قال :و الله كأني ما سمعت هذه الآيــة إلا الآن، لأنه سمعها من رجل من أهل التمكين.

فإمام أهل التمكين هو سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ومع ذلك آتاه الله عز وجل الفراسة النورانية في أكثر من موضع:

فعندما اجتمع أصحاب رسول الله وقرروا أن يبقــى بعــث أســامه وقالوا: مازال الناس حديث عهد بالجاهلية، وقد ارتد كــذا وكــذا مــن العرب....كانت فراسته حيث قال :

"و الله لو تخطفتني الطير بالمدينة ما أبقيت بعثا بعثه رسول الله ﷺ".

و أرسل بعث أسامه، فكانت فراسته هي سبب القضاء على الــردة لأن القوم (العرب والروم) عندما رأوا أسامة يتجه إلى الــشام، عرفــوا أن

الإسلام مازال فتياً وقوياً، وقالوا:

لو لم يكن عند المسلمين قوة ما أنفذوا بعث أسامة.فرجع كثير منـــهم عن تفكيره في الردة، ثم بعد ذلك اجتمعوا على أن يصالح العرب ويتركهم ويهادهم إلى حين، وأصرَّ؛ وكان في ذلك نجاة الدين.

فكأن أبوبكر هو الذي أقام الدين بعد حبيب رب العـــالمين ﷺ ؛ حتى أنه ثار على عمر وقال: مالك يا عمر أجبَّارٌ في الجاهلية، وخـــوَّارٌ في الإسلام ! والله لو منعوني عناقاً – يعني ماعزا – كانوا يعطونه لرســـول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.

وهي هي الفراسة التي كانت مع أبو بكر الصديق ﷺ والروح الـــتي نفخ بها فيمن حوله فجعلهم على هذه الصلابة وعلى هذه القـــوة، هـــذه الروح التي يقول فيها سيدي محي الدين بن العربي ﷺ: لو ظهـــرت روح أبو بكر الصديق لهزمت جيشا بأكمله.

ومازال سيدنا أبو بكر الصديق: يواصل العطـــاء، يوجـــه الأئمـــة والفحول، مناما ويقظة، ويوصيهم، ويعلمهـــم، ويـــوجههم، ويهـــذبهم، ويقويهم، بروحه العالية وحالته الراقية ﷺ وأرضاه.

وكذلك له كرامات؛ كما للصالحين أجمعين، وكما للصديقين في كل وقت وحين : فقد قال لعائشة رضي الله عنها: أني كنت نحلتك نحلا إنما هو أخواك وأختاك، وما عرفت عائشة إلا أخوين وأختا، وكانت لأبي بكر جارية حبلى، فقال: لقد ألقي في روعي أنها أنثى؛ فهذا أتم مـــا كـــان في الفراسة والإلهام؛ التي قال فيها النبي ﷺ :

{ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى }[2]

[2] سنن الترمذى عن أبي سعيد الخدري

ولأبي بكر ﷺ معان أخرى مما تعلق بها أهل الحقـــائق وأربـــاب القلوب وإن ذكرنا جميع ذلك طال الكتاب :

فقد حكي عن بكر بن عبد الله المزني أنه قال: ما فاق أبو بكر ﷺ جميع أصحاب رسول الله ﷺ بكثرة الصوم والصلاة، ولكن بشيء كـــان في قلبه، قال بعضهم: الذي كان في قلبه الحب لله ﷻ والنصيحة له.

ويقال إن أبا بكر ﷺ كان إذا دخل وقت الصلاة يقول:

يا بني آدم قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها.

وروي عنه أنه أكل طعاما من شبهة، فلما علم به تقيأ، وقال :

والله لو لم تخرج إلا مع روحي لأخرجتها، سمعت رسول الله ﷺ يقول { بدن غُذّي بحرام فالنار أولى به }[3].

وكان يقول :

وددت أن أكون خضراء تأكلني الدواب، ولم أُخْلق مخافة العـــذاب وهول يوم الحساب.

وروي عن أبي بكر الصديق أنه قال :

ثلاث آيات من كتاب الله ﷻ اشتغلت بها عما سواها إحداها :

قوله :

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [الآية (١٠٧) يونس]

فعلمت أنه إن أرادني بخير لم يقدر أحد أن يرفع عني غيره، وإن أرادني

[3] المستدرك على الصحيحين للحاكم عن أبي بكر الصديق ﷺ عن النبي ﷺ :{من نبت لحمه من السحت فالنار أولى به}.

بشر لم يقدر أحد أن يصرف غيره.

و الثانية قوله :

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [الآية (١٥٢) البقرة]

فاشتغلت بذكر الله تعالى عن كل مذكور سوى الله.

والثالثة قوله :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ [(٦) هود]

فوالله ما هممت برزقي منذ قرأت هذه الآية.

ويقال: إن هذه الأبيات لأبي بكر الصديق ﷺ :

يا مـــن ترقّع بالدنيا وزينتهـــــا ... ليس التـــرفع رفع الطين بالطين

إذا أردت شريف الناس كلهـــم ... فانظر إلى ملك في زي مسكين

ذاك الذي عظمت في الناس رأفته ... وذاك يصلح للدنيا وللديـــــن

وحكي عن الجنيد أنه قال : أشرف كلمة في التوحيد؛ قـــول أبي بكر: سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته؛ إلا بالعجز عن معرفته.

سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ

وأما عمر بن الخطاب ﷺ ؛ فإنه قد روي عن النبي ﷺ أنه قال:

{ لقد كان في الأمم مُحدّثون ومُكلّمون فإن يك في هذه الأمة فعمر }[٤].

سُئل بعض أهل الفهم عن المُحدَّث، فقال :

---

[٤] رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وعائشة.

أعلى درجة من درجات الصديقين. ودلائل ذلك ظهرت عليه...:

وهو ما ذُكر عنه أنه كان يخطب فصاح، فقال في وسط خطبته: يا سارية الجبل !!، وسارية في عسكر على باب نهاوند، فسمع صوت عمر، رضي الله عنه وأخذ نحو الجبل وظفر بالعدو.

وقيل لسارية: كيف علمت ذلك؟

فقال: سمعت صوت عمر رضي الله عنه ...يقول: يا سارية الجبل..! الجبل..!

وروي عن أبي عثمان النهدي، أنه قال: رأيت على عمر، رضي الله عنه قميصاً فيه اثنا عشر رقعة وهو يخطب.

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: رحم الله امرءا أهدى إلي عيوبي.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال :

{ الشيطان يفرق من ظل عمر }[٥].رضي الله عنه

وقال عمر رضي الله عنه : من خاف الله تعالى لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يفعل كلما يريد، ولولا القيامة لكان غير ما ترون.

ويقال أنه أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني لم تلدني أمي، يا ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أك شيئاً.

وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ما ابتليت ببلية إلا كان لله علي فيها أربع نعم: إذ لم تكن في ديني، وإذ لم تكن أعظم منها، وإذ لم أحرم الرضا فيها، وأن أرجو الثواب عليها.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين، لم أبال أيهما ركبت.

---

[٥] رواه الألباني في السلسلة الصحيحة عن بريدة بن الحصيب الأسلمي.

وجاء رجل إلى عمر ﷺ ، فشكا إليه الفقر..، فقـال : عنـدك عشاء ليلتك ؟، قال: نعم..، قال: لست بفقير.

وروي عن علي ﷺ أنه قال:ما على وجه الأرض أحد أحبّ إلي أن ألقى الله تعالى بمثل صحيفته إلا هذا المسجى عمر ﷺ .

قال: ورأى علي ﷺ ، يوما عمر ﷺ ، وهـو يعـدو في وقـت الهاجرة، فسأله عن عدْوه؟ فقال: قد أُغير على إبل الصدقة، فرحت أعـدو في طلبها، قال: فقال علي ﷺ:

" قد أتعبت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين"

ولأهل الحقائق أسوة وتعلق بعمر ﷺ، بمعاني خُص بذلك عمر ﷺ من اختياره :

- **لبس المرقعة، والخشونه.**
- **وترك الشهوات.**
- **واجتناب الشبهات وإظهار الكرامات.**
- **وقلة المبالاة من لائمة الخلق عند انتصاب الحق، ومحق الباطل.**
- **ومساواة الأقارب والأباعد في الحقوق.**
- **والتمسك بالأشد من الطاعات.**
- **وغير ذلك مما روي عنه وبيانه يطول.**

وأما ما روي عن عمر ﷺ :

أنه رأى جماعة جلوساً في المسجد فأمرهم بطلب الكسب، والـذي كتب به إلى سلمان : فلعله عرف منهم عجزا في جلوسـهم وطمعهـم في

الناس أو غير ذلك، فلذلك أمرهم بطلب الكسب لأن النبي ﷺ وأبا بكـــر وعمر رضي الله عنهما ، قد رأوا أصحاب الصُفَّة وهم نيّف وثلاثمائة، ولم يكرهوا ذلك، ولم يؤمروا بالخروج من المسجد وطلب المعاش.

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد: إن شئت نزعت درعي هذه حتى تلبسها، فقال له زيد: أنا أيضا أحب الشهادة كماتحبها أنت، وهذه إشارة عظيمة منهما تدل على حقيقة التوكل.

وقد روي عن عمر رضي الله عنه، أنه قال:

وجدت العبادة في أربعة أشياء:

- أولها: أداء فرائض الله تعالى.
- والثاني: اجتناب محارم الله تعالى.
- والثالث: الأمر بالمعروف ابتغاء ثواب الله تعالى.
- والرابع: النهي عن المنكر اتقاء غضب الله تعالى.

وأشباه ذلك كثيرة، وفي القليل كفاية.

عثمان بن عفان رضي الله عنه

أما ذو النورين، سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد خص بـــالتمكين؛ والتمكين من أعلى مراتب المتحققين.

ومما يتعلق به أهل الحقائق من أهل التصوف بعثمان بن عفان رضي الله عنه :

ما روي عن بعض المتقدمين أنه سُئل عن الدخول في السعات :

فقال: لا يصح إلا للأنبياء والصديقين، والدخول في السعة التي هــي من أحوال الصديقين أن يكون داخلا في الأشياء خارجا منها، وأن يكــون مع الأشياء بائناً عنها.

- كما سئل يحيى بن معاذ ﷺ عن صفة العارف فقال :

رجل كائن معه، بائن عنهم.

- وسئل ابن الجلاء رحمه الله، عن الفقير الصادق فقال :

يكون دخوله في الأشياء لغيره لا لنفسه.

- وهذا وصف حال عثمان ﷺ، لأنه قد روي عنه أنه قال :

لولا أني خشيت أن يكون في الإسلام ثُلْمة أسدّها بهذا المال ما جمعته.

- وعلامة من يكون هذا حاله: أن يكون الإنفاق أحب إليــه من الإمساك، والخرج عنده آثر من الدخل؛ كعثمان ﷺ في تجهيزه جــيش العسرة، وشراءه بئر رومة حتى قال رسول الله ﷺ :

{ ما ضرّ عثمان ما عمل بعد هذا اليوم }[6].

- وروي عنه أنه بعث إلى أبي ذر ﷺ، بكيس فيها ألف درهم، ودفعها إلى عبد له وقال: إن قبلها فأنت حر لوجه الله تعالى، فــدل

ذلك على أن أمواله كانت مستعدة لمثل هذه الجهــات ولا يــصح هــذا الحال إلا لعبد كامل المعرفة.

- قال سهل بن عبدالله، رحمه الله :

لا يصح الدخول في السعة إلا لعبد يعرف الإذن :

[6] المستدرك على الصحيحين للحاكم عن عبد الرحمن بن سمرة

إذا أَذِن الله له أن ينفق أنفق على مقدار ما يأذن الله تعالى له، وإن أمسك على حسب ما يأذن الله تعالى له.

ويكون قيامه في ما يجمع الله عليـــه مـــن الأمـــوال للحقـــوق لا للحظوظ، فيكون مثله كمثل الوكيل يتصرف في مال صاحبه تـــصرف المالكين بإذن رب المال، وهو مكان صعب وقد غلط في ذلك خلق كثير بدعواهم هذا الحال وهم عبيد الدنيا، وعندهم أنهم من هؤلاء.

- وقد حُكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله، أنه قال:

ربما يملك العبد الدنيا، ويكون أزهد الخلق في زمانه.، فقيل له :

مثل من؟ فقال: مثل عمر بن عبد العزيز.

وكان ﷺ (أعني عمر بن عبد العزيز) في خلافته يميـــز بـــين الزيت الذي يسرج لنفسه والزيت الذي يسرج للعامة، وكان يضع سراجه على ثلاث قصبات، وفي يده خزائن الأرض.

- فمن هاهنا غلط مـــن غلـــط في تـــشريف الغـــنى علـــى الفقر,وذهب عليه أن هؤلاء لم يكونوا أغنياء بأعراض الدنيا، ولا فقراء بما يعدمون من الدنيا، لأن غناهم بالله وفقرهم إليه.

ومما يتعلق به أهل الحقائق بعثمان ﷺ، ما روي عنه أنه حمل حزمة حطب من بعض بساتينه، وكان له عدة مماليك، ..فقيل له :

لو دفعتها إلى بعض عبيدك..!

فقال: إني قد استطعت أن أفعل ذلك، ولكن أردت أن اجرب نفسي هل تعجز عن ذلك ؟ أو هل تكره ذلك ؟ فدل ذلك أيضا على أنه كان لا يدع افتقاد نفسه، وكان يفتقد رياضة نفسه لئلا يسكن إلى ما جمع إليه من

الأموال لأنه ليس في ذلك كغيره.

وروي عنه أنه كان يقرأ بالسبع الطوال في ركعة واحدة خلف المقام وهو مقنّع رأسه بالليل.

وروي عنه أنه قال: ما تمنّيت ولا تعنّيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ومما يدل على تخصيصه بالتمكين والثبات والاستقامة ما روي عنه: أنه يوم قُتل لم يبرح من موضعه، ولم يأذن لأحد بالقتال، ولا وضع المصحف من حجره إلى أن قُتل، وسال الدم على المصحف وتلطخ بالدم، ووقع الدم على موضع هذه الآية:

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١٣٧، البقرة]

والتمكين حال رفيع، كان عمرو بن علوان يقول: سمعت الجنيد رحمه الله ليلة من الليالي وهو يقول في مناجاته: إلهي أتريد أن تخدعني عنك بقربك، أم تريد أن تقطعني عنك بوصلك، هيهات هيهات، قلت لأبي عمرو: ما معنى قوله هيهات هيهات؟ قال: التمكين.

وروي عن عثمان أنه قال:

وجدت الخير مجموعا في أربعة:

- أولها: التحبب إلى الله تعالى بالنوافل,
- والثاني: الصبر على أحكام الله تعالى.
- والثالث: الرضا بتقدير الله.
- والرابع: الحياء من نظر الله.

علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه

قال أبو علي الروزباري، سمعت الجنيد رحمه الله يقول:

رضوان الله على أمير المؤمنين علي ﷺ، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة، ذاك امرؤ أُعطي العلم اللدني، والعلم اللدني هو العلم الذي خُصّ به الخضر عليه السلام، قال الله تعالى:

﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة الكهف].

ولأمير المؤمنين علي ﷺ خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله ﷺ بمعاني جليلة، وإشارات لطيفة، وألفاظ مفردة، وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم، وغير ذلك.

وخصال شريفة تعلق وتخلق بها أهل الحقائق من الصوفية وإن ذكرنا ذلك كله طال به الكتاب، ولكن نذكر من ذلك طرفاً نكتفي به عن التطويل إن شاء الله :

فمنها لما سُئل أمير المؤمنين ﷺ، وقيل له: بم عرفت ربك؟ فقال:

" بما عرفني نفسه، لا تشبهه صورة، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده بعيد في قربه، فوق كل شيء ولا يقال شيء تحته، وتحت كل شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يقال شيء أمامه، داخل في الأشياء، لا كشيء ولا من شيء، ولا في شيء، ولا بشيء، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره."

وكان أمير المؤمنين، ﷺ يقول في خطبته:

خلق الأشياء لا من شيء كان معه، ولا عن شيء احتذاه، ولا عن

شيء امتثله، فكل صانع فمن شيء صنع، وكل عالم فمن بعد جهل علم، و الله تعالى عالم لا من بعد جهل.

وقول في الإيمان كما ذكر عنه عمرو بن هند قال :

سمعت علياً ﷺ، يقول: الإيمان يبدوا لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان ازداد القلب بياضا، فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب، فكلما ازداد النفاق ازداد القلب سوادا، فإذا استكمل اسود القلب.

وقام رجل إلى علي بن أبي طالب ﷺ، فسأله عن الإيمان، فقال: الإيمان على أربع دعائم، على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد، ثم وصف الصبر على عشر مقامات، وكذلك اليقين والعدل والجهاد، فوصف كل واحد منها على عشر مقامات.

وبذلك فهو أول من تكلم في الأحوال والمقامات.

وقيل لأمير المؤمنين ﷺ، من أسلم الناس من سائر العيوب؟ قال:

من جعل عقله أميره، وحذره وزيره، والموعظة زمامه، والصبر قائده، والاعتصام بالتقوى ظهيره، وخوف الله تعالى جليسه، وذكر الموت والبلى أنيسه.

وقال علي ﷺ، في حديث كُميل بن زياد :

ها إن ها هنا عِلم لو وجدت له حملةً !! وأشار إلى قلبه، فكان تخصيصه من بين الصحابة بالبيان والعبارة عن التوحيد والمعرفة، والبيان من أتم المعاني وأعلى الأحوال، قال الله تعالى [١٨٧ آل عمران]:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ ﴾

وقال تعالى::

﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [الآية (١٣٨) آل عمران].

ولا يبلغ العبد كمال الشرف إلا بالبيان لأنه ليس كل من عقل يعلم، ولا كل من علم يحسن أن يبين، فإذا أعطى العبد العقل والعلم والبيان فقد بلغ إلى الكمال.

والمشهور عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا إذا أشكل عليهم شيء من أمور الدين سألوا علياً ﵁، فكان يبين لهم الذي يشكل عليهم.

وروي عن علي، ﵁ أنه كان يقول:

أحبب حبيبك هوناً ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوما ما.

وذكر عنه أيضا: أنه وقف على باب الخزانة – خزانة الأموال – وقال: يا صفراء ويا بيضاء غُرّي غيري.

وذكر عنه أيضا: أنه لبس قميصا شراه بثلاثة دراهم، فقطعه من رأس أصابعه وذكر عنه أنه عمل بأجرة، فأخذ أجرته مُدّاً من تمر، وحمل ذلك إلى رسول الله ﷺ فتقوّت به.

وروي عنه أنه قال لعمر بن الخطاب: إذا أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك، واخصف نعلك، وقصر أملك، وكُلْ دون الشبع.

وروي عن عمر ﵁، أنه قال: لولا علي – ﵁ – لهلك عمر.

ويقال أنه لما قُتل ﵁، صعد الحسن ﵁ منبر الكوفة وقال: يا أهل الكوفة لقد قُتل بين ظهرانيكم أمير المؤمنين، ﵁، والله إنه ما خلّف من الدنيا شيئا إلا أربعمائة درهم، وكان قد عزلها ليشتري بها خادما يخدمه.

ويقال: إن علياً، ﷺ، كان إذا جاء وقت الصلاة يتزلزل ويـــتغير لونه فيقال له: مالك يا أمير المؤمنين؟..فيقول :

جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السموات والأرض والجبـــال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، فلا أدري أُحسن أداء مـــا احتملت أم لا.

وقال علي رضي الله عنه: ما أنا ونفسي إلا كراعي غنم كلمـــا ضمها من جانب انتشرت من جانب.

ولعلي ﷺ، أشباه ذلك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال التي يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الإشارات وأهل المواجيد من الصوفية.

فمن ترك الدنيا كلها وخرج من جميع ما يملك وجلس على بساط الفقر والتجريد بلا علاقة فإمامه فيه أبـــو بكـــر الـــصديق رضي الله عنه.ومن أخرج بعضها وترك البعض لعياله ولصلة الـــرحم وأدار الحقوق فإمامه فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.ومن جمع لله ومنـــع لله وأعطى لله وأنفق لله فإمامه فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه.ومن لا يحوم حول الدنيا وإن جُمعت عليه من غير طلبه رفضها وهـــرب منـــها فإمامه في ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وروي عن علي ﷺ، أنه قال:

الخير كله مجموع في أربعة:

الصمت والنطق والنظر والحركة، فكل نطق لا يكون في ذكـــر الله تعالى فهو لغو، وكل حركة لا تكون في تعبد لله فهي فترة، فـــرحم الله عبداً جعل نطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة، وحركته تعبدا، ويـــسلم الناس من لسانه ويده.

نماذج من أحوال الصحابة الكرام الصادقة

وأما طلحة بن عبيد الله ﷺ :

فقد روي عن زياد بن حُدَير أنه قال: رأيت طلحة بن عبيـــد الله ﷺ، فوق مائة ألف في مجلس وإنه ليخيط طرف إزاره بيده.

وأما معاذ بن جبل ﷺ :

فقد روى الحارث بن عميرة قال: إني لجالس عند معاذ بن جبل ﷺ، وهو يجود بنفسه ويقول: اخنق خنقك فوعزتك أني لاحبك.

وأما عمران بن حصين ﷺ :

قال: وددت أني كنت ترابا تذريني الرياح ولم اخلق مخافة العذاب.

وقال ثابت البناني رحمه الله: أنه – يعني عمران بن حصين – ﷺ، اشتكى بطنه ثلاثة وثلاثين سنة، فدخل عليه أصحابه يعودونه، فقالوا: يمنعنا من الدخول عليك طول شكايتك، فقال:

لا تفعلوا ذلك؛ فإن أحبه إلى ربي أحبه إلي.

وأما سلمان الفارسي ﷺ :

فقد قيل: إنه لما نزلت هذه الآية:

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة الحجر]

صاح صيحة ووضع يده على رأسه، ثم خرج هاربا ثلاثة أيام.

وفي الخبر أن سلمان ﷺ، زار أبا الدرداء ﷺ، مـــن العـــراق إلى الشام راجلاً وعليه كساء غليظ مضموم الرأس شاحبا :

فقيل له: شهرت نفسك، فقال: الخير خير الآخرة، وإنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبيد، فإذا أعتقت لبست جبة لا بلاء لمحاسنها.

وأما أبو الدرداء ﷺ:

فإنه قال: كنت امرؤا تاجرا في الجاهلية، فلما أسلمت أردت أن أجمع بين التجارة والعبادة فلم تجتمعا لي، فآثرت العبادة على التجارة.

وسُئلت أم الدرداء رضي الله عنها، عن أفضل عبادة أبي الدرداء ﷺ، فقالت: التفكر والاعتبار.

وأما أبو ذر ﷺ:

فإنه روي عنه أنه قال: إن قيامي بالحق لله تعالى لم يترك لي صـــديقاً، وإن خوفي من يوم الحساب ما ترك على بدني لحماً، وإن يقيني بثـــواب الله تعالى ما ترك في بيتي شيئاً.

ويروى عنه قال: قتلني همّ يوم لم أدركه ،فقيل له: وما ذاك؟

قال: إن أملي جاوز أجلي، وددت أن الله تعالى خلقني شجرة تعضد.

ودعى أبو ذر ﷺ، إلى وليمة فسمع صوتا فانصرف وهو يقـــول: من أكثر سواد قوم فهو منهم، ومن رضي عمل قوم فهو شريكهم.

وحمل حبيب بن مسلمة إلى أبي ذر ﷺ، ألف درهم :

فرد عليه وقال: عندنا عتر نحلبها، ومركوب يسارع على ظهرها، فلا حاجة لنا في غير ذلك.

وأما أبو عبيدة بن الجراح ﷺ:

فإنه روي عنه أنه خرجت في كفه طعنة في أيام الطاعون، فعظم ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وفرقوا منها، فأقسم لهم أبو عبيدة ﷺ ما يحب

أن له مكانها حمر النعم.

وجاء رجل إلى أبي عبيدة ﷺ، فسأله فرده، ثم جاءه فسأله فأعطاه فقال: الذي أعطاك والذي ردك الله ﷻ.

وقال أبو عبيدة: وددت أن أكون كبشاً لأهدى فيتعرق لحمـــي ويتجنى فرقي ولم أُخلق.

وأما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

فإنه روي عنه أنه كان يقول: يا حبذا المكروهان الموت والفقر فمـــا أبالي بأيهما ابتدأت.

وروي أن في بيته كانت عشاش الخطاطيف: وكان له بنون، فقيل له: لو نقضت هذه العشائش، فقال : والله لئن نقضت يدي مـــن تـــراب قبورهم — يعني أولاده — أحب إلى من أن أكثر من عشاش هذه الخطاطيف بيضة واحدة.

وأما البراء بن مالك ﷺ :

فقد روي عن أنس بن مالك، رضي الله عنهما — أنه قال:

دخلت على البراء بن مالك ﷺ، وقد مال برجليه على الحائط وهـــو يترنم بالشِّعر فقلت: يا أخي أبعد الإسلام والقرآن؟، فقال: يا أخي ديـــوان العرب، ثم قال: أتراني أموت وعلى فراشي وقد قتلت تسعة وتسعين مبارزا بين يدي رسول الله ﷺ سوى ما أُشْرِكْتُ فيه.

فلما كان يوم "شهرك مَلِكِ تُسْتُر" قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول:

{كم من ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه، منهم

البراء بن مالك رضي الله عنه}[7].

فقال البراء: اللهم فإني اقسم عليك لما رزقتني الـــشهادة، ورزقـــت أصحابي الفتح، قال: فاستشهد البراء، وفتح الله عليه.

وأما عبد الله بن العباس رضي الله عنهما:

فإنه روي عنه أنه كان يقول: أفضل المجالس، مجلس في قعر بيتك حتى لا تَرى ولا تُرى.

وروي عنه أنه كان يقول: أن الله تعالى ليبتلي العبد بالفقر شوقا إلى دعائه، ويقال إن هذا الموضع يعني خدّه كان مثل شراك النعل من كثرة الدمع يعني ابن عباس رضي الله عنه.

وروي عنه أنه قال: لأن أُرقّع ثوبا فألبسه فيرفعني عنـــد الخـــالق أحب إليّ من أن ألبس ثيابا تضعني عند الخالق، وترفعني عند المخلوقين.

وأما كعب الأحبار، رضي الله عنه :

فقد روي أنه قال: لن ينالوا شرف الآخرة حتى يكرهـــون المدحـــة والثناء، وأن ينالوا الملامة في الله تعالى.

وقال كعب رضي الله عنه: لن يستكمل العبد أجر الحج والجهاد حتى يصبر على الأذى.

وأما حارثة رضي الله عنه، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال:

{ من أراد أن ينظر إلى عبد نوّر الله تعالى الإيمان في قلبه فلينظر إلى حارثة }[8]. رضي الله عنه

[7] سنن الترمذى– الجامع الصحيح عن أنس بن مالك
[8] شعب الإيمان للبيهقى عن أنس بن مالك.

وأما أبو هريرة ﷺ :

فإن ثعلبة بن أبي مالك قال: رأيت أبا هريرة ﷺ وهو يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان بن الحكم، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، فقلت: أصلحك الله تُكفى هذا، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك.

وروي عنه أنه بكى لما حضرته الوفاة فقيل له: ما يبكيك؟ قال: بُعْد المفازة، وقلّة الزاد، وضعف اليقين، وعقبة كؤود، والمهبط منها إلى الجنة أو النار.

وقال أبو هريرة ﷺ: جزّأت الليلة ثلاثة أجزاء، ثلثا أصلي، وثلثا أنام، وثلثا أستذكر فيه حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وأما أنس بن مالك ﷺ :

فروي عنه أنه قال: إن أول من يرد الحوض يوم القيامة الذّابلون الناحلون الذين إذا جنّهم الليل استقبلوه بحزن.

وأما عبد الله بن عمر، ﷺ :

فروي عنه أنه كان يقول: ما كنا ننام ونحن عُزّاب في أيام رسول الله ﷺ إلا في المسجد، ولم يكن لنا مسكن ولا مأوى.

وروي عنه أنه قال: لا تحبب أبدا إلا من تثق بدينه.

وكان يقول: ولا تطعموا طعامكم إلا كل تقي ونقي ولا تأكلوا

إلا من طعام تقي نقي.

وعن ابن عمر ﷺ أنه قال : إنما سلّط على ابن آدم من يخافه، ولو لم يخف إلا الله لم يسلط الله تعالى عليه شيئا.

وأما حذيفة بن اليمان ﷺ :

فروي عنه أنه قال: إن أقرَّ يومٍ لعيني، ليوم إذا رجعـــت إلى أهلـــي فيشكون إليّ الحاجة.

وقال رضي الله عنه: كم من شهوة ساعة أورثت صاحبها حزناً طويلا.

ودعى حذيفة إلى مائدة فرأى عليها زيّ العجم فانصرف وهـــو يقول: من تشبه بقوم فهو منهم.

وأما عبد الله بن جحش ﷺ :

فروى سعيد بن المسيب رحمه الله، قال :قال عبد الله بن جحش ﷺ يوم أحد:اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العـــدو، وإذا لقيـــت العـــدو أن يقتلوني، ثم يبقروا بطني ثم يمثلوا بي، فإذا لقيتك قلت: فيم قتلت؟ فـــأقول: فيك. قال: فلقى العدو، فقتل، وفُعل به ذلك.

وأما صفوان بن محرز المازنى ﷺ :

فإنه كان يقول: إذا أويت إلى أهلي وأصبت رغيفاً أكلته فجزى الله الدنيا عن أهلها شراً، وما زاد على ذلك إلى أن خرج من الدنيا.

وأما أبو مزوة رضي الله عنه :

فإنه رجل من أصحاب رسول الله ﷺ – كان مولى لبنى سليم – سار ميلاً لم يذكر الله تعالى فيه، فرجع حتى سار فيه ذاكراً الله تعالى، فلما بلـــغ منتهاه قال: اللهم لا تنس أبا مزوة؛ فإن أبا مزوة لا ينساك.

وأما أبو بكرة رضي الله عنه :

فإنه أغمى عليه عند قبر، فصرخوا عليه، فلما أفاق قال: ما من نفس تخرج ولا نفس دابة إلا وهى أحب إلي من نفسي، قيل له: ولم؟...قال: إني أخاف أن أبقى إلى زمان لا آمر فيه بالمعروف ولا أنهى عن المنكر.

وأما عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

فذكر عنه أنه بكى فبكت امرأته، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت : إنك بكيت فبكيت، قال: إني أنبئت أني وارد النار، ولم أنبأ أني صادر.

وأما تميم الداري رضي الله عنه:

فذكر عنه أنه قام ليلة إلى الصباح يبكى ويقرأ هذه الآية:

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية].

وأما عدى بن حاتم رضي الله عنه :

فروى عنه أنه كان يفتّ الخبز للنمل ترحماً عليهم.

وأما أبو رافع رضي الله عنه ، مولى رسول الله ﷺ :

فقد روى عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رجل:

يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ قال مامعناه : { **كل مخموم قلب صدوق اللسان ، قيل: يا رسول الله، وما مخموم القلب؟ قال: التقي النقي الذي لا كدر فيه(ولا بغي) ولا حسد، الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة، قالوا: فما نعرف فينا مثل ذلك غير أبي رافع مولى رسول الله ﷺ.** }

وأما محمد بن كعب رضي الله عنه :

فإنه ذكر عنه أنه قال: "إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خلال فقهه في الدين، وزهده في الدنيا، وبصره عيوب نفسه".

وأما زرارة بن أوفى رضي الله عنه :

فإنه روى عنه أنه أمّ الناس في مسجد بنى قشير فقرأ قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾

[(٨-٩) المدثر] ، فخر ميتاً.

وأما حنظلة الكاتب ﷺ :

فإنه روى عنه أنه قال:

{ كنا عند رسول الله ﷺ فذكرنا الجنة والنار حتى كأنها رأى العين، فعدت إلى أهلي فضحكت، ولقيت الناس، فقلت: نافق حنظلة !!، فقال أبو بكر ﷺ : مالك؟ فأخبرته، فقال: إنا لنفعله أيضاً، فذهب حنظلة إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال: { يا حنظلة لو كنتم في بيوتكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم}[٩] أو كما قال: {يا حنظلة ساعة وساعة}.

وأما اللجاج وكنيته أبو كثير صاحب رسول الله ﷺ :

فإنه روى عنه انه قال: أسلمت مع النبي ﷺ وأنا ابن خمسين سنة، ومات اللجاج وهو ابن عشرين ومائة سنة وقال:

{ ما ملأت بطني من طعام منذ أسلمت مع رسول الله ﷺ آكل حسبي وأشرب حسبي}

وأما أبو جحيفة ﷺ :

فإنه روى عنه أن امرأته استخبأت ثلاثين درهماً فنسيتها حتى مضت لها سنة، ثم إنها ذكرتها، فقال لها: يا أخت هذيل اعتدى، بئس حشوة البيت أنت، لو متّ لعُددت عند الله من الكنازين، إن نبي الله ﷺ مات، وعهده بين

---

[٩] صحيح مسلم عن حنظلة بن حذيم الأسدي التميمي

أعيننا جديداً، لم يترك ديناراً ولا درهماً ولا فلساً ولا براً ولا شعيراً.

وأما حكيم بن حزام رضي الله عنه :

فإنه روى أنه قال: ما أصبحت ذا صباح قط، لم أر عنـــدي طالـــب حاجة، ولا مستعيناً على أمر: إلا عددته من المصائب التي أسأل الله تعـــالى الأجر عليها.

وأما أسامة رضي الله عنه :

فإنه روى عنه أنه اشترى فرساً إلى شهرين فقال النبي ﷺ لمـــا بلغـــه ذلك:"إن أسامة لطويل الأمل".

وأما بلال وصهيب رضي الله عنهما :

فإنه روى عنهما أنهما أتيا قبيلة من العرب فخطبا إليهم.فقيل لهمـــا: من أنتما..؟ فقالا: بلال وصهيب، كنا ضالين فهـــدانا الله تعـــالى، وكنـــا مملوكين فأعتقنا الله تعالى، وكنا عائلين فأغنانا الله تعالى، فإن تزوجونا فنحمد الله وإن تردونا فسبحان الله، فقالوا: تُزوّجون والحمد لله، فقـــال صـــهيب لبلال: هلا ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ؟ فقـــال بـــلال: اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق.

وأما عبد الله بن ربيعة ومصعب بن عمير، رضي الله عنهما :

فكانا متآخيين، قال عبد الله: كنت أنظر إلى مصعب فتدمـــع عـــيني

رقة عليه، وكنت رأيته بمكة في الرفاهية وكان على رأسه ثلّة من الـــشعر، قال: فكنت أمر إلى بعض حيطان المدينة فأعمل في السواني إلى الأولى على مد من التمر فأحمله إلى مصعب بن عمير، ومر مصعب يوماً إلى رســـول الله ﷺ فلم يجد عند رسول الله ﷺ إلا قطعة حيس، فأكل بعضها وحمل النصف الآخر إلى عبد الله بن ربيعة.

وروى أن رسول الله ﷺ آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع وكان لسعد امرأتان فقال سعد:

أقاسمك مالي وأنزل عن إحدى امرأتي حتى تزّوج بها، فلم يفعل ذلك عبد الرحمن، وقال: دُلّوني على السوق، فدخل السوق وكسب حتى جمـــع شيئاً من التمر والسمن والأقط وتزوج أيضاً من عمل يده.

وروى أنه نزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد أهله شيئاً فـــدخل عليه رجل من الأنصار فأخذ مه الضيف، وذهب إلى أهله وأم زوجتـــه أن تتظاهر بإعداد الطعام للأولاد حتى يناموا ففعلت، ثم وضعا بين يديه الطعام القليل الموجود عندهم وقال لامرأته: أطفئي السراج، وجعلا يمدا يـــديهما كأنهما يأكلان حتى أكل الضيف الطعام، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ:

{ لقد عجب الله تعالى من صنعتكم إلى ضيفكم}[10].

ونزلت هذه الآية [الآية (٩) الحشر]::

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

(١٠) صحيح البخاري عن أبي هريرة

ورُوي عن ابن عمر رضي الله عنه:

أنه قال: أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال إن أخي كان أحوج إليه مني، فبعث إليه، فلم يزل يبعث الواحد إلى الآخر حتى تناوله سبعة أبيات فرجعت إلى الأول.

قال: ونزلت فيهم هذه الآية:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ ﴾.

ومثل هذا كثير في الأخبار عن الصحابة.

وما منهم أحد، إلا وله تخصيص في معانٍ من هذا النوع الذي ذكرنا.

والمؤمنون مندوبون إلى التعلق بمثل هذه الأفعال.. والتخلق بأخلاقهم فيما أتوا به من أنواع الطاعات.. ونطقوا به من أنواع الحكم...

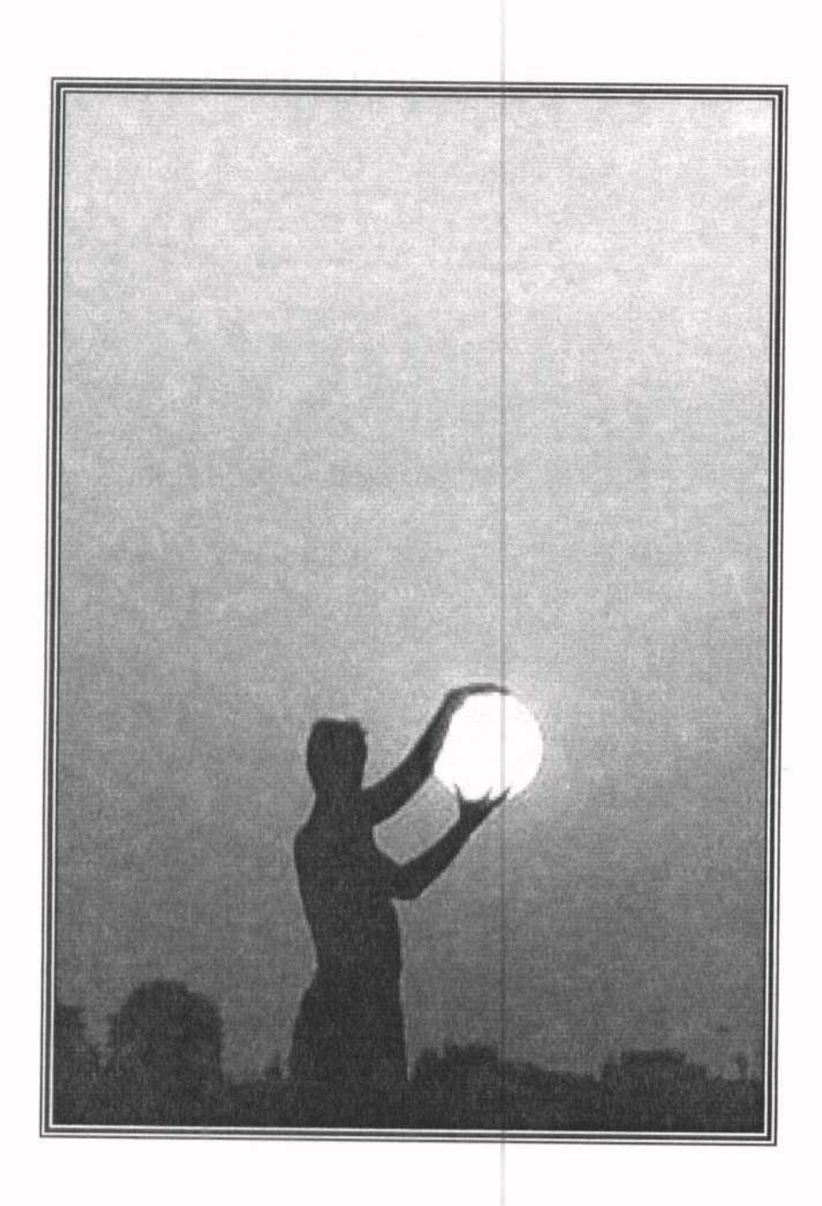
وقد ذكرنا القليل من الكثير.



البَابُ الرَّابِعُ

المَعْرِفَةُ عِنْدَ الصُوفِيَّـــة

- المعرفةُ الصوفيَّة
- طريـــقُ اليقين
- مقـــامُ التحقيق
- حقيقـــــةُ المعرفة
- عجائب الرؤيا الصادقـــة
- رأي الدكتور عبد الحليم محمود في الصفـــاء والمشـــاهدة



المعرفة الصوفية(*)

القضية الأصلية التي سنبحثها فى هذا المبحث :

❁ ما مدى حاجة الإنسان إلى المعرفة الصوفية؟

❁ وهل للصالحين طريق للمعرفة، يختلف عن الطرق المعروفة.، والمتداولة بين الناس؟!!

❁ وإذا كان ذلك، فما هو ؟ وكيف الوصول إليه ؟

إن الطرق الثابتة والتي يحصّل الإنسان بها العلوم والمعارف هي: السماع أو القراءة والإطلاع أو النظر بعين الفكر :

❁ فإما أن يسمع الإنسان من العلماء الأجلاء....

❁ وإما أن يتصفح الكتب والمراجع التي كتبها العلماء ودونوا فيها علومهم وأفكارهم ومعتقداتهم.....

❁ وإما أن يتفكر الإنسان، ويتذكر، ويذّكر، فيصل إلى حقائق....عن طريق العقل، والعقل أيضاً باب من أبواب الوصول إلى المعارف في أي ميدان من الميادين.

❁ ❁ ولكن الصالحين لهم طريق آخر للحصول على المعارف:

وهو القلب والفؤاد.

وقد أثبت الله ﷻ هذه الطرق لتحصيل المعارف في الآيات القرآنية

فقال عزَّ شأنه [(٣٦) الإسراء]:

(*) كانت هذه المحاضرة بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي يوم الخميس ٤ من ربيع الآخر ١٤٢٦هـ الموافق ١٢ من مايو ٢٠٠٥م.

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾

كما ترون إعجاز الله :

❁ خلق السمع والبصر.

❁ ثم الفؤاد والقلب.

❁ وذكـــر في آيات أخرى غير هذه الآية: الفكر[١٩١ آل عمران]:

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية].

أو يعقلون على اختلاف الآيات :

❁ فالفؤاد أدق طريقة للوصول إلى الحقائق الغيبية.

فالبصر واللمس للحصول على الحقائق المحسوسة والملموســـة الـــتي أراها بعيني وألمسها بجوارحي : فأتحقق مثلاً من الحرارة، أو من البرودة، أو من الملوحة، فمن الحلاوة عن طريق الذوق، والحرارة والبرودة عن طريـــق الجلد، وهكذا وكلاً عن طريق الحواس.وكذلك عن طريق العين: يتعـــرف الإنسان على الأشياء الملموسة المحسوسة.

❁ لكن الأشياء والقضايا الغيبية التي، يتوقف عليها انسجام الحيـــاة الآدمية والتوافق النفسي لأي شخصية بشرية – لأن الله ﷻ خلق الإنسان من ظاهر يتعامل مع عالم الظاهر، وله باطن يتعامل به ويتواصل به مع عـــالم الباطن ، فالظاهر : هو هذا الجسم ويتعامل مع الحقائق الظاهرة.

والباطن :إن كان عقلاً أو قلباً أو روحاً أو سراً أو غيرها من الحقائق اللطيفة العالية: يتعامل مع عالم الألطاف الخفية التي أخبرنا بها الوحي

– ولا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق الوحي.

❁ فالوحي هو الذي أخبرنا عن : الدار الآخرة : لأننا لا نـــستطيع أن نحسها أو نلمسها ولا نستطيع أن نقننها في معمل أو مختبر ولا تـــستطيع شركة سياحية أن تجهز رحلة لمن يريد الذهاب بنفسه للدار الآخرة !! كيف تجهزها ؟!!وأين وسيلة المواصـــلات؟!! ولأي جهـــة يتجهـــون؟ !!وفي أي موضع يترلون؟ !!وماذا يرون؟ !!وماذا يشاهدون؟

أمور لا يستطيعها فكر ولا يستطيعها حس لأنها أمور غيبية.

وكذلك العوالم الغيبية :

عوالم الجنة، وعوالم النار، وعوالم العرش، وعوالم الكرســـي، وعـــوالم اللوح، وعوالم القلم، وعوالم الملائكة، الذين منهم الحفظة الذين يحفظوننا من بين أيدينا ومن خلفنا، ومنهم الكرام الكاتبين الذين يـــسجلون أعمالنـــا، ومنهم الذين يسوقون لنا الأرزاق، ومنهم الذين يسوقون لنا الهواء، ومنهم الذين يأتون لنا بالضياء، ومنـــهم ومنـــهم إلى مـــالا نهايـــة مـــن أنـــواع الملائكة....وهم لطائف نورانية لا تراها عين الحس ولا يستطيع الإنسان أن يتعرف عليها بحواسه، وإنما سمعها الإنسان واعتقدها وأيقنها عـــن طريـــق الوحي الذي نزل به الأنبياء والمرسلين وإمامهم سيدنا رسول الله ﷺ.

وكذلك صفات الله ﷻ الإلهية، وأفعال الله ﷻ الذاتية، وتصرفاته سبحانه وتعالى القدسية، وتجلياته تبارك وتعالى اسمه الوهبية.

كل هذه الأمور الغيبية جاءنا بها الوحي : .. ولكن ......

حاول العلماء أن يقنعوا بها عوام المـــؤمنين عـــن طريـــق الـــدليل والبرهان!، ولا دليل ولا برهان في هذه الحقائق إلا من السنة والقرآن.

طريق اليقين

كيف يتيقن الإنسان بهذه الحقائق؟

لا سبيل له ولا وسيلة له: إلا إذا فتح عين بصيرته فيرى بها هذه الحقائق الغيبية، فيعاين عالم الألطاف الخفية، ويرى هذه الحقائق الغيبية لأنها لا ترى بكيفية عينية، ولكنها ترى بحقائق ذاتية، يقول فيها الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه :

لا بكم أو بكيف ولكن ... بأنوار تعالت معنوية

ليس لها كم أو كيف !!، بل بأنوار إلهية....!!، فلا سبيل لهذه الحقائق إلا من هذا الطريق.ومن هنا كانت أحوال الصالحين والصوفية الصادقين في كل زمان ومكان تنقسم إلى شقين :

❁ جهاد لتطهير النفس وتصفية القلب وفتح عين البصيرة.

❁ ثم بعد ذلك مشاهدة بعين البصيرة لما يغيب عن العين ولا يراه إلا الأخيار والأطهار والمصطفين الذين قال فيهم الله ﷻ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة الأنعام]

إذن ليس بمفرده، ولكن كل من وصل إلى مقام الإيقان يشاهد في مقام العيان مالا تستطيع أن تراه العين المركبة في الأبدان؛ لأن عين الأبدان ترى عن طريق الضوء وطريق ذلك في علم الفيزياء عن طريق نظرية انكسار الضوء وكيف يتم..إلخ..، والغرف التي خلقها الله فيها وكيفية تجهيزها، وذلك لكي ترى المحسوسات، لكنها لا ترى المعنويات :

❁ حتى المعنويات الفكرية التي يفكر فيها الإنسان لا تراها، وكذلك الحقائق المعنوية القلبية لا يستطيع الإنسان أن يراها !

❁ من الذي يستطيع أن يرى الإيمان؟

❁ ومن الذي يستطيع أن يرى الحب، أو الشوق، أو الوجد الـــذي يوجد في قلب أي إنسان حتى ولو لإنسان، كيف يراه؟

لأنها حقائق معنوية لا تراها العين الحسية وهذه حقائق فكرية وليست حقائق غيبية إلهية.

فكان مقتضى الأمر أن الصوفية عندهم في بواطنهم وفي قلوبهم ظمـــأ إلى المعرفة اليقينية، لا يكتفون بتحصيل المعارف الظاهرة ولا يقفون عنـــد الدليل والبرهان ولكن يريدون أن يشهد القلب والجنان كل ما تحدث بـــه عالم القرآن عن غيب حضـــــرة الرحمن ﷻ، وأنبأ الله سبحانه وتعـــالى أن ذلك في الإمكان (١٨ آل عمران) :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾

هؤلاء أيضاً يشهدون، وأوجبوا على أهل هذا المقام هذه الـــشهادة، وقالوا: إن الإنسان لكي يعبد الله حق عبادته لا بد أن يعرفه.

كيف تعبد من لم تعرفه ؟ لمن تصلي ؟ ولمن تصوم وتحج وتزكي ؟

لا بد أن تعرف من تتوجه له بالعبادة معرفة يقينية، حتى تكون هـــذه العبادة خالصة وتدخل في قول الله [١٠٠ التوبة]:

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾

وأول باب لدخول الإنسان في العبادة :

هي الشهادة لكي يدخل الإنسان في الإسلام، ماذا يقول؟

يقول: أشهد، ولا يقول: أعلم أن لا إله إلا الله، والشاهد: لا بد أن يكون رأى وعاين، هل يجوز للإنسان أن يشهد على شئ لم يره؟

كلا لأنها تكون شهادة زور، فمقتضى الشهادة أن يشهد الإنسان حقيقة: أنه لا إله إلا الله.

ولذلك سُئل الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: هل رأيت ربك؟

قال: كيف أعبد رباً لم أره؟، قالوا: وكيف رأيته؟، قال :

لا تراه العيون بالحدقة والأجفان، وإنما تراه القلوب بحقائق الإيقان

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة].

مقام التحقيق

فيلزم للإنسان أن يصل لهذا المقام، لكي يرتقي لمقام التحقيق.

وهذا ما يسميه الصوفية: التحقيق، فالتحقيق يعني: أن يرى الحقائق الغيبية التي تحدث عنها القرآن وأخبر عنها النبي العدنان، بعين القلب وبعين الإيقان، كيف يراها؟ وهل يستطيع وصفها ؟

هذا أمر يستحيل فيه البيان، وإنما غاية ما يقول فيه القائلون ، ما قال فيه الإمام الغزالي ﷺ :

فكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

ولذلك فالإمام الغزالي ﷺ يقول في بدء سلوكه طريق التصوف في كتابه "المنقذ من الضلال" :

((ثم إني لما فرغت من هذه العلوم، أقبلت بهمتي على طريق

الصوفية، وعلمت أن طريقتهم تتم بعلم وعمل، وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله.

وكان العلم أيسر علي من العمل، فابتدأت بتحصيل علمهم، من مطالعة كتبهم، مثل "قوت القلوب" لأبي طالب المكي رحمه الله، وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي، وأبي يزيد البسطامي، قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصّلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع، فظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق والحال، وتبدل الصفات.

وكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة، وحد الشبع، وأسبابهما وشروطهما، وبين أن يكون صحيحاً وشبعانا، وبين أن يعرف حد السكر، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن يكون سكرانا، بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران، وما معه من علمه شيء، والصاحي يعرف حد السكر وأركانه، وما معه من السكر شئ، والطبيب في حالة المرض، يعرف حد الصحة، وأسبابها، وأدويتها، وهو فاقد الصحة.

كذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها،وأسبابها، وبين أن يكون حالك الزهد، وعزوف النفس عن الدنيا.

فعلمت يقيناً: أنهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال، وأن ما

يمكن تحصيله بطريق العلم، فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم، بل بالذوق والسلوك)).

فلذلك لا يستطيع الإنسان أن يدرك حقائق الصوفية إلا إذا عاشـــها وتلقاها من رجل حي عارف بالله ﷻ، وهذا ما جعل هذا الرجـــل ســـلك طريق الصوفية، لماذا؟

لأن هؤلاء يريدون أن يصلوا إلى معرفة الحقائق القرآنية بـــالأذواق القلبية والمكاشفات الروحانية، وهذا لمن عنده قلب أو ألقى السمع وهـــو شهيد.لمن عنده هذا الاستعداد.، وله هذا الإمداد.، والذي عنـــده هـــذا الاستعداد: كالإمام أبو العزائم مثلاً كان يقول :

أرى فؤادي يطالبني برؤيته ... يلح عليّ فؤادي دوماً

أريد هذه الرؤية، وهل الرؤية مستحيلة ؟...كلا...!! إنها مستطاعة، ولو أنها مستحيلة لم يطلبها نبي الله موسى، ويقول:

﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [١٤٣ الأعراف]

فكونه طلبها فهذا يقتضي جواز هذه الرؤية، وأنها في الإمكان.

وسيدنا إبراهيم عندما طلب من الله أن يريه كيفية إحياء الموتى؛ قال ربي أرني، ولم يقل ربي أعلمني كيف تحي الموتى، قال: أو لم تؤمن قال بلـــى ولكن ليطمئن قلبي.

وهذه أحوال الصوفية يريدون أن يروا الكيفيـــة والأنـــوار العليـــة، ويريدون أن يروا التجليات الربانية المنبثة في الأكوان، لأنها متاحة لمن صفا ووفا وفتح الله ﷻ له هذا الميدان، كما فتحه للأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين في كل وقت وحين.

وبعد أن سلك الإمام الغزالي طريق القوم استرسل قـــائلاً في كتابـــه المنقذ من الضلال :

"وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصائها واستقصائها والقدر الذي أذكره لينتفع به :أني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا من سيرهم، وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به.

وبالجملة: فماذا يقول القائلون في طريقة :

❁ طهارتها – وهي أول شروطها – :

تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى.

❁ ومفتاحها – الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة – :

استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله.

❁ وهذا آخرها، بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب: من أوائلها، وهي، على التحقيق: أول الطريقة، ومقابل ذلك: كالدهليز للسالك إليه، ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح

الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد.

ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه.

بل الذي لابسته الحال لا ينبغي أن يزيد على أن يقول :

وكان ما كان مما لست اذكره ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ [٦٩ العنكبوت]

فيهديهم لهذه السبل؛ سبل الكشف، وسبل المشاهدة، وسبل البصيرة وسبل العلوم الوهبية، والمشاهدات القرآنية الرحمانية: والتي يدخلها العارفون فيرون حقائقا صادقة، وينطقون بهذه العلوم بأمر من الله...للصدور التي تتحملها، ويرون أنها لا تنكرها، بعد أن يعاينوها بما أودعه الله ﷻ في قلوبهم من النور، وهذه هي المعرفة الصوفية التي ينشدها الصوفية.

حقيقة المعرفة

ماذا يريدون من المعرفة؟

يريدون معرفة أشهد أن لا إله إلا الله.

ويريدون معرفة أشهد أن محمد رسول الله.

يشهدونها..... ولذلك قالوا :

أن الناس في الإيمان درجات: فيهم العوام المؤمنين لأهم ولدوا من أباء وأمهات مؤمنين ومسلّمين، وهناك العلماء الذين لا يؤمنـون إلا بالأدلـة والبراهين، وهؤلاء على قدرهم !، وهناك الأفذاذ والأكابر الذين يؤمنـون عن شهود !، لا عن دليل أو برهان !، وإنما عن شهود بعين أوجدها فـيهم الرحمن ﷻ، وهذه العين موجودة في القلب...:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج]، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [١٠٨ يوسف]

فالتصوف يدور حول هذه الحقيقة :

أن الصوفية يريدون المعرفة الذوقية، أو إن شئت قلت المعرفة العينية، أو إن شئت قلت المعرفة الشهودية للحقائق الغيبية القرآنية التي جـاء بهـا القرآن ونزل بها الوحي على النبي العدنان ﷺ.

عجائب الرؤيا الصادقة

هل يصدق العقل بإمكانية ذلك؟

نعم، ولم لا، وعجائب الرؤية الصادقة تُنبئ عن ذلك، فـإن الرؤيـة الصادقة التي يراها الناس في المنام وتتحقق في اليقظة: إنما هي قبس من عالم الغيب، يراه الإنسان عند نومه وتتحقق له في عالم اليقظة.

والذين يَعْبُرَون هذه الرؤى لا يستنبطون بفكرهم، وإنمـا يعـبرون بأرواحهم إلى هذه الحقائق التي أتت إلى محدثيهم وأحبابهم، وينبئونهم كمـا شهدوها ورأوها بأرواحهم. ولذلك قد يزيدون على الرؤية، وقد ينقصون

منها، فعلى سبيل المثال :

رؤيا الملك في سورة سيدنا يوسف عليه السلام، عندما قال الملك :

﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ ﴾ [٤٣ يوسف]

بم أوَّلها سيدنا يوسف؟ قال: سيكون سبع سنين رخاء، ثم سبع سنين عجاف، وعام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون!!، هل هذا العام مذكور في الرؤيا ؟ لا، لأن الرؤيا فيها سبعة وسبعة فقط، وهذا العام غير موجود في الرؤيا... من أين أتى به؟

وما كنتم للرؤيا..ليس " تُعَبِّرُونْ "..ولكن " تَعْبُرُون "..:.. تعبرون بأرواحكم إلى المصدر الذي تبث منه الرؤيا، ولذلك قال :

﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ ﴾ [٣٧ يوسف]

وهذا علم علمه من الله ﷻ.

ولذلك لماذا برع ابن سيرين في الرؤيا؟

لأنه رأى سيدنا يوسف في المنام، وقال له: افتح فاك، ففتح فاه فوضع فيه لسانه، فمص لسان سيدنا يوسف عليه السلام، فقام من نومه وقد أحسن تأويل الرؤيا... وراثة.

وعندما كان يستفتيه الناس في الرؤى كان يفتيهم ويفسر لهم بالإلهام:

❁ جاءه رجلان في مجلس واحد، فقال أحدهما :

رأيت في المنام أني أؤذن، فقال: إنك ستسرق وتقطع يدك.

وجاءه في نفس الوقت الرجل الآخر وقال: رأيت أني أؤذن، فقال :

ستحج إلى بيت الله الحرام. فتعجب الحاضرون، فقال: عندما حدثني الأول كانت الآية التي مرت على خاطري :

﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يوسف]

ولما حدثني الآخر: كانت الآية التي مرت على خاطري

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً ﴾ [آية٢٧ سورة الحج]

❁ ذهب إليه الإمام أبو حنيفة في مقتبل عمره وقال له: رأيت رؤيـا أهالتني وأفزعتني، وكان في غاية الحزن بسبب هذه الرؤيـا قـال: ومـاذا رأيت؟ قال: رأيت أني ذهبت إلى قبر رسول الله ﷺ، ونزلت فيه فوجدتـه ﷺ، عظاما فجمعت هذه العظام، فقال له: إنك ستجمع سنته. وذلك لأنـه علم إلهامي من الله ﷻ .

ولا ينفع تأويل الرؤيا من أي كتاب ككتب علم النفس أو غيره حتى كتاب ابن سيرين.

إذن ماذا يفعل المؤول؟ .. يقف على باب قلبه، حتى يفتح الله ﷻ له باب تأويل الرؤيا فيؤلها بربه لا بنفسه ولا بفكره ولا بعلمه، فالذي يؤول برأيه أو بفكره أو بعلمه: قد يخطئ في الإجابة، لكن الذي يـؤول بربـه لا يخطئ أبداً ، لأنه من باب:

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة الكهف]

ولم يقل بقية العلوم، ولكن علما واحدا يستطيع تحمله أو يليق به أو يحتاج إليه، وعلوم الله لا حد لها ولا انتهاء لها.

فهذه العلوم التي خص الله بها هؤلاء القوم نتيجـة الوقـوف علـى بصائرهم حتى يفتحها الفتَّاحﷻ، فتطلع على عالم الغيوب، فتنظر فيـه إلى

مواهب الله وإلى ما خص به الله أحبابه وأصفيائه :

فينطقون معبرين لمن اصطفاهم الله عما يستطيعون تحمله مما كاشفهم به الله جل في علاه، ويبقى هناك علوم وأسرار لا يـــستطيعون إذاعتـــها أو نشرها أو بثها، يقول فيها الإمام علي زين العابدين ﷺ :

يا رُب جوهر علـــم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مســـلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسناً

وهذا باختصار موضوع المعرفة عند الصوفية :

فالصفاء يحتاج إلى المجاهدة، ثم بعد الـــصفاء تـــأتى المـــشاهدة، وفي المشاهدة تلوح لهم وعليهم أنوار العناية.

- منهم من يجمل بالفراسة.
- ومنهم من يجمل بالمكاشفة.
- ومنهم من يجمل بالمحادثة.
- ومنهم من يجمل بالإلهام.
- ومنهم من ينطق بغوامض الحكمة،

كل واحد على قدر ما يعطيه الله ويفتح له من كنوز عطـــاء الله ﷻ.

ولذلك لو بحثنا عن معنى الصوفية وتعريفها، كلها نجدها :

❁ إما تتحدث عن الوسيلة وهى الجهاد.

❁ أو الغاية وهى المشاهدة.

والوسيلة الغاية منها الصفاء، وبعد الصفاء..: المشاهدة.

رأي الدكتور عبد الحليم محمود في الصفاء والمشاهدة

وفي ذلك يقول الإمام د. عبد الحلـيم محمـود في كتابـه "قـضية التصوف" وهو يحلل تعريف أبو بكر الكتاني للتصوف بأنه صفاء ومشاهدة:

((وإذا نظرنا إلى تعريف الكتاني، فإننا نجد أن عباراته المختصرة :

قد جمعت بين جانبين هما اللذان – فيما نرى – يكونان – في وحدة متكاملة – تعريف التصوف...:

أحدهما : وسيلة...، والثاني : غاية....،

أما الوسيلة : فهي الصفاء.

وأما الغاية : فهي المشاهدة.

والتصوف من هذا التعريف: طريق، وغاية.

وطريقه يتضمن نواحي كثيرة تشير إليها تسميته نفسها.

ولعل ذلك من الأسرار التي كانت السبب في هذه التسمية، واتخاذها عنواناً على هذه الطائفة.

❀ لقد قال جماعة: إنما سميت "صوفية"، لصفاء أسرارها..

ونقاء آثارها.

❀ وقال "بشر بن الحارث": الصوفي: من صفا قلبه لله.

❀ وقال بعضهم: الصوفي :

من صفت لله معاملته، وصفت له من الله ﷻ كرامته.

وهؤلاء يهدفون إلى أن كلمة:

"الصوفية" إنما تشير إلى الصفاء، وهذه الإشارة لا تخـضع لمقـاييس اللغة، وما دامت "إشارة" فإنه من التعـسف أن يجـادل إنـسان في أمـر انسجامها مع اللغة وعدم انسجامها.

❁ ويقول قوم: أنهم سموا "صوفية" لأنهم في الصف الأول بين يـدي الله ﷻ، بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم بقلوبهم عليه، ووقوفهم بـسرائرهم بين يديه.

❁ وهؤلاء إنما يعبرون عن إشارة الصوفية إلى الصف: أي إلى الصف الأول في العمل على الوصول إلى الله والجهاد في سبيله.

❁ أما إشارة الكلمة إلى "أهل الصفة" الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، إنما تشير إلى أوصافهم من العبادة، والتهجد، وعـدم الطمـع في الدنيا، واستعدادهم الدائم للجهاد في سبيل الله.

❁ وتشير الكلمة للصفة: أي الصفة الكريمة، التي لا يتعلـق فيهـا القلب بالمادة وإنما يتعلق بالله تعالى.

وكل ذلك إنما هو حديث عن الوسائل.

على أن هذه الوسائل التي تشير إليها الكلمة لها وسائل أخر.

❁ هذه الوسائل الأخر منها ما يعبرون عنه بقولهم: "لا يَملـك ولا يُملك"..!!، ويعنون بذلك أنه: " لا يستَرِقُّه الطمع "..:

وهذه الكلمة لها مدلول واسع :

هو أن يتحرر الإنسان من الدنيا :

حتى ولو ملكها عريضة طويلة، يتحرر من الجاه، من الانغمـــاس في الملذات، من الجري وراء المال، من حب السلطان، من حب الترف، مـــن الصفات التي تتنافى مع الفضيلة.

❁ وخاتمة المطاف في هذه الوسائل:

أنها تؤدي إلى الصفاء، فإذا ما حل الصفاء، كـــان عنـــد الإنـــسان استعداد كامل للمشاهدة، فيجود الله عليه بها، إن شاء.

هذه المشاهدة هي أسمى درجات المعرفة : وهي الغاية النهائية الـــتي يسعى وراءها ذوو الشعور المرهف والفطر الملائكية، والشخصيات الربانية، فالتصوف إذاً معرفة — أسمى درجات المعرفة بعد النبوة — إنه مشاهدة وهو طريقة إلى المشاهدة.

وإذا أردنا أن نلجأ إلى الإمام "الغزالي" في تلخيص الطريق والغايـــة، فإننا نجده يقول في كتابه الخالد: "إحياء علوم الدين" :

"الطريق تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله المتولي لقلب عبده، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم.

وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجـــه القلـــب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية، فـــإذا مـــا حصل ذلك كانت المشاهدة.

❁ ❁ ومن القصص اللطيفة التي تصور الوســـيلة إلى المـــشاهدة في سهولة ويسر، القصة التالية :قال ذو النون رأيت امرأة ببعض ســـواحل الشام.فقلت لها:من أين أقبلت رحمك الله ؟، قالت: من عند أقوام تتجـــافى

جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعا، قلت: وأين تريدين؟ قالت: إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكـــر الله، قلـــت: : صـــفيهم لي، فأنشأت تقول:

قوم همومهم بالله قــــد علقت ... فما لهم هم تسموا إلى أحــــد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ... يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف ... من المطاعم واللذات والولــــد
ولا للبس ثياب فائــق أنــق ... ولا لروح سرور حل في بلــــد
إلا مسارعة في إثر منزلـــــة ... قد قارب الخطـــو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران وأوديـــة ... وفي الشوامخ تلقاهم مع العـــدد

❁ ثم يستطرد في حديثه عن المشاهدة قائلاً:"والمشاهدة الـــتي هـــي الغاية (للصوفية) هي أيضاً تحقيق واقعي للتعبير، الذي ننطق به في كل آونة حينما نقول :" أشهد أن لا إله إلا الله "..

فالشهادة هي غاية الصوفي، وهو إنما يسعى جاهـــداً إليهـــا بـــشتى الوسائل ليحقق بالفعل مضمون ما يلفظ به قولاً، أو ما يقوله حروفاً .

وما من شك في أن تعاريف التصوف الكثيرة التي نجدها منثورة هنـــا وهناك، والتي تكاد تبلغ الألف، إنما تعبر في أغلب الأحايين عن زاوية مـــن زوايا التصوف تتصل بالوسيلة، أو تتصل بالغاية، فلا يمكن أن يقال عنها إذا ما كانت كذلك، إنها خطأ تام، ولكن الخطأ إنما هو في أخذها على أنها تعبر عن الحقيقة الكاملة ... ولكنا يمكننا القول بأن أقـــرب مـــا يعـــبر عـــن الحـــــقيقة الكاملة من هذه التعريفات الكثيرة إنما هو تعريف الكتـــاني:

التصوف صفاء ومشاهدة.[كتاب قضية التصوف: ص: ٤٣-٤٧، دار المعارف١٩٨٨].

البَابُ الخَامِسُ

مَشْرُوعِيَّةُ أَحْوَالِ الصُوفِيَّةِ وأفْعَالِهِم

- مشروعيَّة الأوراد
- اسمُ الله الأعظم
- أسماء الله الحسْنى
- سَنَد الصالحين في مجالسهم
- سَنَد الصالحين في الإنشاد
- سَنَد الصالحين في مواكبهم
- السيادة لأهل البيت
- سَنَد الصالحين في الأوراد والأحزاب
- سَنَد الصالحين في تقديم ما يسرُّ لإخوانهم
- سَنَد الصالحين في أحوالهم
- الأقْطَاب
- الأوْتَاد
- الأبْدَال



مشروعية الأوراد

س : لماذا يتخذ الصوفية الأوراد ؟

ج : الأوراد أصلا هى منهج، لا يوجد واحد منا جميعا يستطيع أن يعمل بما في كتاب الله كله، وبسنة رســـول الله ﷺ جميعهـــا، فهـــذا مستحيل. ولكن كل واحد يأخذ بناحية ويعمل فيها ويدرس فيها.

فمنهج أخذه الرجل الصالح وسار عليه، فوصل إلى مقـــام الـــصفاء وانضم إلى عداد الأصفياء، فلما أذهب إليه يعطيني هذا المنهج مـــن أيـــن المنهج؟ لابد أن يكون من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ.

وهناك بعض الصالحين في أحوال خاصة يكونون في ساعة لا يـــسعهم فيها إلا الله وينطقون بعبارات تستغلق على الأذهان.

هم أنفسهم لا يطالبون من خلفهم بقراءة هذه الكلمات.

سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ وأرضاه، وقد ورد عنه بعض من هـــذه الكلمات في الحزب الكبير والحزب الصغير مثل (إيه) (شراه) مثـــل هـــذه الكلمات، وورد عنه أيضا قصائد عالية المعاني، فعندما سألوه عن معانيهـــا بعد فوقته: لأنه كانت تأخذه حالة هيام ويغيب عن شعوره، قال لهـــم: إذا سمعتموني أقول ذلك فاضربوني بالسيف.

مما يدل على أنه كان في حالة الغيبة، وحينئذٍ لا يطالب أتباعه بتنفيذ هذا الكلام أو هذا العمل.

لكن المنهج الأصلي والكل مطالب به هو القرآن والسنة الواردة عن رسول الله ﷺ، وفيهما سعة للجميع.

إسم الله الأعظم

س : ما اسم الله الأعظم؟

ج : لقد جمعنا في كتابنا (مفاتح الفرج) واحداً وعشرين رأيـاً للعلماء في اسم الله الأعظم، لكن الرأي الذي نرتاح له هـو أن اسـم الله الأعظم: هو الاسم الذي يدعو به الإنسان في حاله يقول فيها الله:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [٦٢ النمل]

إذا كنت في حالة الاضطرار، ودعوت الله ﷻ وأنا في خشوع وتبتل واضطرار، فإن الله يجيبني بأي اسم دعوته به، لكن لو واحد عرف اسم الله الأعظم، ودعا به وهو في حالة غفلة، هل يجيبه الله؟ قال ﷺ:

{ لا يستجيب الله ﷻ دعاء من قلب لاه }[1].

إذاً خلاصة الموضوع:

إذا صفا القلب، وكنت في حالة الاضطرار ودعوت الله: يكون هذا هو الاسم الأعظم الخاص بي الذي سيجيبني به الله ﷻ.فلا أشغل نفسي بأن فلان الفلاني كان له اسم، وفلان الفلاني كان عارف الاسم، وما من أحـد منا إلا ويقع في ضائقة، ويصدق مع الله إلا ويستجيب الله ﷻ دعائه في أي زمان وفي أي مكان، فضلا من الله ﷻ لقوله:

﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٦٠ غافر]

لم يحدد ولم يقل ادعوني بالاسم الأعظم، ولا حتى ادعوني عند الكعبة، ولا حتى في وقت السحر :.... صحيح أن الدعاء عند الكعبة أفضل ،

---

[1] سنن الترمذي عن أبي هريرة.

والدعاء في وقت السحر أفضل....

لكن الدعاء في وقت الاضطرار :

أجمع للمرء على الله، وأقوى في الاستجابة عند الله ﷻ، **فالدعاء في وقت الاضطرار يساوي الدعاء باسم الله ﷻ الأعظم.**

أسماء الله الحسنى

س : هل يستطيع أحد جمع أسماء الله الحسنى؟

ج : سيدنا رسول الله جمعها في الحديث قال ﷺ:

{ اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم وما أنت به أعلم وما استأثرت به في علم الغيب عندك }[٢].

وفي الحديث الآخرعنه ﷺ : { اللهم إني أسألك بكل أسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك }[٣].

صفات الله ﷻ لا يحيزها مكان ولا زمان :

فصفات الله ﷻ هي التي تسيِّر الأكوان، وهي التي تظهر في الإنسان، بسر السميع أسمع، وبسر البصير أبصر، وبسر المتكلم أتكلم، وبسر الحـيّ أحيا، وبسر العليم أعلم، وبسر المريد أريد، وبسر القادر أقدر.

ولذلك عندما يموت الإنسان...ماذا ينتقص من أعضائه الظاهرة؟!!

---

[٢] رواه الطبراني عن أنس بن مالك.
[٣] مسند أحمد بن حنبل وصحيح ابن حبان والمستدرك عن عبدالله.

لا شيء !! .. لكن أسماء الله الحسنى تخلت عنه، ذهب اسمه الحـــي، وجاء تجلى اسمه المميت، فأسماء الله الحسنى وصفاته العليا ﷻ :

تظهر في الإنسان وتظهر في الأكوان...:

- ما الذي رفع السماء بلا عمد؟... اسمه الرافع.
- وما الذي بسط الأرض؟... اسمه الباسط.
- وما الذي جعل في الماء كل شيء حي؟... اسمه الحي.
- وما الذي متَّـــنَ الجبال؟..... اسمه المتين.

فأسماء الله الحسنى ترى بعين القلب، ولا يستطيع الإنسان أن يعرفها بعقله، ولكن كما قال الله [الآية (٥٣) فصلت]:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

فكل إنسان يشاهد من صفات الله بعقله، أو بنور قلبـــه، أو بـــسر روحه، ما يستطيع تحمله..!!ويبقى بعد ذلك قوله ﷺ فى معنى الحديث:

{ كل ما خطر ببالك فالله ﷻ بخلاف ذلك }

سند الصالحين فى مجالسهم

وهذه الأحوال يا إخواني التي نحن فيها الآن، هي الأحوال التي كانت مع أصحاب رسول الله ﷺ، فكما ذكرنا من قبل:

أن أهل الصفة رضى الله عنهم هم أول من هاجر خارج المدينة المنورة لله، طلبا لوجهه الكريم، وابتغاءاً لمرضاته سبحانه، وإعلاءاً لشأن دينـــه فى جميع بقاع الأرض, وكذلك نحن عندما نهاجر فإننا نتأسى بهجرة أهل الصفة.

لماذا نهاجر؟

لا لعمل ولا لأكل ولا لشرب، وإنما نهاجر لله طلبا لوجه الله وابتغاء لمرضاة الله جل في علاه.

وإذا كان من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة. هذه آية، لكن الأعظم منها في المقام هو قول الله تعالى :

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [١٠٠، النساء]

والموت الخاص بنا هنا في الدنيا هو الفناء، ومعنى فقد وقع أجره على الله: أن جزاؤه هو الله ﷻ.

ماذا كان يفعل أهل الصفة؟

كما ذكرنا كانت لهم مجالس.

مجالس قرآن، ومجالس علم، ومجالس ذكر، ومجالس فكر. كانت هذه هي المجالس الخاصة بهم، وكذلك مجالسنا لأن مجلسنا عبارة عن مجلس قرآن، ومجلس صلاة على حضرة النبي، ومجلس ذكر، ومجلس علم،

ولذلك نريد من إخواننا الرجوع لهذه الأصول.

فإنما حرموا الوصول بتضييع الأصول.

مولانا أبو العزائم لم يسمِّها " حضرة " بل كـــان دائمـــا يقـــول عنــــها " مجالس الإخوان ".

لأن النص في الحديث: مجلس، وأبو العزائم كـــان دائمـــا يرجــع للأصول، مجلس ذكر، أو مجلس علم، أو مجلس قرآن أو إذا كان الإخوان

مع بعض نسميه مجلس الإخوان.

۞ والناس تقول الشيخ فلان أو شيخنا فلان أو عمنا فلان..

قال: قولوا الأستاذ، أن تجازي أستاذنا أبا العزائم، لأنه له الأســتاذية في مجال السير إلى الله والسعي إلى الله والفتح الأعظم في رحاب حضرة الله ﷻ.، وهكذا,.... انت رايح فين؟ أنا رايح المجلس....مجلس إيه ؟

مجلس العلم، مجلس الذكر.. إن شئت قلت مجلس علم لأن فيه علم وإن شئت قلت مجلس ذكر وان شئت قلت مجلس قرآن وان شئت قلــت مجلس صلاة على النبي، وهذه كلها موجودة في الأحاديث الصحيحة.

۞ دخل ﷺ المسجد، فوجد مجلــسين: مجلــس علــم، ومجلــس ذكر.فقال: كلاهما على خير، ولكني أرسلت معلما.

۞ وكذلك، أين أنت ذاهب ؟

أنا رايح أزور الأستاذ، لأنه أستاذي فعلا فكل من يريد أن يــسجل رسالة ماجستير في معرفة النفس أو دكتوراه في معرفة الله لابد أن يكون له أستاذ مشرف على الرسالة.

۞ وهكذا..فكل الأعمال التي نعملها، والتي عملها السلف الصالح، والسادة الصوفية ... كلها موجودة في كتاب الله وفي سنة رسول الله.

سند الصالحين في الإنشاد

ومن ذلك أيضا نحن نروح النفوس بمواجيد حكمية، لأنها عن وجد، ولذلك عندما نسمعها نجدها تثير كوامن الوجد ويتحرك الباطن بالغرام.

راح قدس قصائد عن قصود ... قد أديرت من يد المعبود

فهذا كلام غير عادي :

لأن الكلام العادي يحرك النفوس، وهذا الكلام يحرك القلوب.

وهذه الأحوال كانت موجودة على عهد سيدنا رسول الله الأعظم ﷺ :

فسيدنا رسول الله لما دخل المدينة المنورة، كيف دخل ؟

بالقصائد، ..لأنهم كانوا فرحين به.

وكذلك نحن عندما نفرح بالله ورسوله، نعبر عن ذلك بإنشاد القصائد والمواجيد الدينية، والحكمية.

سند الصالحين في مواكبهم

حتى مواكب السادة الصالحين لها سند من الهدي النبوي :

فسيدنا عمر لما دخل الإسلام هو وسيدنا الحمزة، وذهب سيدنا عمر وأسلم، وقال :

يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ قال: بلى.

قال : فلم نرضى بالدنية في ديننا ؟ هيا بنا نذهب إلى الكعبة.

وصفَّ المسلمين صفين، صف في أوله عمر والثاني في أوله الحمزة وسيدنا رسول الله في الوسط.ومشى الصفان إلى أن وصلوا إلى الكعبة.

وكذلك مواكب الصوفية: صف عن اليمين، وصف عن اليسار، والشيخ في الوسط، هذا هو الموكب.

وقد عُمِل لسيدنا رسول الله مرة أخرى، عندما دخل المدينة لأن

الموكب من دار الأرقم بن أبي الأرقم كان بدون رايات.

لكنه عندما دخل المدينة، كان موكبه بالرايات.

لأنه لما دخل المدينة وقابله سيدنا عبد الرحمن بن عوف وكان قادما من بلاد الشام، وكان معه تجارة ومن ضمن التجارة كان معه ملابس بيضاء، كان قد اشتراها من حُلل الملوك بضاعة راقية، قال:

يا رسول الله أتدخل المدينة بهذه الهيئة؟ لا يكون..!

وأعطاه حُلّتين بيض من حُلل الملوك، لبسهما سيدنا رسول الله.

وتصادف مرور قبيلة من القبائل العربية هي قبيلة أسلم، أرادت أن تعترض موكب سيدنا رسول الله لتنال الجائزة التي وعد بها الكفار من يأتي به حيا أو ميتا، فخرج زعيمهم وكان معه سبعون رجلا من قومه :

وكان اسمه بريدة بن الحصيب الأسلمي، فذهب لرسول الله.

فقال له : من أنت؟

قال : بريدة.

فقال رسول الله : برد أمرك يا أبا بكر.

فقال له رسول الله : وممن الرجل؟

قال : مِن أسلم.

فقال ﷺ :سلمت يا أبا بكر.

فقال له بريدة : من أنت؟

فقال : محمد رسول الله فأسلم بريدة ومن معه.

فقال بريدة : يا رسول الله أتدخل المدينة هكذا؟ !! : لا

والله لا يكون !، وفك عمامته، وأحضر رمحه، وصنع منهما راية.

وأحضر الرجال السبعين، وصفهم صفين عن اليمين والشمال.

ومشوا أو ساروا بهذه الكيفية، وخلفهم رسول الله على هذه الهيئة كأنهم حرس جمهوري، أليس هذا هو الموكب؟

صفان، وأمامهما الراية، وأستقبلهم المنشدون من أهل المدينة بالنشيد المشهور (طلع البدر علينا)، أليست هذه أحوال وموكب رسول الله؟

وكذلك العمامة أو الملبس الذي اتخذه الصالحون تأسيا بسيدنا رسول الله ﷺ في هذا الأمر :

جماعة منهم لبسوا عمامة حمراء...

وجماعة لبسوا عمامة خضراء[4] ....

وجماعة لبسوا عمامة سوداء،.... لماذا؟

أخذا من رسول الله..: لأنه كان أحيانا يلبس عمامة حمراء [5]، فاختارها السيد أحمد البدوي شعارا له.

وعمَّم سيدنا علي بعمامة سوداء كان يلبسها، فكان ساعة أن يراه يقول : "هذا علي قد أقبل في السحاب"[6].

وكنَّى سيدنا رسول الله هذه العمامة السحاب.

كما ثبت بالأحاديث المتواترة أنه ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء، فأخذها سيدي أحمد الرفاعي شعارا له.

---

[4] فى الحديث عن كعب بن مالك فى تفسير الطبرى { فيكسوني ربي حلة خضراء... (وفى آخره) ، فذلك المقام المحمود }

[5] عن عائشة رضي الله عنها، فى حديث { رأيت جبريل عليه السلام عليه عمامة حمراء مرخيها بين كتفيه} ، الهيثمي فى مجمع الزوائد، وفى حديث آخر عن عائشة أيضا وقد حدث به ابن عسكر فى تاريخ دمشق أنه رأته وعليه عمامة بيضاء.

[6] عن محمد الباقر بن على بن الحسين، المحدث ابن القيسرانى فى ذخيرة الحفاظ.

واختار الإمام أبو العزائم أحب الثياب إلى الله البياض واختار لأولاده الجلباب الأبيض، وهذه أيضا من السنه عن رسول الله ﷺ.

لكن الناس الجهلاء:

لأنهم لا يعرفون الأصول حاربوا أهل الله المتمسكين بالأصول الموصلة إلى حضرة الرسولﷺ.

السيادة لأهل البيت

يقول بعض المعترضين:

لماذا تقولون السيد فلان؟ ، والإجابة لأن رسول الله هو الذي قــال عن الحسن بن على رضى الله عنه :

{ إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين }

هذا حديث، وفي الحديث الثاني قال :

{ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة }[7]

أليس هذا كلام الرسول يا إخواني؟

فلو فتشت في أحوال السلف الصالح :

تجد أنه لم يكن أحد منهم يقص أظافره، إلا كما عمل الــنبي ﷺ، أو أمر بذلك عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولم يكن أحد منهم يطرف عينيه إلا بالكيفية التي كان يفعلها حضرة النبي في ذلك، كله عن رسول الله.

[7] سنن الترمذى عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

فبدلا من أن أهاجم..!

أسأل أولا عن السند..؟

من سنن الحبيب المصطفى ؟

فحينئذ لن أعترض، ما دام من رسول اللهﷺ.

سند الصالحين في الأوراد والأحزاب

الأوراد

رسول الله، هو الذي أعطاها لأصحابه، وأعطى كــل واحــد وردا خاصا به، ✿ فقد قال :

{ **يا علي ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قال بلى يا رسول الله، قال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** }[8]

وهذا ورد علي، وكذا غيره، فكل هذه الأوراد الموجــودة أعطاهــا رسول الله لأفراد من أصحابه ﷺ أجمعين، كان يعطي لكل واحد منهم وردا خاصا به على حسب قدراته وعلى حسب طاقاته وعلى حسب إمكاناته.

✿ من الذي يعطي هذه الأوراد ويجدد هذه الأحوال؟ الذين يقــول فيهم الله[الآية (١٠٨) سورة يوسف]:

﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾

[8] صحيح البخارى عن أبي موسى الأشعرى

لأن الأوراد موجودة، لكن القدرات محدودة.!!

من الذي يعرف القدرات ويعطي لكل واحد ما يلائم طاقاته وقـــواه الروحانية الظاهرة والباطنة؟

الذي هو على بصيرة، ومن أين يأتي بالأوراد ؟ ..من سنة رسول الله، كلها من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ.

الأحزاب

إذاً لماذا هذا "الحزب" (أو هذه التسمية)؟

هذا وارد فى السنة لأن سيدنا رسول الله كان إذا حزبه أمر[9] فزع إلى الصلاة والصلاة يعني الدعاء.

وكذلك الصالحون، قد جربوا عندما يحزب أحدهم أمر، فيـــدعو بدعاء فيفرج الله عنه، فيسأله أولاده، ماذا يفعلون عند الشدائد؟ فيعطيهم الدعاء – أى الحزب– الذي جربه، ويأمرهم بترديده إلى أن يأتيهم الفرج.

سيدي أبو الحسن الشاذلي على سبيل المثال :

كان يركب سفينة في البحر، والسفينة على وشك الغـــرق، فـــالتف الناس حوله يستغيثون به، ففتح الله عليه بحزب في الحال سمَّاه " حزب البحر ".وعندما فرغ من دعاء الحزب (لأن الحزب أدعية فيه آيات قرآنية، وفيه أدعية نبوية، وفيه أدعية إلهامية ألهمه الله ﷻ بها في الحال) وعندما فرغ مـــن الحزب سكتت الريح واستقرت السفينة فعرفوا

أن هذا الحزب له سر، فلما يقع الواحد منا في ضيق ماذا يفعل؟

---

[9] رواه حذيفة بن اليمان ، المحدث أحمد شاكر فى عمدة التفسير

يأخذ حزب البحر ويدعوا به.

۞ وكل الصالحين على هذه الشاكله وعلى هذه الهيئة وعلى هـــذا الحال يقع أحدهم في شده، فيلهمه الله من باب :

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ ﴾[الآية(٣٧) سورة البقرة]

يلقنه الله كلمات يفتح الله ﷻ بها عليه في الوقت، فيُذهب الله عنـــه هذه الأهوال وهذه الأحوال.

فلما يأتي أولاده وهذه حاجة مجربة، أى دواء مجرب واعتمدته وزارة الصحة النبوية، وسُجّل في الحضرة الإلهية هل أتركه وأجرب؟!

إنه دواء قد ثبت واعتمد، فآخذ هذا الدواء: ولكن مـــن الأطبـــاء الحكماء والرحماء، فهم الذين يكتبون تذكرة هذا الدواء الذي يلائم قواي وقدراتي الروحانية والجسمانية، لكي لا يحدث عندي زعزعه ولا فلتات.

۞ ولذلك تجد أن الناس السائرين على النهج الصالح مثل مولانا أبو العزائم وأبنائه الكرام لا يحدث لهم أن واحدا يصاب بالعتـــه أو بلوثـــه أو واحد يخرج عن الطوق وعن الطبيعة مثلما نرى في الناس الآخرين.

لأن الآخر يأخذ أورادا من نفسه، وأحيانا تكون فوق طاقته فيفقـــد التوازن بين الجسم وبين الروح، فيحدث له الأحوال التي نراها والتي تجعل الناس تعترض على الصالحين.

۞ طبعا هذا ليس له شأن بالصالحين لأنه مشى على حسب هـــواه، لأن أوراد الصالحين مفتوحة لكن ليس من حقي أن آخذ منها كما أنه ليس من حقي أن آخذ دواء من الأجزخانة بدون تذكرة من الطبيـــب؛ لأني لا أعرف ما يلائمني ولا أقدر على تحديد المرض الذي عندي :

لابد من واحد معه الإمكانات الروحانية، والطاقة النورانية التي تحدد لي الداء الذي يمنع من رؤية سيد الأنبياء، ومن الوصول إلى مراضي الحق ﷻ في جميع الأرجاء، ويعطيني المواصفات التي أتم بها علاج هذا الداء من صيدلية القرآن ومن تحضيرات مركز النبي العدنان ﷺ، ليس من عنده ولكنه يمتلك البصيرة المنيرة.

۞ وهكذا يا إخواني :

كل أحوال الصالحين على هذه الشاكله، كلها من رسول الله ﷺ.

سند الصالحين في تقديم ما يسرُّ لإخوانهم

كذلك الذين يقعدون في المجلس، لازم " النفحة " :

أصحاب رسول الله هم الذين قالوا ذلك:

{ كانوا إذا اجتمعوا لا يتفرقون إلا عن ذواق }

.هكذا تقرير وكالة البخاري ومسلم والذي ذكره سيدنا أنس بن مالك وسيدنا أبو هريرة وكانوا من الصحفيين الأوائل في نقابة الصحفيين المحمدية، ماذا قالوا :"**كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا لا يتفرقون إلا عن ذواق**"

يعني شيء يتذوقوه ويأكلوه، كأن يأكلوا تمرا أو عجوة، أو يشربون لبنا أو عسلا أو أي شيء يتذوقونه وهي التي سميناها الآن "نفحة".

لكنها من سنه رسول الله ﷺ وليس فيها تكلف، إنما الجود بالموجود.

۞ وهكذا أي أمر من أمور الصالحين :

سنده موجود في كتب الصالحين رضي الله ﷻ عنهم أجمعين.

ولكن الناس المشغولين بالظاهر:

مثلما درسوا سيرة رسول الله الظاهرة ولكنهم لم يلتفتـــوا لأحوالــه الباطنة، وهى التي ركز عليها العارفون، كذلك درسوا ســيرة أصــحاب رسول الله الظاهرة، وتركوا أحوالهم الباطنة، مثلما تكلمنا عن سيدنا أبــو بكر الصديق رضى الله عنه :

هل كتب السيرة تحوي هذا الكلام ؟...لا..!!

الذي يتكلم عن هذه الأحوال :

أفراد مثل الإمام أبو العزائم في كتابه " الفرقة الناجية ".

ذكر عينات وترك لنا أن نرى الباقي، فذكر عينات مـــن أصــحاب رسول الله، وسرد بعض أحوالهم الباطنة التي أسس بها مقامـــات وأحـــوال الصالحين رضى الله عنهم أجمعين.

وأنت تقيس على ذلك إذا كنت من أهل الفتح فعندما تبحث عنهم ابحث عن هذه المجالات.

سند الصالحين في أحوالهم

يقولون: أين وردت أحوال الصالحين؟

فلم تكن عند أصحاب رسول الله :

ونقول من أول المحدثين وأهل الفراسة ؟

ألم يكن سيدنا عمر ؟ الذي قال فيه النبي ﷺ:

" لقد كان فيمن قبلكم محدثين وإن عمر لمنهم ".

۞ لقد كلم الأرض وقال لها: قري واسكني فإني اعدل على ظهرك.

۞ وكذلك بعث رسالة للنيل واستجاب لها النيل.

۞ وأول واحد في الشفافية البصيرية، كان سيدنا عمـر: لقـد رأى الرجل بينه وبينه مسافات طويلة، وحذره قائلا له: يا سارية الجبل !!.

۞ وكذلك كان القرآن يترل على رأيه.

۞ وكذلك سيدنا عثمان بن عفان إمام أهل الفناء .... لأنه كـان فانيا في الله بالكُلية.

۞ وسيدنا علي أول من تكلم في علوم الإلهـام، حيـث يتـشدق المعترضين ويقولون: من أين جاءت الصوفية بهذا الكلام.

إن سيدنا علي هو أول من تكلم في هذا الكلام. رحـم الله سـلفنا الصالح وقد قال سيدنا الجنيد رضي الله عنه:

رحم الله أبو الحسن لولا الحروب لترك لنا علوما كثيرة.

أليس كان يقول: لو فسرت فاتحه الكتاب بما أعلم لـوقرتم سـبعين بعيرا، وكان آونة يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كل شـيء في السماء وفي الأرض، من أين ؟

من علوم الإلهام.

فيقولون له: هل خصكم رسول الله بشيء؟

فيقول: لا.. إلا فهما يجده العبد في كتاب الله، وهو الإلهام.

فأول من تكلم في علوم الإلهام هو سيدنا علي:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٢٨٢ البقرة]،

﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[٦٥ الكهف]

هذه أحوال أصحاب رسول الله، والتي ينكرون مثلها على الصالحين، وغيرها كثير.

نسأل الله سبحانه وتعالى :أن يجدد لنا وبنا أحوال أصحاب النبي المصطفى... وأن يجعلنا من أهل الصفا والوفا... وأن يرزقنا العفاف والتقى والهدى والغنى.. وأن يغنينا بفضله عمن سواه .. وأن يفتح لنا فتحا مبينا، ويفتح بنا قلوب الغافلين، ويفتح لنا قلوب عباده المختصين، وأن يجعلنا من عباده الواصلين ... ويرزقنا في الدنيا روحا وريحانا... ورؤيا دائمة في المنام واليقظة للنبي العدنان ... ويجعلنا من أهل مقاعد الصدق وروضات القرب في الجنان. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الأقطاب والأبدال والأوتاد

س : ما الفرق بين الأقطاب، والأبدال، والأوتاد ؟

الأقطاب

الأقطاب هم :

- رؤساء الدوائر الإلهية.
- وأئمة الإرشاد في المراحل السلوكية.
- وأئمة الإمداد في مراحل الوصال لأهل دوائرهم.

فإن القرآن قد جعل هناك دوائر روحانية، بمعنى أن هــذه الــدوائر لأهلها خصال ومواصفات وأعمال ومجاهدات إذا قاموا بها بلغوا الكمالات التي جهزها الله لأهل هذه الدائرة، وأفاض الله ﷻ عليهم الأسرار

التي اختص بها أهل هذه الدائرة.ومن أمثلة هذه الدوائر....:

دائرة...:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ [(٣٠) فصلت]

هذه دائرة من الممكن تشبيهها في عصرنا بفرقة في الجيش الإلهي... سلاح معين لأنهم مشتركين في أوصاف معينة:

﴿ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ...﴾

هذه دائرة، وأعلى الناس شأناً في الاستقامة في هذا العــصر يكــون قطب هذه الدائرة لأنه المعلم لهم والمهذب لنفوسهم والممد لهــم مــن وراء حجاب أو مواجهة على حسب أحوالهم وتأهلهم في هذا المقام.

وأهل هذه الدائرة :

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِى ٱلۡأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِىٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة فصلت]

إذن أهل هذه الدائرة، وهم أهل الاستقامة، يخدم الله لهم ويسخر الله ﷻ لهم ملائكته الكرام في حوائجهم وفي طلباتهم وفي كل أطوارهم وفي كل أحوالهم... هذه دائرة.

✪ هناك دائرة ثانية :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

ما أوصافهم أهل هذه الدائرة وماأعمالهم ؟

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [(٦٣) يونس]

ما الذي أعده الله لهم ؟[٦٤ يونس]

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾

وكذلك أعلى الناس شأناً في هذه الدائرة وفي هذا العمل وفي هـــذا الحال هو قطب هذه الدائرة الذي يدورون حوله.

✪ وهناك دائرة قوله تعالى [٦٣ الفرقان]:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾

✪ وهناك دائرة قوله أيضا [٣٢ فاطر]:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾

✪ والدوائر القرآنية كثيرة ومتعددة وكل دائرة لها قطبها وهو أعلى الناس شأناً في القيام بأوصافها وأعمالها.

✪ ومن الذي سيختار هذا القطب ؟

النبي المختار ﷺ.

✪ وكيف يعرفونه؟

بما يلوح لهم من الأنوار والأسرار.

والذي يختاره النبي المختار يليح لهم فيه أنوارا وأسرارا، فيعلمون أن

هذا القطب المختار الذي عليه المدار.

❁ ❁ وهناك قطب الأقطاب الذي يرأس كل هذه الدوائر :

وهو الوارث الكلي لحبيب الله ومصطفاه، الذي يقوم مقام حـــضرة النبي ﷺ في أمته وينوب عنه ﷺ في تبليغ رسالته وفي الاجتهاد في شريعته.

❁ وهؤلاء الأقطاب كثيرون، من الذي لديه القدرة على عدهم ؟ لا يوجد ومن يريد أن يعدهم لا بد أن يأخذ القرآن من أول آياته...

﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة البقرة]

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة البقرة]

كل هذه دوائر...

وكل دائرة لها أهلها ولها رجالها، وهم الأقطاب.

❁ وطبعاً هذه المصطلحات يجب معرفتها:

لأن هذه المسميات دخلت في كتب التصوف الفلسفي، لأن هنـــاك بعض المتصوفة خلطوا التصوف بالفلسفة، وقالوا في هذا المجال كلام كـــثير يحتاج إلى تنقية، ولكننا نقول الحقائق من كتاب الله..

س : إذاً الأقطاب ليسوا بأربعة فقط؟

جـــ : هذا من ضمن الخرافات التي انتشرت بأن الأقطاب أربعة :

- سيدي أحمد الرفاعي.
- وسيدي إبراهيم الدسوقي.
- وسيدي عبد القادر الجيلاني.
- وسيدي أحمد البدوي.

وأن هؤلاء المدّركين بالكون، وهذه من جملة الخرافات التي نريد أن نحاربها، وبأن كل واحد فيهم له مائة سنة، وبعدها يأتي من بعده ...

معنى ذلك أنه قبل وجود هؤلاء الأقطاب الأربعة....

ألم يكن يوجد أقطاب في الكون؟ !!

وهؤلاء الأربعة الذي مات منهم..! ألن يأتي غيره؟

مع أن ربنا يقول [١٠٦ البقرة]:

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾

معنى ذلك أننا نوقف عطاء الله عند هؤلاء، وعطاء الله واسع، ويسع الجميع، ومستمر إلى يوم الدين [٧٥ الحج]:

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

يصطفي بصيغة المضارع المستمر:

من الملائكة ومن الناس... باستمرار ...

والذي سيكرم منكم ويصبح من أهل الصفاء، سيرى كل يوم في عالم البقاء صحف الأتقياء الذين يصطفيهم الحق ﷻ وتذيعها الأنبـــاء في عـــالم السماء.... كل يوم ....

مثلاً... فلان ولد اليوم من الأصفياء..

لبس فلان رتبة كذا من الأصفياء والأتقياء..

مات فلان اليوم من الأولياء..وأخذ مقامه فلان من الأولياء ...

فوراً وهي نفس ما يحدث في كل شأن من شئون

الله ﷻ....مات الملك... يحيا الملك.

ففي نفس اللحظة التي يقال: فيها مات الملك فلان، قبل دفنه نقـــول يحيا الملك فلان، وكذلك الأمر في كل أخبار السماء.

الأوتاد

أما الأوتاد :

۞ فهم الذين آتاهم الله ﷻ الأحوال النورانية الإلهية والحجة القرآنية والبلاغة النبوية:

فيثبتوا القلوب عند الزلازل وعند الفتن وعند الشك وعند الريـــب والزوغان حتى تظل على صريح الإيمان.

۞ وهؤلاء أيضاً رجال ربنا أعطاهم الحال، الذي به يثبتون الناس :

لأن الإنسان ساعة الفتن والمحن من الممكن، أن ينتقـــل إلى الناحيـــة الأخرى، أي إلى الزيغ والضلال بفلتة لسان أو بحركة يعملها من الأبدان..

كمن نراه من الناس في الشارع يسب الدين:

فمثل هذا قد انتقل إلى الناحية الأخرى، إلا إذا أدركتـــه عنايـــة الله فتاب وأناب، وكذلك من يعترض على الله وعلى أقدار الله...!!!

من الذي يثبت هؤلاء الناس؟...هم ما نسميهم بالأوتاد :

معهم أحوال ...

وكذلك معهم حجج قرآنية وبلاغة نبوية يثبـــتون بها الناس.

وكان الشيخ بن عربي يقول: كان الإمام الشافعي من الأوتـــاد، لأنه كان من الذين يثبتون الناس عند الزوغان.

وقد رأينا في زماننا هذا الشيخ الشعراوى وكان من الأوتاد، لأنه كان يثبت الناس على العقيدة الحقة.

فعندما يسمع الناس منه دروس العقيدة، يربوا الإيمان ويزيد الـــيقين، ويزيد الناس هدىً واطمئناناً إلى جناب الله ﷻ وهؤلاء اسمهم الأوتاد.

الأبدال

أما الأبدال :

فهم رجال استطاعوا بالجهاد :

- أن يبدلوا أوصافهم بأوصاف حبيبهم ﷺ.
- يجاهد الرجل منهم نفسه الجهاد الشديد حـــتى يبـــدل صـــفاته بأوصاف رسول الله.
- فإذا كان عجولاً يجاهد نفسه إلى أن يصبح شبيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأناة.
- وإذا كان سريع الغضب يظل يجاهد نفسه إلى أن يـــصبح شـــبيه سيدنا رسول الله في حلمه.

- وهكذا يجاهد نفسه إلى أن يغير كل أوصافه ويصبح علـى نهـج وعلى أخلاق سيدنا رسول الله.

فهؤلاء ما نسميهم بالأبدال.

لأنهم بدلوا أوصافهم فيبدل الله ﷻ ذواتهم إن شاءوا ...، ويبدل لهم أحوالهم إن طلبوا ...، ويبدل لهم مَنْ حولهم إن رغبوا ... ، لأن لهم مكانة عالية عند الله ﷻ.

۞ واشتهر هؤلاء بأنهم نتيجة تبديل أوصافهم، فـإن الله أعطـاهم القدرة على أن يكون الرجل منهم في أكثر من موضع في وقت واحد.

۞ مثل الشيخ قضيب البان الموصلي:

فقد طلبه القاضي وطالبه بأنه لا يؤدى الصلاة، وإذا به يرى إحـدى عشر رجلاً كلهم قضيب البان وتكلم واحد منهم وقال:

من الذي لا يصلى من هؤلاء؟ فأسقطت الحجة في يد القاضي.

۞ وكذلك مثل سيدي أبو العباس المرسي ﷺ :

دعاه أكثر من رجل من أحبابه لتناول الغذاء يوم الجمعـة، وبعـد الصلاة خرج وتناول الغذاء مع أحبابه في بيته، وبعد العصر جاء مـضيفوه ليشكروه، وكل واحد منهم يقول له:

جزاك الله خيراً على تشريفك لنا اليوم وتناولك الغذاء عندنا، وكانوا أكثر من عشرة، وقد ذهب للجميع وتغذى عندهم.وهو في الأصل تنـاول غذاءه في بيته.

وهذه كرامة يختص بها الله ﷻ هؤلاء القوم.

س : هل يختص الإنسان بمقام واحد من هذه ؟

أم من الممكن أن تجمع لواحد كلها أو بعضها؟

ج : قد تجمع كلها لواحد، وقد يمر بها، ولكنه لا يقــف عنــد واحد منها، وأعظم من هؤلاء:الذين لم يقفوا عند مقام ولا رتبة وإنما أفردهم الله لذاته ويقول فيهم ﷺ:

{ سيروا سبق المفْرِدون}

و في روايات أخــرى:{ سبق الُمفرَدون أو سبق المُفَرِّدون }

{ قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكـــــرين الله كثيراً والذاكرات، وضع الذكر عنهم إصرهم حتى يلقون الله ﷻ خفافاً }[10]

وهؤلاء:

- طلبهم الله لذاته.
- ولم يشغلهم بكائناته.
- وخصهم بمحض هباته.
- فهم عبيد لذاته.
- ولا يقفون عند هذه الهيئات، ولا هذه المقامات، وإنما تجاوزوهــا إلى رفيع الدرجات ﷻ.

وهؤلاء من يقول عنهم الله :

﴿ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [١٦٣ آل عمران]

ليس عندنا هنا، ولكن عنده هو.

---

[10] صحيح مسلم عن أبي هريرة

وهذا بعض ما نستطيع أن نتحدث به عـــن هـــذه الأمـــور، والمقامات كثيرة، والرتب كثيرة.

والمهم أن الإنسان :

يجاهد لكي يشاهد، وبعدما يشاهد :

سيرى بدلاً من الواحد ألف واحد، وبدل المقام مائة ألف مقام، وبدل الدرجة مائة مليون درجة، لا عد ولا حد عند الله ﷻ.

لكن في هذه الحالة سيكون رأى بعينه وليس سماعاً.

ولكن الناس في عصرنا انشغلوا بما كتبه الشيخ محي الدين بن العربي وغيره وغيره، ويذاكرون في هذه الأحوال، لكي يتكلموا فيها... وماذا بعد الكلام؟

ليس المهم أن أتكلم عنهم ، ولكن المهم أن أكون منهم...!!!

فلا يشغل الإنسان باله بالكتب التي بها الشطحات والتي دخل فيهـــا الفلسفة، وخاصة فلسفة التصوف .. وما ذا: إلا لأننـــا نريد التصوف أو الصوفية من القرآن ومن السنة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

البَابُ السَّادِس

حَقِيقَـــةُ محبَّـــتِهم

- الحب في الله
- ســـر فضل الله
- السبيل إلى حب الله
- لا عبـــــادة كالتفكر
- المراقبة والمحاســــــــبة
- محبة الحبيب
- المحبة والمتابعـــــــة
- موقف الشريعة من علم الإلهام
- مشــــــــــــروعية الذكر

قال الإمام أبو العزائم ﷺ
فى محبتـــه لحبيب القلوب ﷺ

كم ليلة فيك لا صباح لها

قد بتُّ فيها قابضاً على كبدي

قد غصت العين بالدموع وقد

وضعت خدّي على بنان يدي

بسم الله الرحمن الرحيم (*)

و الصلاة والسلام على ينبوع المحبة ° وكنز الأحبة وإمام أهل الحب في حضرة الله، بدءاً وختماً سيدنا محمد وآله الهداة وأصحابه الذين أحبـوه غاية الحب في الله، وكل من تابعه على هذا الهدى وعلى هذا المنهج إلى يوم الدين، آمين آمين يا رب العالمين.

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين :

كان فيما استمعنا إليه اليوم من آيات كتاب ربنا ﷻ بيانا كافياً شافياً لنـا وللناس أجمعين أن المؤمن كما قال فيه الحبيب المصطفى ﷺ:

{ المؤمن يكفيه قليل الحكمة } [1]

والحمد الله العلوم أصبحت كثيرة، ونسمع الكثير ولكن ما نحتاج إليه أجمعين لتنصلح أحوالنا ولتصفوا قلوبنا ولننال من الله ﷻ مرادنـا ولكـي يصلح الله ﷻ دنيانا ويسعد أخرانا :

نحتاج إلى العمل، ولو بآية من كتاب ربنا ﷻ، أو بحديث ولـو مـن كلمتين من أحاديث النبي ﷺ، فإن العمل هو الذي يبلغ الإنسان الأمـل، ولذلك يقول مولانا أبو العزائم ﷺ :

العلم يهتف بالعمل... فاعمل تنل كل الأمل

وماذا نعمل ؟؟؟

(*) كان هذا الدرس بمسجد السيدة الحورية – محافظة بني سويف يوم الاثنين ١٩ من المحرم ١٤٢٦ هـ الموافـق ٢٨ مـن فبراير ٢٠٠٥م.

[1] سنن الترمذي والجامع الصحيح بلفظ الحكمة ضالة المؤمن عن أبي هريرة

والأعمال كثيرة، وشعب الإيمان والحمد لله سبحانه وتعالى متنوعـــة وغزيرة؟، نعمل عملا واحدا ...

يبلغنا ما نتمناه في الدنيا، وما نرجـــوه مـــن الله ﷻ مـــن الفـــضل والرضوان وننال به في الآخرة معية الحبيب العدنان ﷺ.

الحب في الله

العمل الذي نحتاجه كلنا :

الحُب ...

فلا يوجد يا إخواني شيئ سيصلح أحوال الناس فيما بينهم، ويرفـــع شأن العباد مع ربهم، إلاَّ مراعاة المحبة التي نأخذها من سيد الأحبة ﷺ، فنحن نحتاج لجرعات حب، ومن أين نأخذها؟

لا يوجد عندنا في الصيدليات: جرعات أو كبسولات ولا فيتامينات في الحب، وكذلك لا يوجد في المكتبات وحتى الكتب المكتوب فيها الحب: لا تعطينا الحب. لكن الحب لازم نأخذه من رسول الله ﷺ.

هذا الحب الذي وصل به أصحابه إلى ما يبغون، فالأنصار عندما أثنى عليهم الله ﷻ في كتاب الله، بم أثنى عليهم؟

أبالصلاة أم بالصيام أم بالزكاة والصدقات والعبـــادات والأذكـــار والحج وغيرها؟

لا بهذا ولا ذاك لكن اسمع وأعقل قول مولاك :

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الآية (٩) الحشر]

أثنى عليهم الله بحبهم لحبيب الله ومصطفاه فهو الذي هاجر إلـــيهم. هذا الحب جعلهم ينطبعون على العمل لله رغبة فيما عند الله ويستقلون ما يعملونه في جانب فضل الله ورضوان الله ولذلك قال عقبه الله جل في علاه:

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [(٩) الحشر]

فالحب هو الذي يدفع المحب إلى العمل، رغبة في نيل الأمل.

وهذا لا يكون إلاّ إذا كان على نسق الأنصار، لكن من يزعم أنـــه يحب الله، ويكبّل يده عن الإنفاق فيما يحبه الله ويرضاه، نقول له: أين هذا الحب؟

وكذلك من يدعي أنه يحب مولاه، ونفسه تمنعه من القيام في صـــلاة الفجر سعياً لرضاء الله، ويستلذ المنام ليرضي نفسه ويغفل جانب رضاء الله.

الحب لابد أن يكون ترجمه سلوكية عملية فعلية للعقيدة القلبية الـــتي زرعها في قلبي الله وغرسها ونمَّاها سيدنا رسول الله ﷺ.

وهذا حب الأنصار :

الذي كان يجعل الرجل منهم يذهب ويسارع ويتنـــافس في ســـبيل العمل الذي يرضي حبيب الله، حتى ورد أنهم كانوا يتقاتلون على الرجـــل المهاجر، كلٌ يسعى لأخذه إلى بيته، وربما لا يوجد في بيته شيء، حتى وصل الأمر أن الحبيب كان يُقْرع بينهم (أي يجري قرعة) فمن يقع عليه السهم هو الذي يفوز بنصيبه من الضيف، ويفرح به ويذهب إلى بيته فرحاً بفضل الله؛ لأنه سينال رضا الله ورضاء حبيب الله ومصطفاه

نحن كلنا نحب :

ولكن الله ﷻ جعل لنا ميزاناً إلهياً قرآنياً للحب.

نحب الزوجة، ونحب المال، ونحب الأولاد، ونحب الآباء والأمهـــات، ونحب الوظيفة والجاه، ونحب الطعام والشراب، ونحب الكساء الجيد ونحب كل مظاهر الحياة الدنيا.

لكن هذا كله لا يبلغ في قلب المؤمن بعض ذرة من حبه لربه ولنبيـــه ﷺ وقد قال ﷺ :

{ أن يكـون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما }[2]

حتى أنه من شدة بيانه أكد هذا الأمر، مع انه لـــيس في حاجــه إلى تأكيد وأقسم عليه وليس بحاجة إلى القسم فقال :

{ والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله وولده ونفسه والناس أجمعين }[3]

هذا هو الترمومتر الذي تقيس به عندك حب رسول الله في قلبـــك؛ إذا وجدت هذا الحب، في الحال تفتح أمامك خزائن فضل الله وجميع أبواب كرم الله..:

من لحظة في الحب تشهد وجهه... وتفوز منه بسره والحـــــال
تعطى العلوم وتشهدن.فتترجمن... بلسان أهل القرب والأبدال
ولو كنت أمياً لا تقرأ ولا تكتب تُعْطَى الجمال:

ليس الجمال الحسي، ولكن الجمال البـــاطني، والجمـــال المعنـــوي، والجمال القرآني، والجمال الإيماني، والجمال النبوي، والجمـــال البـــاهي،

---

[2] صحيح البخاري عن أنس بن مالك.
[3] المستدرك على الصحيحين للحاكم عن فاطمة بن عتبة.

والجمال الإلهي الذي لا يراه إلا أهل القلوب الذين رزقوا الفراسة الـتي يقول فيها الحبيب المحبوب:

{ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله }[٤].

تعطى الجمال فلا يراك مصـدق... إلا ويشهد نوره المتلالـي
من أين هذا العلم والنـور الذي... أعطيته من لحظة في الحـال
من حب قلبي للحبيب محمـد نلت المنى بل نلت كل آمـالي

سر فضل الله

وهكذا فالعارفون والصالحون والمقربون أجمعون :

بم وصلوا إلى فضل الله؟

وبم أورثهم الله كمال حبيبه ومصطفاه ؟

وكشف عنهم الحجب ؟ وأراهم سجف الغيب؟

وعاينوا الجمال في عالم الإطلاق؟

- فمنهم من كان يرى الجنة وهو بين الناس.
- ومنهم من كان يرى الحبيب المصطفىﷺ ولا يغيب عن ناظريه طرفة عين ولا أقل.
- ومنهم من كان إذا أراد أن يتحدث نظر إلى اللوح المحفوظ مـن عين موهوبة من علام الغيوب فيترجم معاني كلام الله ﷻ المكتوب.

(٤) سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري.

✿ ومنهم ومنهم إلى مالا نهاية.

بم وصلوا؟ وبم اتصلوا؟ وبم نالوا فضل الله؟

بما حصَّلوا بحبهم لحبيب الله ومصطفاه، ولحضرة الله جل في عـــلاه: بالحب يا إخواني...!! ليس حب كلام..!! ولكن حب فعلي وعملي.

✿ كان بعضهم لا ينام :

ليس شغلا بالدنيا الدنية ولا طلباً للشهوات الأرضية : لأنهم علمـــوا أن ما كان لماضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فقد قضى ذلك الأمر قبل خلق الدنيا بألفي عام كما أخبر حبيب الله ومصطفاه، فقد قال صلوات ربي وسلامه عليه :

{ إن الله خلق الدنيا وقدر فيها أقواتها قبل خلق آدم بألفي عام}[٥]

✿ فالأقوات موجودة ومشهودة ومحدودة ومعدودة :

- ولن ينال إنسان رزق آخر.
- ولن يأخذ إنسان إلا ما قدره له ربه، فإن رضي عن الله وكان له الرضى، أخذ ما قُدّر له من الحلال، وإن تعجلته نفسه وسولت له أن يستعجل رزقه أخذ ما قُدّر له ولكنه حصله بالشغل الحـــرام ومن الطرق التي لا ترضي الله ﷻ ولا المصطفي عليـــه أفـــضل الصلاة وأتم السلام.

لذلك قال ربي لأحبابه وعباده المقربين حتى لمن أراد الأرزاق الفانية :

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الذاريات]

---

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما.

۞ أين رزقكم؟ .....في السماء.

يعني اطلبوه بالعزة...

لأنه من حضرة الله ولا مذلة فيه لأحد من خلق الله... ولا تركـــب الصعب في سبيل تحصيله.

لا إذا وافق على هذا المسلك شرع الله، وكنت على بيَّنه أن فعلـــك هذا يرضى عنه كتاب الله وتوافق عليه سنة حبيب الله ومصطفاه، وأنك لن تنال إلاّ ما قُدّر لك لأن الرزق في السماء وليس في الأرض.

۞ أين المطبخ؟ ....في السماء.

۞ وأين محل الأكل؟ ....في الأرض.

السفرة في الأرض. وكيف تحضر لسفرة الأكل ؟ ومن أين ؟

من المطبخ !..، لكن المطبخ الذي يوصـــل المـــأكولات، ويـــسويها وينضجها وينميها، أين يا إخواني ؟

من الذي يسوي الثمار؟ ومن الذي يعطيها المـــذاق؟ ومـــن الـــذي يكورها وينضجها ويعطيها الأشكال والألوان؟ ومن الذي يجعل فيها القوت الذي يرزقك به الله القوة حتى تستطيع أن تستعين بهذا القوت على طاعـــة الحي الذي لا يموت؟ ... الله ﷻ.

۞ وهل الأرض لو فتشنا فيها، والتي فيها المزروعات فيها طعوم ؟

أو فيها حلاوة؟ أو فيها مرارة؟ أو فيها حموضة؟ أو فيها ألوان؟

وهل المياه التي نروي بها فيها شيء مما ذكرناه؟

وهل الهواء الذي يغذّيها فيه شيء مما حكيناه؟

كلا ولكن الأمر كما قال الله:

﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ﴾ [الآية (٤) الرعد]

من الذي عمل الطعوم، والألوان، والروائح، والمشام ؟

الله جلَّ في علاه.

السبيل إلى حب الله

فالحب الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ :

كيف وصلوا إليه؟

سيدنا رسول الله بيّن لهم الطريق ووضح لهم المحجة :

لكننا لم نفطن لذلك.

فقد جلس مع أصحابه قبل فرض العبادات بإثنى عشرة سنة قبل فرض الصلاة والصيام والزكاة والحج، ماذا كان يفعل؟

كان يغرس نبات الحب ويغذيه وينميه.

والعبادة التي بها يصل الإنسان إلى مقام الحب عبادة كثير من النـــاس أهملها وتركها في زماننا هذا وقال فيها الحبيب :

{ أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم والآلاء وأحبوني لحب الله عز وجل لي وأحبوا آل بيتي لحبي}[٦]

---

(٦) المستدرك على الصحيحين للحاكم عن ابن عباس رضى الله عنه.

كيف نحب الله يا إخواني؟

إذا شغلنا عبادة الفكر، وكيفية الفكر؟

لأن فكرنا كلنا شغال في تحصيل حاصل.

شغال في الأكل ماذا أتغذى ؟ ماذا أتعشى ؟ ماذا أبن ي؟ كيف أزوج هذا الولد ؟ أو كيف أعلمه ؟ وأربيه؟

شغلنا أنفسنا باختصاصات ربنا ﷻ، وقد قال الله من البداية ليس لك شأن بهذا الموضوع :

﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾ [آية (١٣٢) طه]

هذه وظيفتك.

والأكل والشراب قال ليس لك دخل لأنه اختصاصنا

﴿ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾

[آية (١٣٢) طه]

نحن بكل أسمائنا وصفاتنا وخزائننا الظـــاهرة والباطنـــة، وأملاكنـــا وقدراتنا وعوالمنا التي تراها والتي لا تراها، كلها في خـــدمتك ومـــسخرة لخدمتك إذا كنت في طاعة الرحمن.

وهذا الذي جعل السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها، عنـــدما سُئلت عن شدة الغلاء الحاصل؟

فقالت لهم: الغلاء في أي شيء؟

قالوا لها: الكيلة من الحبوب بكذا، والأردب بكذا، والملابس بكذا والذهب بكذا، ونحن مشغولون.

فقالت: وعزة ربي وجلاله، لو صارت الحبة بدينار ما اهتممت.، عليَّ أن أعبده كما أمرني، وعليه أن يرزقني كما وعدني!!

أي ليس لي دخل بهذا الأمر.

لكننا نحن أدخلنا أنفسنا: فوكلنا إلى أنفسنا، فلما وكلنا إلى أنفسنا، هل نقدر على عمل أي شيء؟

لا لن نقدر أن نعمل إلا بالله......... ومتى هذا؟

إذا اتقيناه ومشينا على الطريق الذي بينَّه ووضحه في كتاب الله:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الآية (٢-٣) الطلاق]

أي من حيث لا يتوقع الإنسان أو يتخيل ... والذي يتوكل على الله ياهناه وياسعد مناه في دنياه وأخراه :

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الآية(٣) الطلاق]

وأولادنا ماذا نصنع بشأنهم؟

سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ :

وكان خليفة على أكبر دولة في البسيطة في عصره (فلم تصل الدولة الإسلامية لهذا الاتساع في أي زمان ولا مكان) وعندما حانت منيته كان له ثمانية عشرة ولد ولا يملك شيء.

فقالوا له: تركت أولادك فقراء !!، أما كنت قد أوصيت لهم بشيء من بيت المال ؟ أو ادخرت لهم شيء من أرزاقك الحلال ؟ لأنه كان يوزع

ما عنده في الباقيات الصالحات.

فقال ﷺ: أولادي رجلان: أما الصالح منهم فالله يتولاه وهو يتولى الصالحين، وأما الطالح منهم فما كنت لأترك له ما أُعينه به على معصية الله فينفقه على المعصية وأُحاسب عليه معه لأنني الذي أعطيته له.

فقد ترك للثمانية عشر: ولدا ثمانية عشر دينارا.

وتحكي كتب السيرة والتاريخ أنهم اشتغلوا بالتجارة، وبعـــد ســـنه واحدة وببركة التقوى، كان كل واحد منهم معه مائة ألف

﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الآية (٨٢) الكهف]

وكيف رباهم ؟

وهذا هو الباب المفتوح:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾[سورة الطلاق]

أنا أريد أعلم ابني لغات، وأُدخله مدارس أجنبية، أو مدارس خاصة ليس هناك مانع: ولكن قبل هذا وذاك لازم أُلقنه كتاب الله، وأملأ قلبه بتقوى الله، يصبح أي مكان يذهب فيه معه الله، قال الله في [النحل]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

كيف يكون معهم ؟

- معهم بمعونته وطوله وحوله.
- ومعهم بفتحه وبتأييده.
- ومعهم بكفايته وصيانته.

– ومعهم بولايته ومعهم بهدايته، ومعهم بعنايته، وقل كما شئت في معية الله.

فإذا جعلت ابنك معه الله: يصبح معه مفاتيح الدنيا ومفاتيح السعادة للدار الآخرة، إن شاء الله معه الاثنان.

وهذا هو السر الذي أعطاه الله لنا.

❁ هذا بينما خلف سيدنا عمر بن عبد العزيز، ابن عمه الخليفـــة هشام بن عبد الملك :

وترك لعياله: لكل واحد مائة ألف دينار، وكانوا أربعة عشر ولـــدا، ولم يترك لهم تقوى الله.

فقد انشغل عنها كما نحن مشغولون الآن، وترك لكل واحـــد مـــن أولاده مائة ألف !! فلم يمر عام !

إلا وقد مروا على الأبواب يطلبون الشراب والطعام..!!

❁ ما الذي يسلِّم الولد ؟... تقوى الله.

❁ وما الذي يسلِّم البنت ؟... تقوى الله.

❁ وما الذي يجعلهم من أهل السعادة في الدار الآخرة؟.. تقوى الله.

❁ إذاً ينبغي أن يكون كل اهتمامي أن أُربيهم على تقوى الله، وعلى مراقبة الله وعلى خشية الله.

فلو أنني وضعت في قلب أولادي خشية الله، فلا يهمني أي شيء بعد ذلك لأن الأرزاق بيد الرزاق ﷻ.، وكما قال القائل:

ولو أن أرزاق العباد على الحجا... لماتت إذاً من جهلهن البهائم

(يعني على العقل) لأنهم ليس لهم عقول ...إذاً الأرزاق علـــى يـــد حضرة الرزاق ﷻ.

لا عبادة كالتفكر

فلكي يضع الإنسان حب الله في قلبه وفي قلوب أولاده :

ماذا يعمل؟

يشغل دائرة الفكر، لكن بعد صفاء القلب لله ﷻ.

لأن الفكر قبل صفاء القلب فكر دنيوي في المشاغل الكونية.

ويجعل الفكر في نعم الله ...، وآلاء الله التي تترى عليـــه في نفـــسه، والتي يراها فيمن حوله... ، هذا هو الأساس الأول الذي سينمي المحبـــة في قلب الإنسان.

۞ فكان سيدنا رسول الله يجلس مع أصحابه ويـــذكرهم بـــآلاء الله وبنعم الله.حتى أن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ قال:

تركنا رسول الله ﷺ وما من طائر يطير بجناحيه في عنان الـــسماء إلا وذكر لنا عنه علما.

لماذا ؟.. لكي يزيدوا في حب الله، وفي الإقبال على الله ﷻ، وفي شكر الله سبحانه وتعالى على عطاياه.

۞ هذه العبادة يا إخواني :

هي أساس زيادة المحبة، وأساس أهل القربة.

لأن الإنسان لو تفكر في خلق الله وليس في ذات الله:

اللقطة الواحدة أحسن من عبادة سنه من النوافـــل الـــتي نتقـــرب ونتطوع بها إلى حضرة الله: قال ﷺ :

{ **تفكر ساعة** (ساعة يعني لحظة) **يعدل عبادة سنة** }[7]

تساوي عبادة سنة من النوافل والقربات لله ﷻ، لماذا يا إخواني؟

لأنها عبادة تشد الإنسان إلى الله.

۞ ولذلك بعد عصر الصديق ﷺ، ظهرت طائفة اهتمت بالعبادات البدنية الظاهرة: قيام الليل، تلاوة القرآن، وهذا كان كل همهم.

هؤلاء القوم نظروا إلى عبادة الصحابة في هذا الباب، ووجدوها قليلة فذهب بعضهم إلى سيدنا أبو الدرداء ﷺ فقالوا له :

لماذا لا تصومون كما نصوم الاثنين والخميس، ولا تقومون الليـــل، ولا تقرأون القرآن كل ثلاثة أيام مثلن ؟

فاعتقدوا أن العبادات التي يعملونها هي سر الأفضلية.

فرد عليهم سيدنا أبو الدرداء قائلا :

عجبت للحمقى كيف يعيبون على الأكياس نومهم وفطرهم، ولذرة من تقوى من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين.

۞ المهم العمل القلبي.

لأن العمل الذي من القلب هو العمل الذي يقبل عليه الله، والـــذي يرفع شأن صاحبه عند مولاه ﷻ، وعمل القلب تكون النية فيـــه أساســـها وبدأها لله جل في علاه.

[7] رواه العراقي في تخريج الإحياء عن أبي هريرة بنص {تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة}.

۞ والنية لا تكون لله:

إلا إذا أخلص الإنسان في حبه لمولاه، وكان طامعاً في رضاه، ويتحرى في كل عمل أن يعمله ابتغاء وجه الله، وطلباً لرضاء الله جلَّ في علاه، وهذا كان حال أصحاب رسول الله ﷺ كما قال فيهم الله [٢٨ الكهف]:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾

يريدون بالعمل وجه الله..لا يريدون الخلق ولا يريدون الشهرة ولا الرياء ولا السمعة، لا يريدون إلا وجه الله.

هذه النية تجعل العمل القليل كبير وكثير وعظيم عند الله ﷻ.

هذا هو الأساس الأول الذي أسسوا عليه أعمالهم وأحوالهم رضي الله ﷻ عنهم في كل وقت وحين.

فلما يتفكر الإنسان في الآلاء وفي نفسه: هذا الفكر يا إخــواني، إذا ارتقى به الإنسان؛ كان خير الذكر...لأن ربنا لما ذكر في القرآن الذكر، في سورة آل عمران:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾

والذكر الراقي هنا، ماذا يكون؟

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١٩١ آل عمران]

۞ أصحاب رسول الله كانوا يتفكرون، ولكن فيم يتفكرون؟

إما في آلاء الله التي في الآفاق أو النفس، وإما يتفكرون في اللحظـــة التي يقابلون فيها حضرة الله، وماذا سيقول لله؟ وماذا سيقول له الله؟

۞ وسيدنا عثمان حتى في الجنازة ﷺ يقول:

ما شيعت ميتاً قط إلا وكنت مشغولا بما يقول الميت، وما يقال له ؟ أي مشغول بالمرجع والمآل، هل سيكون من الذين وجوههم مبيضة ؟ هــل سيكون من الذين يأخذون الكتاب بأيمانهم ؟ هل سيكون تحت ظل العرش ؟

هذا هو الفكر الذي ينفع للذكر.

ولذلك لا ينبغي أن أكون مشغولا بالمعدة..! وماذا أضع فيهـــا ؟ وبم أُغذيها ؟ وكيف أُروّح عن الجسم ؟ وكيف أُكيف له الجو ؟

لأن الجسم كله يقول فيه الله ﷻ:

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [الآية (٥٥) طه]

ولكن يجب أن أشغل نفسي :

بما أنا مقبل عليه وإلى أين أذهب؟ وبم يختم لي؟

وماذا قدمت من العمل الصالح؟ ويا ترى كم لي من رصيد؟

فلابد للمرء أن يراجع رصيده كل ليلة لأنه مشغول بـــ

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ ﴾ [٩٦، النحل]

وهل سيكون من المخاطبين بقول الله:

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة الواقعة]

أم يخاطب بقوله سبحانه:

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة الواقعة]

وهذا شغل المؤمن في دنياه.

ولا يتحقق ذلك إلا نتيجة الفكر فيما هو مقبل عليه، وهذا هو حقيقة

الذكر لأنه هو الذي يدفع للعمل.

لكن لنفترض مثلا..أنني جلست في حلقة ذكر في هذا المسجد أو في غيره، وذكرت الله إلى ما شاء الله ولم أملأ قلبي بالفكر فيما أنا مقبل عليــه عند لقاء الله..، ربما أرتكب المعاصي مع العاصين مع أنني كنت في حلقــة ذكر..!!. ما الذي سيمنعني ؟

الذي سيمنع الإنسان من المعاصي..: هو الفكر.

ماذا أفعل؟ .. إذا كان الخلق لا يـــروني...!! فـــإن الله ﷻ يـــراني ومشغول دائما بقول الله :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [٤ الحديد].

المراقبة والمحاسبة

فالفكر يقوي المراقبة وينمي المحاسبة.

وهذا أساس نيل فضل الله وكرم الله جل وعلا.

إذن الذي يريد أن ينال فضل الله وكرم الله لابد وأن يراقب الله

وكلما تزيد المراقبة لحضرة الله كلما يزيد الفضل الذي يترى علـــى القلب ويتوالى على الفؤاد من كنوز فضل الله جلَّ في علاه وكلمـــا زادت المحاسبة قلت المعاصي:

فالذي سيحاسب نفسه..قلما يرتكب ذنبا.

الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ، كان أحد تلاميذه وهو سيدي مكين الدين الأسمر يعمل ترزيا، وكان يقول فيـــه: مكـــين الـــدين رجـــل مـــن

الأبدال.يعني من أهل المقامات العالية فالذين سمعوا هذا الكلام عنه ذهبـــوا إليه؛ لأن دكان الترزي محل للأحاديث فوجدوه مشغولا بعمله

ولا يتكلم، وفي آخر اليوم سألوه ما طاعتك ؟ قال :

كما ترون في صنعتي، إلا أنني عاهدت ربي ﷻ أن أحاسب نفسي قبل غروب الشمس على الكلمات التي تكلمتها في يومي :

فأجدها أحياناً إحدى عشرة كلمة وأحياناً أربعـــة عـــشرة كلمـــة فأعرضها على كتاب الله وعلى سنة سيدنا رسول الله فما وافق عليه كتاب الله حمدت الله عليه وما كان غير ذلك استغفرت الله ﷻ منه.

۞ لماذ ا؟

لأنه يحاسب نفسه.

۞ فإذا كان المؤمن لا يحاسب نفسه وأبسط أمر يقع فيـــه المؤمنـــون أجمعون في زماننا هذا هو الكذب، من الذي يحاسب نفسه من المؤمنين على الكذب وعلى أنه ذنب سيحاسبه عليه الله؟

لو واحد فينا حاسب نفسه آخر النهار على عدد مرات كذبه سيجد كم كذبه في الملف لو صوروا صحيفة الأحوال النهارده؟

۞ ولكن الإمام البخاري ﷺ عندما حانت منيته وبكى عليـــه مـــن حوله، قال لهم:

لم تبكون؟ و هاأنذا ألقى الله ﷻ ولم تكتب في صحيفتي كذبة واحدة ولا غيبة واحدة.

هؤلاء هم الرجال:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [٢٣ الأحزاب]

حاسب نفسه أولا بأول. أما الذي لا يحاسب نفسه، فسيحاسبه ربه.

ما الذي يجعل الإنسان يحاسب نفسه؟

إذا تفكر أنه سيلقى الله، أو تذكر ما يريده من فضل الله: يريد أن يكون له مقام كريم عند الله كيف سيناله؟

أعظم مقام سيناله الإنسان بعد مقام النبوة هو مقام الصديقية [٦٩ النساء]:

﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾

كيف سيصل لهذا المقام؟ كم ركعة سيصليها كل ليلة؟ وكم مرة يقرأ القرآن كل شهر؟ وكم يوم يصومهم في الشهر لينال هذه المرتبة؟

لا بهذا ولا بذاك، وإنما بقول الحبيب ﷺ :

{ لا يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً }[٨]

هذا هو الطريق الذي سار فيه الصالحون.

واعتقد الناس أن الحكاية بالصلاة والصيام والأذكار والعبادات، ويكون الواحد ماسك السبحة ويسبح: يا لطيف يا لطيف ويقول الشيخ أعطاني ورد اللطيف مائة ألف مرة، فيسأله أحدهم: ما رأيك في فلان؟

يقول في شأن فلان كلمة، السموات والأراضين يقولون له: يا لطيف على كلمتك في أخيك، فلا بد للإنسان أن يحاسب نفسه.

الصالحون يا إخواني الواحد لا يحاسب نفسه فقط في البداية :

بل يحاسب نفسه في كل يوم وليلة مرة، وبعد ذلك كل يوم مرة، وكل ليلة مرة، ثم بعد ذلك يقول :

---

[٨] مسند أحمد بن حنبل عن عبدالله.

في كل نفس أتنفسه لازم أحاسب نفسي عليه.

يقول: لماذا تنفست هذا النفس؟

هل لله فيبقى لي يوم لقاء الله أو لنفسي فأقول:

﴿ يَـٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾[٥٦ الزمر]

حتى الكلمة:

﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق]

إذن: الفكر هو أعلى الذكر، لأنه ذكر المقربين.

۞ لذلك ذهب جماعة من شباب المسلمين لسيدنا أبو الدرداء يسألون عن عبادته، فوجدوا زوجته فسألوها عن عبادته ؟

فقالت: يجلس يتفكر، فيم يتفكر؟

ليس في الدنيا أو المشاغل أو المشاكل، وإنما يتفكــر في خلــق الله في الآفاق أو في آلاء الله، في نفسه أو في نهايته عند الله أو في المقام العظيم الذي يطلبه من الله.

فلو أن لي مقصداً عظيما وأتمنى أن أكون مع عبــاد الله الــصالحين وأحظى بشيء من الفتوحات التي فتح الله بها عليهم، هذا الأمل ســيدفعني للعمل وأبحث كيف وصل هؤلاء القوم؟

وصلوا بالمحاسبة والمراقبة.

ويظل يراقب الله إلى أن يصل لمقام لا يغفل فيه عن الله ﷻ طرفة عين ولا أقل، حتى يكون الرجل منهم ...

مع الله في نومه، ينام وهو يذكر الله ويقوم من نومه يجد قلبه يـــذكر الله، لأن قلبه اطمأن بذكر مولاه ﷻ وهذا هو الطريق الذي ينمـــي المحبـــة ويجعل الإنسان يدخل في عداد الأحبة :

{ أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم والآلاء }[9]

وحبذا لو فكر في النعم الباطنة:

إذا كان الذي سيتفكر في النعم الظاهرة سيحظى بهذا المقام، فكيف بالذي سيتفكر في النعم الباطنة: كالإيمان والقرآن والنبي العدنان والهداية.، لما يتفكر كيف وصلت له هداية الله :

﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [٧ الحجرات]

هل جاء الإيمان منذ ولادتنا؟

أبداً هذا من قبل القبل ويقول في ذلك الحبيب:

{ إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور وفق واهتدى ومن لم يصبه ذلك النور ضل وغوى }[10]

فإن لم يتذكر الإنسان ويتفكر متى أعطى الله له النور؟

ومتى اختصه الله بعنايته؟

(قبض قبضة بيمينه وقال هؤلاء إلى الجنة، ولا أبالي، وقـــبض قبـــضة بشماله وقال هؤلاء إلى النار ولا أبالي):

---

[9] المستدرك على الصحيحين للحاكم عن ابن عباس.
[10] سنن الترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

فنحن جميعا والحمد لله في القبضة التي على اليمين :

بكم اشترينا هذا الفضل؟

بكم ركعة صليناها؟

وبكم عمل عملناه؟

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [٤ الجمعة]

بعد ذلك اختار الله الأمم، وخيّر بين الأمم، وجعلنا من خـــير أمـــة أخرجت للناس.

فعندما يتفكر الإنسان في هذه العناية وهذه الهداية وهـــذه الـــسابقة سابقة الحسنى، يعلم أن فضل الله عليه: لا يعد ولا يحد ويكرر....

قول الواحد الأحد:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [٣٤ إبراهيم]

فيقول: الحمد لله على نعمة الإيمان ونعمة الهداية ونعمة العناية ونعمة الفضل من الله ﷻ.

في هذه الحالة لو قتر الله عليَّ في الرزق، أو قلـــل علـــيَّ الأرزاق الظاهرة، لا يهم..!!..المهم :..الإيمان.

لا يقول بعد الأكل: أدمها نعمة وأحفظها من الزوال – لأها محفوظة –ولكن يقول على نعمة الإيمان؛ لأها النعمة الباقية التي بها الجنة الراقيـــة، والتي بها المقامات العالية عند الله ﷻ.

وبهذا يدخل على ذلك المقام.

محبة الحبيب

ثم بعد ذلك :

{ وأحبوني لحب الله ﷻ لي }[11]

فعند ذلك لا يري سيرة رسول الله وأين ولد وزواجه وحياته فقــط، ولكن سيرى فضل الله عليه في كتاب الله.

"أحبوني لحب الله ﷻ لي" هل ربنا كان يحبه؟

نعم..... كم مقدار الحب؟ ... يقرأ كتاب الله ويتدبر الآيات الــتي يتكلم فيها الله ويثني فيها على حبيب الله ومصطفاه ليعرف فضل الله علينا بهذا النبي الكريمﷺ فيحب النبي كحب أصحاب النبي لحضرة النبي.

❋ الحب الذي جعل الواحد منهم مثل سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه:

تارة يمشي أمامه وتارة يمشي خلفه وأخرى عن يمينه وتارة يمشي عن شماله، لأنه خائف على رسول الله، قد يكون عدو أمامه أو خلفه أو عن يمينه أو عن شماله حتى خائف عليه من الحيات والعقارب والحشرات..

فقال لرسول الله:

انتظر حتى أدخل الغار قبلك وأخذ يقفل ثقوب الغار بعد أن قطع جلبابه ليسد به ثقوب الغار لأنه خائف على رسول الله فوق الوصف.

حتى أن سيدنا رسول الله قال:

"اللهم إني قد رضيت عن أبى بكر فارض عنه في الدنيا والآخرة واجعله

---

[11] المستدرك على الصحيحين للحاكم عن ابن عباس.

معي في الجنة" لماذا؟

للحب الذي رآه من أبي بكر ﷺ، وفي رواية أنه سأله :

إلى أي مدى تحبني يا أبي بكر ؟

فتمثل ﷺ قائلاً:

أحبك حبا لو يفاض يسيره على الناس ... مات الناس من شدة الــحب

وما أنا مــــوفٍ بالذي أنت أهلــــه ... لأنك في أعلى المراتب من قلبي

فلو وصلنا لهذا الحب...الواحد فينا سينام ويجد الحبيب في حضنه.

❋ سيدنا الإمام مالك كان يحب رسول الله نفس هذا الحب فكـــان عندما يمشي في المدينة يخلع حذائه ويمشي حافياً، لماذا؟

يقول: أخشى أن أطأ بنعلي موضع قدم رسول الله وعند قضاء حاجته يخرج خارج المدينة ليقضي حاجته.

داخل درس العلم في مسجد رسول الله لازم يـــدخل أولا الحمـــام ويغتسل ويتطيب ويلبس أبهى ما عنده

يقول: لأنني خارج لحديث رسول الله لابد أن أعظم حديث رســـول الله ﷺ ولذلك كان يقول: ما بت ليلة إلا ورأيت رسول الله ﷺ في المنام

لأنه مشغول به يحب رسول الله حبا جعله مشغولا به بالكلية.

❋ فعلامة حب رسول الله أنه عند النوم على الأقل يرى رسول الله في المنام يراه يجالسه ويؤانسه ويحدثه ويوجهه هذه هي علامة الحب.

وإذا لم تصل لهذه الحالة :

يكون حب رسول الله لم يصل للغاية لأنك في هذه الحالـــة تكـــون

مشغولا بالدنيا أو بالأولاد أو بالزوجة أو بالمنصب والـدنيا، ولا يرضـى رسول الله إلا إذا كان في أعلى الرتب من القلب ﷺ.

❋ ❋ إذاً الإنسان حينما يقرأ في القرآن الآيات التي تتحدث عـن النبي العدنان يعرف المكانة التي أوصله الله إليها.

أحد أصحاب رسول الله ﷺ وهو سيدنا عبد الله بن زيد صاحب الآذان:

كان واقفاً في حديقته لحظة انتقال سيدنا رسول الله للرفيق الأعلـى، فجاءه ابنه قائلا له أن رسول الله لحق بالرفيق الأعلى فقال على الفور:

{ **اللهم اعمِ بصري حتى لا أرى بعد حبيبك محمد بعيني أحداً** }

فأخذ الله بصره في الحال، وصل الرجل بحبه لرسول الله لدرجة أنه لا يريد أن يرى أحداً بعد رسول الله بعينيه.

حبا جعل هؤلاء القوم يفدُّونه بآبائهم وأمهاتهم وكل شيء هو لهم!

وا تخلف عن ذلك أحد حتى النساء ..!! أسمعوا لقصصهن التى تخلب الألباب فى حبهم له ﷺ ....

❋ امرأة من الأنصار، عندما سمعت أن هناك قتلى كثيرين في غزوة أحد ذهبت لتطمئن على زوجها وأبيها وابنها فقابلوها في الطريق...

وقالوا لها : استشهد زوجك

قالت : وماذا فعل رسول الله ؟

قالوا : بخير.

وبعد قليل قالوا : ابنك استشهد

قالت : ماذا فعل رسول الله؟!

قالوا : بخير!

بعد قليل قالوا لها : استشهد أبوك!

قالت : وماذا فعل رسول الله؟

قالوا : بخير

قالت : أرونيه

فأوقفوها على صخرة في مكان عال في المكان الذي سيمر فيه سيدنا رسول الله إلى أن مر رسول الله ورأته، فقالت: كل مصيبة بعدك جلــل (يعني هيِّنة)..!!..ما هذا الإيمان؟ وما هذا الحب؟

❋ هذا هو الحب الذي بلغوا به المراد، والذي نالوا به كريم العطاء من المنعم الجواد، والذي نالوا به المنازل العالية، وبه صاروا من الأفراد لأهم هاموا عشقاً وهياماً صادقاً في حبيب الله ﷺ على الدوام، في اليقظة والمنام، ولم يشغلهم عن حضرته شيء من الدنيا، ولا من الحطام وأعطاهم الله ﷻ ما سمعنا بعضه لحبهم لرسول الله ﷺ.

وعلى هذا المنهج كان الصالحين.

❋ الإمام أبو العزائم ﷺ، كان جالسا في ليلة واضعاً يده على وجهه وهو يتذكر ويتفكر، في أحوال رسول الله ومقاماته عنـــد الله، فلمــا رأوه سمعوه يقول :

كم ليلة فيك لا صبـــــــاح لهــا

قد بت فيها قانصــــــاً على كبدي

قد غصــــــت العين بالدموع وقد

وضـــــــعت خَدّي على بنان يدي

المحبة والمتابعة

وهذا هو الشغل برسول الله ﷺ :

شغل كامل بعالم الباطن حتى يحل فيه بجماله وكماله وأنواره وعطاءاته وهباته وتفضلاته، وهذا الحب يدفع المحب إلى أن يتشبه به ﷺ في كـــل أحواله: في مشيه وفي أكله وفي شربه وفي نومـــه وفي حديثـــه وفي كلامـــه ويكون دائما أمام ناظريه قول رب العزة :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب]

لكن الحب الذي لا يدفع إلى التشبه بالحبيب :

يكون حب معيب، وصاحبه معيب، والمعيب لا ينال جمال الحبيب.

لكن المحب يتشبه بالحبيب في أخلاقه وفي معاملاته، لينال فضل الله :

لأنه سيعامل الناس بما كان يعامل به حبيب الناس.

❋ فالذي يتأسى به لا يتفوه بكلمة نابيه ولا تصدر منه أخلاق جافية

وإنما يكون على الخلق العظيم فيمن حوله أجمعين.

لأنه يقتدي بإمام الأنبياء والمرسلين، ورجل هذا حاله وهذا شأنه ينال حب الخلق وحب الخالق وحب حضرة النبي ويوضع له الحب في الـــسماء ويوضع له الحب في الأرض.

❋ نسأل الله ﷻ أن يضع حبه الخالص لوجهه الكريم في قلوبنا.وأن يجعل حب حبيب الله ومصطفاه في مهجة أفئدتنا، وأن يرزقنا أجمعين حبـــاً

خالصاً لوجهه الكريم.

وأن يوفقنا لفعل المحبين، ويرزقنا أرزاق المحبوبين، ويجعلنا نقتدي بحضرة النبي وشمائله وهداه في كل وقت وحين، ويجعلنا نتمسك بسنته أجمعين حتى نكون معه في الدنيا، ومعه يوم الدين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

موقف الشريعة من علم الإلهام

أسس علم الإلهام فى الكتاب والسنة

أخوانى القراء الكرام ...

دعونا نسأل سؤالاً يتبادر لأذهان الكثيرين ...

ما أسس علم الإلهام من الكتاب والسنة؟

نجيب بفضل الله تعالى ونقول :

سيدنا موسى عليه السلام لما سأله بني إسرائيل من أعلم الناس يا موسى؟ ..قال: أنا، فأمره الله ﷻ أن يذهب إلى العبد الصالح.

ما اسمه؟ ما شخصه؟

ليس لنا شأن بذلك، لأن الله لم يخبرنا بشأنه وهناك بعض الروايات تقول إنه اسمه بليا بن بلكان أو الخضر، المهم ألا نشغل بالنا بهذا الموضوع.

لما ذهب سيدنا موسى إليه والتقى به على ساحل البحر، كما حكى

ﷺ وجاء عصفور فشرب من البحر قال:

(يا موسى أنت على علم علمكه الله، لا أعلمه أنا وأنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر).

هذا العلم وهو العلم الإلهامي موجود في كتب الـــصالحين أجمعـــين. (استطرد أحد الحاضرين) طالبا الدليل...:

❋ أول دليل: ألا ينافي الشريعة الإسلامية.

❋ الدليل الثاني: وهو الأهم أن يكون سلوكه مطابقاً لقولـــه.

لأنه لو قال ما لا يصدقه فعله يكون حافظاً لأن كثيرا من الناس يحفظ كلام الشيخ محي الدين بن العربي لكي يكون أمام الناس شيخ كبير ليس له مثيل ما الدليل هنا؟ فعله.لقد قالوا في ذلك:

الاستقامة خير من ألف كرامة، وإذا رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تعتقد فيه حتى تختبره عند الأمر والنهي.

سيدي أبي اليزيد البسطامي ﷺ:

سمع عن رجل من الصالحين، فقال لمريد له: هيا بنا نذهب إلى هـــذا الرجل الذي اشتهر بالصلاح لتزوره،فذهب إلى القرية وسأل عنـــه فـــدل، على المسجد الذي يصلي فيه وأخبروهما أنه إمام المسجد.

وعندما دخلا المسجد ، بينما كانا يبحثان عن الرجل ذهبا ناحية قبلة المسجد فوجدا نخامة – وهي الشيء الذي يرجع من الأنـــف إلى الحلـــق– فقال سيدى أبو اليزيد لمريده: هيا بنا نرجع لا حلجة بنا للقائـــه! ، قـــال: ياسيدى ولماذا؟ قال:

إذا كان هذا غير مأمون على أدب من آداب الشريعة وقد تفل في القبلة، فكيف يأتمنه الله ﷻ على أسراره.

هذا هو الاختبار :

شروط علم الإلهام

فعلم الإلهام له شروط :

❋ شرطه الأول: أن يكون مطابقاً لكتاب الله

❋ والشرط الثاني أن يكون من يقوله فعله يطابق قوله

❋ الشرط الثالث وهذا مهم :

أن يجد الإنسان صدى له في قلبه، وكل واحد منا – والحمـــد لله – عنده هذا الميزان، الحسن البصري كان يستمع إلى رجل؛ فالميزان أعطـــاه العلامة الحمراء، غقال:

يا هذا إن بك عيباً أو بي.

لماذا؟ .. لأنه إذا كان الكلام عن النور حصل لسامعه السرور، وقال الشيخ ابن عطاء الله ﷺ وأرضاه في الحكم:

كل كلام يخرج وعليه كسوة من نور القلب الذي خرج منه.

ومثلما قالوا:

إذا كان الكلام من القلب وقع في القلب وإذا كان الكلام من اللسان لا يتجاوز الآذان.

فإذا كان الكلام أشعر له بوقع في قلبي ورنين في نفسي وصـــدى في روحي يكون إلهام.

❋ الشرط الرابع وهو مهم أيضا :

أن نجد العالم الملهم يخبرني بما في نفسي بغير أن أخبره، لأنـــه عنـــدما أتكلم معه ويبدأ هو في الكلام يضع يده على الجرح الذي عنـــدي ويبـــدأ يتكلم فيه، من أين عرف؟ ألهمه الله ﷻ.

وهذا الموضوع هو الذي يجعل المريدين متمسكين بالصالحين: لأنـــه يذهب للرجل الصالح وعنده هموم ومشاكل لا يجد لها حلاً والدنيا مسددة فى وجهه ، وعندما يجلس معه.. يسرد له الشيخ هذه المشاكل وحلولها من غير أن يفتح فاه، من أين عرف؟

"نبأني العليم الخبير"

فهذه الوراثة من العلي الكبير ﷻ.

سيدنا عثمان بن عفان ﷺ :

كان جالساً يوماً في مجلس الحكم، فدخل عليه أحد الأصحاب الكرام – وكان الداخل قد نظر إلى امرأة في الطريق– فنظر إليه عثمان ﷺ ،وقال:

أما يستحي أحدكم أن يدخل عليَّ وفي عينيه أثر الزنا.

فقال الرجل مبهوتاً: يا أمير المؤمنين أوحي بعد رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: لا ولكنها فراسة المؤمن:

{اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله}[١٢]

---

[١٢] سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري.

مشروعية الذكر

س ٢: هل الذكر بالصورة الحالية التى نراها الآن كان في عصر رسول الله ﷺ؟

ج : ليس كل شيء نفعله كان في زمن رسول الله ﷺ، لكن كما قلت الأصل في الأمور الإباحة: إلا إذا وجد مانع كمثال صلاة التـــراويح، متى أقيمت في جماعة؟ في عصر سيدنا عمر ﷺ لكننا ارتضينا بها وأقمناهـــا لأنه ليس هناك ما يمنعها في شرع الله ﷻ، فالذكر الذي ورد.. كقول الله:

﴿ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب]

في أكثر من آية، وورد أن هناك حلقاً من الذكر كانـــت مقامـــة في مسجده ﷺ، لم تصفها الروايات: فقد دخل المسجد ووجد حلقـــة ذكـــر وحلقة علم، لم توضح الروايات كيف كان أمر حلقة الذكر؟

لكنهم كانوا يذكرونه في حلقة، ماذا قال عنهما ﷺ ؟ قال:

{كلاهما على خير وإنما بعثت معلماً}.[13]

وجلس في مجلس العلم، ولكنه لم ينكر على مجلس الذكر، ولم يـــأمر بإخراج أهله من المسجد، فأقره رسول الله.بل زاد فقال :

(إن لله ملائكة سياحين إذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيحفونهم بأجنحتهم من الأرض إلى السماء إلى آخر الحديث الذي يقول فيه هم القوم لا يشقى جليسهم.)

---

[13] رواه الألباني عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

فالآثار الواردة في الذكر لا تعد ولا تحصى !! من كتاب الله تعـــالى، ومن سنة رسول الله ﷺ.

❋ أما الهيئة، فقد قال فيها الله [١٩١، آل عمران]:

﴿ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾

إذا ذكرتم من قعود موافق للآية، من قيام أو نيام موافق للآية، ليس هناك ما ينفي أي ذكر بأي كيفية على وفق هذه الآية.

ما المانع والدليل الذي يمنع من ذكر الله على أي وضع ذكرناه؟

هل هناك مانع؟

وسأل أحد الحاضرين...أليس معنى قياما (يتفكرون)؟

والجواب: القرآن لا يحدد يا أخي، ولا تقصر اللفظ على المعنى الذي في فكرك، القرآن واسع يسع كل المعاني أنت أخذته على معنى، وأنا آخذه على معنى، لأن إبليس نفسه لما قابل إبراهيم ابن أدهم ﷺ فقال

له : ألك نصيب في رحمة الله

قال : نعم

قال : أين؟

قال :ربنا يقول:

﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾

وأنا شيء، فقال إبراهيم بن أدهم: ولكن الله قال بعدها :

﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [الآية (١٥٦) الأعراف]

فقال له إبليس:

ما كنت أظن أنك بهذا الجهل يا إبراهيم، عمم الله ﷻ وتخصص أنت، فالقرآن يسع الكل، فلا تخصص معنى من المعاني على حسب فهمك أنت.

فسرت قائما على أنه واقف فقط...

آخر فسرها على أنه واقف يتفكر ...

ووصف القيام على أنه يتفكر ...

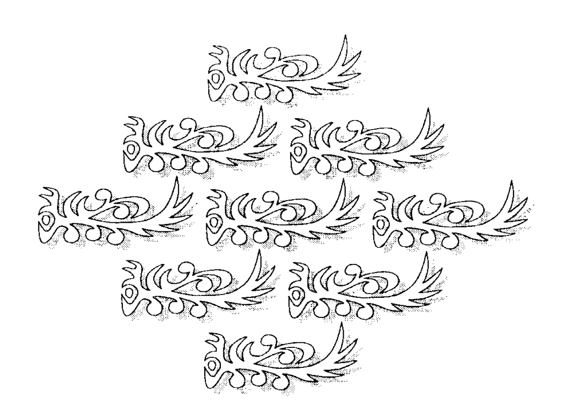
وثاث فسرها على أنه قائم في الصلاة في جنح الليل، وهذا صادق.

ورابع فسرها على أنه واقف في ميدان القتال ممسكاً بالسيف!

وخامس فسرها على أنه واقف يربت على رأس اليتيم !!

لا نخصص نحن لفظ القرآن على معنى واحد في أذهاننا.

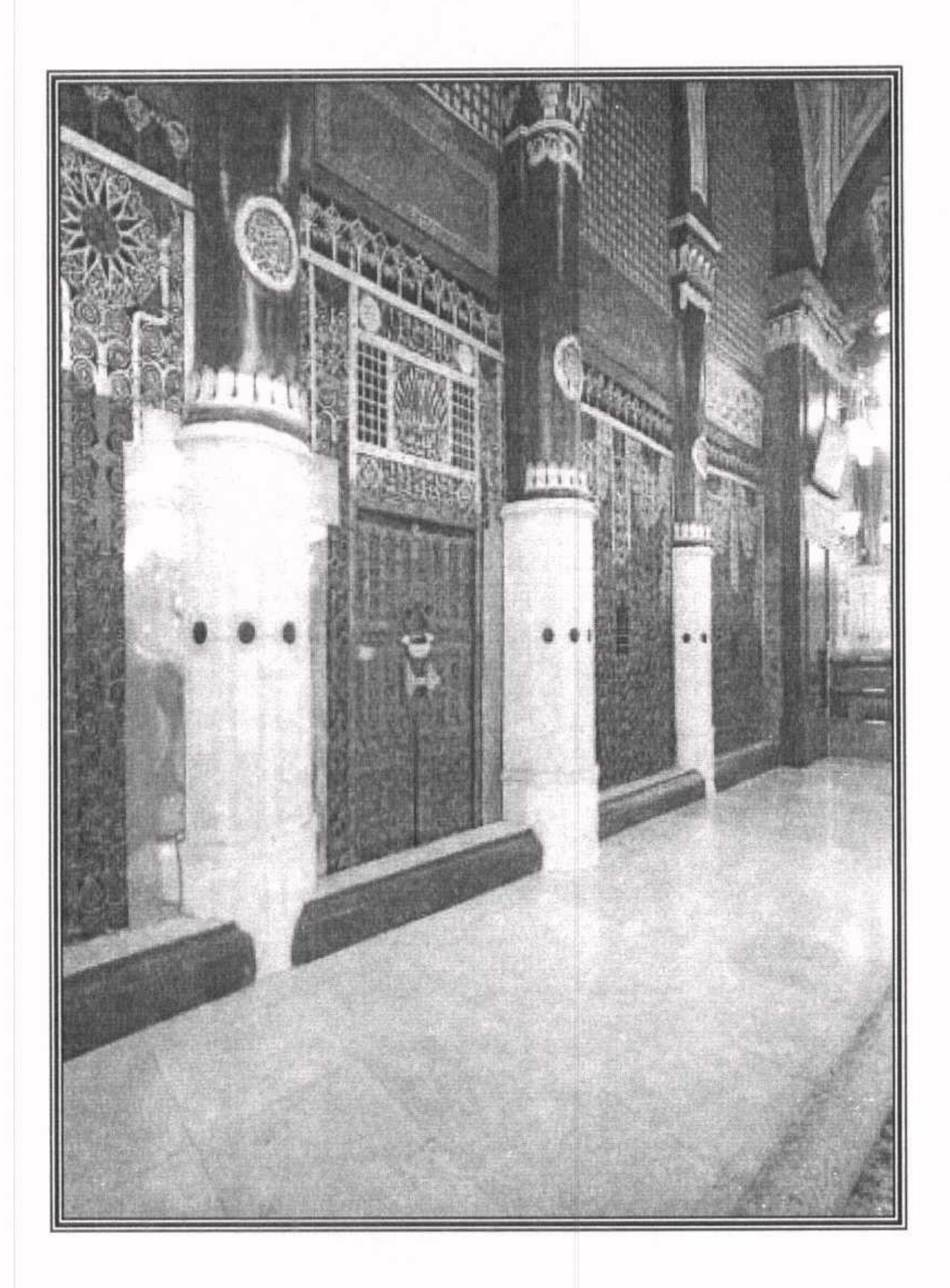
لكن لفظ القرآن واسع يسع الكل.



الباب السابع

باب الْقُرْبِ وَمِفْتَاحُ الْوِصَال

- باب القرب
- حقيقة الحــب
- حب الصحابة للنبي
- الـــداء والـــدواء
- علامات الحب الصــادق
- حســن الإتبــــاع
- التســــليم لشرع الله ﷻ
- الإكثار من الصلاة عليه ﷺ
- تعظــــيمه وتوقيره ﷺ
- الفرح برسول الله ﷺ
- ثمرات محبته ﷺ
- الغاية من رؤية سيدنا رسول الله ﷺ
- تربيــــــة النبي البرزخية
- رؤيتــــــه ﷺ يقظــــة
- الاجتهــاد لرؤيته ﷺ
- همم الرجــــال
- نية الصلاة على النبي وتكريم أهلها
- التأهل لرؤيتــــه صلى الله عليه وســــلم



بسم الله الرحمن الرحيم(*)

الحمد لله رب العالمين ...

الذي أكرمنا بسيد الأولين والآخرين ...

وجعله إماماً لنا في الدنيا وشفيعاً لنا يوم الدين....

وجعله لنا نبياً ورسولاً واختاره لنا بفضله ومنّه وكرمه مبـــشراً لنـــا وجعلنا من خيار التابعين لحضرته أجمعين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على قطب دائرة الجمال وجاذب القلـــوب إلى مقامات القرب والكمال وفاتح خزن العطايا والمواهب لجميع الصالحين والعارفين والرجال ...

سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يا رب العالمين.

إخواني وأحبابي القراءالكرام بارك الله ﷻ فيكم أجمعين.

نحن جميعاً والحمد لله سمعنا ووعينا الكثير عن ميلاد رســـول الله ﷺ وعن سيرته العطرة وعن أخلاقه الكريمة وأحواله العظيمة.

والآن أريد أن أتناول فى هذه الصفحات القليلات ، أو فلنقل أريـــد أن أقف معكم أحبابي على باب عظيم لنا جميعاً مع هذا النبي الكريم ﷺ :

فقد جعله الله ﷻ باب القرب لكل الرجال ومفتاح الوصل لجميـــع أهل الكمال فلا يدخل عبد إلى الله ﷻ إلا عن طريق حـــضرته ولا يـــصل واصل إلى فضل الله وعطاء الله وكمال الله إلا بواسطة سدرته ولا يـــسمح

(*) احتفال المولد النبوي الشريف بمسجد الأنوار القدسية يوم الخميس ٢١من أبريل ٢٠٠٥م الموافق ١٢ من ربيـــع أول ١٤٢٦هـ.

الله ﷻ لعبد بوصاله ونواله إلا إذا كان ذلك عن طريق خيار بريته ﷺ.

هذه الحقيقة عرفها الصالحون وتحقق منها المقربون فأقبلوا بالكليـــة بقلوبهم وأسرارهم وأرواحهم على هذه الذات المحمدية وعكفـــوا عليهـــا بالكلية لأنهم علموا أنه هو السبيل الوحيد لإرضاء الله ﷻ وفى هذا المجـــال يقول سيدي مصطفى البكري ﷺ :

وأنت بـــــــاب الله أي امرئ
أتـــــــاه من غيرك لا يدخل

باب القرب

هو باب القرب لحضرة الله ﷻ وباب أي فضل وأي عطاء وأي نوال لمن يريد ذلك من أهل الوصال وأهل الجمال وأهل الكمال الطالبين القرب من الواحد المتعال ﷻ.

كيف يكون ذلك؟

قال الأئمة العارفون والسادة المحققون في ذلك:

إن في القلب طاقة لا يسدها إلا حب الله ﷻ ورسوله ﷺ.

القلب جعل الله ﷻ فيه طاقة نورانية، فيها شفافية روحانية، وفيهـــا حياة قدسية، وفيها لوامع إلهية ....

هذه الطاقة لا تتحرك ولا تتحفز ولا تسير بالمرء إلى حـــضرة الله، إلا إذا ملأ هذه التجاويف بحب حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

لأن الله ﷻ أمر المرء أن يقبل على الله بهم واحد، فلا يتـــرك قلبـــه تتشعب به الأهواء وتتفرع به الشهوات والأغراض، لكن القلـــب الـــذي يسمح الله بوصاله:

هو الذي توحدت فيه الوجهة ولم يعد له إلا الله ورسوله ﷺ.

ولا توجد أي حاجة تستطيع أن توحد همة القلب وتجمع أفياء القلب على وجهة واحدة إلا حب الله وحب رسول الله ﷺ.

لكن لو أن الإنسان لم يملأ القلب بحب حضرة الـــنبي ﷺ : فإنـــه يتسرب إليه شاء أم أبى حب الأشياء الدنيئة كالشهوات والأهواء والحظوظ والملذات الفانية والتي لا تغني الإنسان ولا تسمن من جوع في قربه من الله.

فلا يطهر القلب من هذه الدناءات، ولا يطرد هذه الـــشهوات ولا يفرغه من الأغيار، لكي يصلح لتترل الأنوار وتجلى الواحد القهـــار إلا إذا أشرق في هذا الفؤاد وفي هذا القلب وملك شغافه حب النبي المختار ﷺ.

وهذا هو الحب الذي بلغ برسول الله من اعتداده بشأنه ومن اهتمامه بأمرنا أن أقسم لنا وقال ﷺ :

{والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه والناس أجمعين}[1]

سيدنا رسول الله يقسم وهو في غير حاجة إلى القـــسم، لأن كلامـــه ﷺ وحي يوحى، لكنه ليؤكد لنا هذه الحقيقة التي لا بد منـــها لمـــن أراد سلوك الطريقة، والوصول إلى هذه المناصب الرفيعة والمقامـــات الـــسامية والفيوضات العالية في رضاء الله وفي القرب من حضرة الله جل في علاه.

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم عن فاطمة بنت عتبة

حقيقة الحب

فمن أراد أن يكون مقرباً من الله لا بد أن يملأ تجاويف القلب كلــه وشغاف الفؤاد كله بحب الحبيب ﷺ :

الحب الذي يملك عليه جميع زمام أمره حتى أن هذا الحــب يــسيطر عليه عند مشيه وعند نومه وعند أكله وعند شربه وعند عمله :

فيجعله يستحضر الحبيب ﷺ في كل أمر من هذه الأمور:

- فإذا مشى غلب عليه حب رسول الله فيحاول أن يقلده ويتابعــه في مشيه كما كان يمشي، وكما وصلت إلينا الروايات الصحيحة عن مشيه في هذه الحياة.
- وكذلك إذا أكل وإذا شرب وإذا فعل أي عمل.
- حتى إذا ضحك يحاول أن يتبسم كهيئته، وكما وصــلت إليــه حالته في التبسم ﷺ فقد كان جُلّ ضحكه التبسم، وكان كمــا قالوا يضحك أو يتبسم من غير صوت، ويظهر من فمه أســنانه الشريفة والتى وصفوها بأنها بيضاء وناصعة وبأنهــا كــاللآلئ أو كالدرر من شدة جمالها وحسن تركيبها، لأن الله ﷻ ركبه علــى أكمل هيئة وجمله على أفضل صورة.

فهو ﷺ المثل الأعظم...

والنموذج الأقوم الذي جعله الله ﷻ أسوة لمن أراد أن يصل إلى الله سبحانه وتعالى جلّ في علاه.

حب الصحابة للنبي ﷺ

وهذا هو الباب الذي دخل منه أصحاب رسول الله أجمعين .

فقد قال الله ﷻ في شأن الأنصار:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [٩ الحشر]

والذي هاجر إليهم هو رسول الله ﷺ.

◉ وكانوا يحبونه حباً بلغ بهم أن بعضهم كان يذهب إليه ويقول :

{ "يا رسول الله إني إذا لم أرك استوحشت وحشة عظيمة، إني لا أطيق فراقك، ولا أستطيع أن أبعد عنك طرفة عين ولا أقل، فأتذكر الآخرة والجنة وأنك تكون في الجنة في عليين وأنا في المنازل الدانية في الجنة، ثم أخذ هذا الرجل يبكي بكاءاً حاراً أمام حضرة النبي ﷺ فما كان منه ﷺ إلا أن ربّت عليه، ووضع يده على كتفيه وقال أبشر أنت مع من أحببت يوم القيامة.)

◉ هذا الحب الذي جعل عبد الله بن زيد ﷺ الذي جاء بـــالآذان وحياً منامياً من عند حضرة الرحمن وكان في بستان له يعمل وجـــاءه ابنـــه وقال: يا أبت لقد انتقل سيدنا رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى فقـــال: اللهم خذ بصري حتى لا أرى بعد حبيبك ﷺ أحـــدا فأخـــذ الله بـــصره واستجاب له دعاءه.

◉ هذا الحب لمسه حتى الكافرون، فعندما حدث صلح الحديبيـــة وأرسلت قريش عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ ليتفـــاوض في أمـــر

الصلح مع أهل مكة رأى عجباً :

رأى أصحاب رسول الله ﷺ عندما يتوضأ يبتدرون وضوءه فلا يتركون قطرة منه تنزل على الأرض، بل يمسحون به وجوههم وأبدانهم ورآه ﷺ عندما دعا الحلاق ليحلق شعره تنافسوا على شعره ﷺ، فمنهم من اغتنم خصلة، ومنهم من فاز بشعرة، والكل يتهافت على شعر رسول الله ﷺ ولم يتركوا شعرة تنزل على الأرض.

حتى أنه وجدهم عندما يتفل رسول الله ﷺ يتلقون ريقه الشريف ولا يتركونه يقع على الأرض.فذهب إلى قريش وقال:

يا أهل مكة لقد ذهبت إلى كسرى في ملكه، وإلى قيصر في ملكه، وإلى النجاشي في ملكه، وما رأيت أحداً يحب أحدا كحب أصحاب محمد لمحمد ﷺ.

◉ والحقيقة لو استطردنا في هذا الأمر فإننا نحتاج إلى وقت طويل لنعبر على قدرنا عن حب أصحاب الحبيب للحبيب الأعظم ﷺ هذا الحب هو الذي نالوا به أوفر نصيب من العطايا الإلهية ومن الإكرامات الربانية وكان التنافس بينهم والدرجات فيما بينهم على قدر منازلهم في حبهم لرسول الله ﷺ

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [الآية (١٦٥) البقرة]

◉ وصل هذا الحب حتى للنساء فالمرأة الأنصارية التي استقبلت في غزوة أحد بوفاة زوجها قالت: وماذا فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: بخير، ثم قيل لها: مات أبوك ، قالت: وماذا فعل رسول الله ﷺ؟، قالوا: بخير، ثم أُخبرت بموت أخيها، فقالت: وماذا فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: بخير، قالت: أرونيه، تستقبل بهذه المصائب ولا تنشغل بها وكان

كل همها وشغلها الاطمئنان على حبيب الله الأعظم ﷺ. هذا هو الحـــب الذي فازوا به وجازوا فأوقفوها على صخرة وقالوا: يا أمة الله انتظري هنا فإن رسول الله ﷺ سيمر من أمامك، وعندما مر من أمامها أشاروا إليهـــا وقالوا:هذا هو رسول الله فترلت وأمسكت بثوبه وقالت:

"كل مصيبة بعدك جلل "

يعني صغيرة" أي لا قم المرء ولا ينشغل بها المرء لأن رسول الله ﷺ هو الإكسير الذي به يتفضل العلي الكبير على المؤمنين في هذه الحياة.

فإذا انشغلوا بحبه فإن الله ﷻ يفرج عنهم كل كرب ويكشف عنهم كل غم، ويذهب عنهم كل هم، وفي الآخرة يكون لهم ما تعلمـــون ومـــا تعرفون من القدر العظيم، ومن الأجر الكريم لحبهم للبشير النذير ﷺ.

اسمعوا إلى الله وهو يقول:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[٣٣،الأنفال]

القلب الموجود فيه حب رسول الله :

لا يعذب بأمر في هذه الحياة، لا يعذب بهم ولا غم ولا كـــرب ولا شدة ولا بلاء ولا عناء، لأن الله يتولاه ويصرف عنه كل هم ببركة رسول الله ﷺ.إذاً الذي يحبه وقلبه غير معلق به بالكلية لو استجار به واستغاث إلى الله، بسببه فإن الله يكشف عنه كل همه :

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به .إلا وجدت جواراً منه لم يُضم
ومـــن تكن برسول الله نصرتـــــه .إن تلقه الأُسدُ في آجامها تجـــم

وهذا هو الذي يستغيث بالله ويتوسل إليه بحبيب الله ومصطفاه فمـــا بالك بالذي انعقد قلبه وامتلأ حتى طف الحب من قلبه على أعضاءه هياماً

وعشقاً في ذات حبيب الله ومصطفاه يقول في ذلك الحبيب الأعظم صلوات الله وسلامه عليه :

{ما اختلط حبي بقلب عبد مؤمن فأحبني إلا حرم الله جسده على النار}[2]

ما دام امتلأ القلب بحب رسول الله يحرم الله ﷻ جسده على النار.

الداء والدواء

هذا الحب يا إخواني الذي نتكلم عنه:

أرقى وأعلى وأسمى من أي حب لأي شئ يتعلق به المــرء في هـــذه الحياة، حتى ولو كان المال أو الزوجة أو الولد.

ولذلك عندما تنظر للحبيب الأعظم ﷺ وهو ينظر ببصيرته النورانية لأحوالنا المعاصرة في هذا الزمن، ويشخص الداء الذي بسببه تآلب علينـــا الأعداء وأصبحوا يلعبون بنا كما نرى الآن، ماذا قال؟

{ يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها }[3]

كالجماعة يجتمعون على قصعة لكي يأكلوا منها :

{ قالوا أمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: لا، أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل"مثل الرغاوي التي أعلى ماء البحر" قالوا: ولم

---

[2] حلة الأولياء عن إسماعيل السدي وإسماعيل بن رجاء.
[3] سنن أبي داود ومسند أحمد بن حنبل عن ثوبان.

يا رسول الله؟ قال: قذف في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا }.

● بعد حب رسول الله، وحب الله، وحب الآخرة، أصبح المسلمون يحبون الدنيا، والدرهم، والدينار، والنساء، والشهوات، والأهواء ،

وقال في ذلك ﷺ في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام البخاري ومسلم وغيرهما كثيرون :

{تعس عبد الدرهم، تعس عبد الزوجة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس – يعنى لا يبرأ أبداً– وإذا شيك فلا انتقش} [٤]

يعنى لو دخل شوكة في رجله، دعى عليه ألا يجد ملقطاً يلقط به هذه الشوكة.... لماذا ؟ ..لأنه أحب غير حبيب الله وكـــان حبــه لحبيـــب الله ومصطفاه في درجة دنيا عن حبه لدنياه ... وهذا أمر لا يرضاه الله، ويغـــار من أجله الله :

فهذا هو الذي شخَّصَه حبيب الله ومصطفاه لما نحن فيه الآن:

– تبدلت الأحوال، وأصبحت القلوب مليئة بالعيوب.

– لعشقها الشهوات والحظوظ والأهواء والملذات.

– وهذه التي حذر الله منها في محكم الآيات:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ [٢٤ التوبة]

[٤] صحيح البخاري عن أبي هريرة.

وهذا هو الحادث الآن... وسببه هو هــذا الأمــر ... إذاً الحــب المطلوب؛ أن يكون حب الله ورسوله أعلى مما سواهما، في قلب العبد.

علامات الحب الصادق

ما علامات هذا الحب الذي سيوصلني إلى مقامات القرب مــن الله ﷻ؟ علامات هذا الحب كثيرة نكتفي بما ورد في شأنها في كتاب الله.

العلامة الأولى: حسن الإتباع

من قوله جل فى علاه فى [(٣١) آل عمران] :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾

الإتباع لرسول الله في شرعه الذي جاء به من عنــد الله، اتباعــه في هديه، اتباعه في سمته، اتباعه في أخلاقه ومعاملاته، لا نتبعــه في العبــادات وفقط ونترك إتباعه في الأخلاق وفي المعاملات بيننا وبين عامة الناس لكـــن نتبعه .. في الكل..... فاتبعوني.... فيم ؟

في كل شأنه وفي كل أمره وفي كل أحواله وفي كل ما كان عليــه في حياته. وهذا هو الإتباع الصادق لرسول الله ﷺ.

فلو تابعه المرء في ناحية: مثلما حدث في عصرنا هذا، توجه كثير من

المعاصرين إلى اتباع ظاهر النبي المصطفى وتركــوا اتباعــه في المعــاملات والأخلاق والصفاء والنقاء والحب لجميع الناس.

وهذا الإتباع مردود ولا يوصل إلى المقصود.

ولذلك تجد من يتبع مثل هذا الإتباع لا تظهر عليه ثمرات المحبــة ولا ينال شيئاً مما يناله الأحبه لأن الإتباع الصادق له ثمــرات ينالهــا الإنــسان سنتحدث عنها إن شاء الله في هذا الدرس بفضل الرحمن ﷻ.

فمن ادّعى أنه يحب رسول الله ولا يتبعه:

ينطبق عليه قول الرجل الصالح:

تعصى الإلـــــه وأنت تزعم حبه
هذا لعمري في القياس شـــــــنيع
لو كان حبك صــــــادقا لأطعته
إن المحب لمـن يحــــــب مطيـع

● هناك امرأة رآها سيدنا عمر تلبس خاتماً من ذهب فقال لها:

اخلعي هذا الخاتم فنزعته، وبعد حين من الدهر مات عمر فذهب إليها بعض جيرانها وقالوا لها: لقد مات الذي أمرك بنزع الخاتم، فالبسيه قالت:

لا والله ما كنت لأطيعه حيا وأعصاه ميتاً.

تمرنوا على هذا الأمر على حسن الإتباع في كافة الأوضاع لــسيدنا رسول الله ﷺ لأن الإتباع يورث محبة الله :

﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ وبعد حب الله ... تأتى العطية الثانية ببركة إتباع النبى ﷺ :

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [٣١ آل عمران]

إذن الإتباع ثمرته محبة الله ﷻ والمغفرة منه سبحانه.

العلامـــة الثـــانية
التسليم لشرع الله

قال تعالى فى محكم التنزيل ف[(٦٥) سورة النساء]:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

أن يجد الإنسان في صدره وفي قلبه وفي فؤاده الرضا التام عن كل أمرٍ أمرَ به النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

- فلا يجد اعتراضاً في فؤاده على شئ من شرع الله.
- ولا يجد تنازعاً في عقله على حكم قضاه وقضى به رسول الله.
- بل يسلم بكل ما جاء في شرع الله .
- ولا يسمح لعقله أن يحكم على أمر قضى به الله أو نزل به رسول الله ﷺ لأن أمور الشريعة فوق العقول.
- وإنما يقول دائما ويعتقد بكل يقين إن كان هذا الأمر جاء من الله إذاً ليس لنا دخل بهذا الأمر فلا نسمح للعقل أن يفكر في أي أمر شرعي لأن الأمور الشرعية أمور إلهية وإذا كان العقل لا يـــدري

شيئاً عن العقل فكيف يدرك النقل الذي نزل من عند خالق العقل عزّ وجلّ؟

أين العقل لكي نعرفه أو لكي ندركه؟

فلا مجال هنا لتحكيم العقل فيسلم تسليماً لكل أحكـــام الله ولكـــل شرع الله ولكل ما جاء به رسول الله ﷺ ويعمل طوال حياته بقول الله:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ [٧ الحشر]

لا يتحايل، وعلى سبيل المثال:

{ الذهب حرام على ذكور أمتي حلال على إناثهم }

لا يجتهد ويقول عيار ١٨ حلال ....طالما قال ﷺ أنه حرام يبقـــى حرام ولا نفتح هذا الباب.

فباب الحب الصادق والذى ينتج التسليم الكامل هو هـــذا البـــاب الذي دخل منه الأصحاب والذي دخله الصالحون إلى يوم الدين، هو باب الحب لسيد الأولين والآخرين ﷺ، ولا يوجد باب غير هذا الباب ويقول في هذا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

من لحظة في الحب تشـــــهد وجهه
وتفوز منه بســـــــــره والحـــال
تعطى العلوم وتشـــــهدن فتترجمن
بلســـــــــان أهل القرب والأبدال
تعطى الجمــــال فلا يراك مصدق
إلا ويشـــــــــهد نوره المتلالـــي

من أين هذا العـــلم والنور الذي
أعطيته من لحظة في الحـــال؟
من حب قلبي للحبيب محمـــد
نلت المنى بل نلت كل آمـــالي

وبالمثال يتضح المقال:

- أصحاب النبي ﷺ.، منهم الرجل الذي قال له النبي:

{ كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنا حقا، فقال: لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: أســهرت ليلي وأظمأت نهاري بعد أن عزفت نفسي عن الدنيا فأصبحت، وكأني أرى أهل الجنة وهم يتزاورون فيها وكأني أرى أهل النار وهم يتعاوون ويصطرخون فيها وكأني أرى عرش ربي بــارزا فقال له: عرفت فالزم، وقال لمن حوله: عبد نور الله بالإيمان قلبه.}

كيف وصل لهذا المقام؟

بحب المصطفى عليه افضل الصلاة وأتم السلام.

- الذي وصل لعلم الإلهام سيدنا الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه وقد قال فيه الإمام الجنيد ﷺ:

رحم الله أبا الحسن لولا الحروب لاستفدنا منه علوما كثيرة، لقد كان يقول: لو فسرت فاتحة الكتاب بما أعلم لوقرتم سبعين بعيرا " تحملوا سبعين جملا" من تفسير الفاتحة..!!!!

من أين هذا العلم؟ من أي مكتبة ؟ ومن أي مصدر ؟

من حب الحبيب الأعظم ﷺ.

● كلما ترى حبا في الدنيا: من بدئها إلى ختامها، من أحد لأحد أو من أحد لعرض، حتى الذي يحب المال والجاه أو الذي يحب أي شيء في هذه الحياة فاعلم علم اليقين قول الله:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [١٦٥ البقرة]

أي لا يساويهم أحد في هذا الحب، وبسر هذا الحب فازوا ونالوا كل ما يطلبون ويبتغون.

● لماذا نحب رسول الله؟

لأنه السبب الذي سيوصلنا إلى حضرة الله وهو السبب في الإســلام والإيمان والهداية وجميع الخيرات التي نحن فيها..

ومن قبل كنا ظلاماً وجهلاً ....فصرنا بطه رجالا فحولا

أصبح لنا قيمة ومكانة عند الله وبين جميع الأمم التي خلقها الله ببركة وبسبب رسول الله ﷺ وليس بسببنا نحن.

● فيجب أن يكون هذا الحب أعلى وأرقي من أي حب آخر لأي شخص أو أي عرض آخر، لأنه محبوب الله ويجب أن نحبه لكي يحبنــا الله

●وعلامات الحب الصادق لكي أعرفها وأقيس نفسي بها ولكي أطمــئن أنني سأحصل الثمرات والخيرات والبركات والنفحات والعطــاءات الــتي جعلها الله ﷻ للصادقين والصادقات في حبهم لخير البريات ﷺ والعلامات من كتاب الله :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾

وما هو العطاء؟

﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٣١ آل عمران]

● فيم نتبعه ؟

في كل صغيرة وكبيرة، في كل طرفة عين، في كل كلمـــة تـــسمعها الأذن، في كل حرف ينطقه اللسان، في كل شيء تمتد إليه الأصابع واليـــد والبنان، في كل حركة تتحرك بها الرجل في هذه الحياة لابد أن تكون ماشية على قدم النبي العدنان:

{ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به}[٥]

لا ينفع أن يكون هوى لك ثم هوى إلى الله ورسوله، وسيدنا رسول الله نفسه ليس له شيء لأنه كله لله [(١٦٢)سورة الأنعام]:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

كله لله وتولاه مولاه ونحن لنا مقام في هذا الأمر:

﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ (١٩٦) ﴾ [الأعراف]

فالذي يسير على هذا النهج يتولاه الله بولاية تامة كاملة سابقه، كما تولى حبيب الله ومصطفاه ﷺ..:

بشرط أن يكون كله لله ولا يكون على هواه.

فهو لا يعترض ظاهرا أو باطنا على أمر شرعه الله، أو أي قـــضاء أو حكم قضاه رسول الله.

وإياكم أن يقول أحدكم أنتم أعلم بأمور دنيـــاكم لأن الإســـلام لا

[٥] رواه البيهقي عن عبد الله بن عمرو.

يوجد فيه دنيا ودين، ولكن الإسلام الدنيا كلها دين.

فهذا الكلام الذى يفصل الدنيا عن الدين ، هوفي الأديان الأخـــرى لكن عندنا ليس عندنا فصام بين الدين والدنيا، دنيا المؤمن كلها دين.

لأن المؤمن إذا جعل قبل كل عمل نية، كان العمل مكافئ عليه مـــن رب البرية ﷻ، حتى ولو كان شهوة دنيه لأنه لو نوى قبلها نية لله يـــصبح عمل صالح لله، لو أنه سيأكل ويشرب وينوي بهذا العمل التقوى على طاعة الله أو أي نية صالحة يصبح هذا العمل عبادة لله.

فالمؤمن يستطيع أن يجعل حياته كلها عبادة لله فلا يقول: أنتم أعلم بأمور دنياكم، ولا يقول أن هذا الموضوع ليس له دخل بالدين ولا العلماء يفتوا بشأنها لأن الإسلام كله كل حياة الإنسان.

● فالسيدة زينب بنت جحش رضي الله عننها:

لما ذهب لها رسول الله وقال لها: تزوجي زيدا، وهذا أمر دنيوي كما يتصور البعض فقالت:

يا رسول الله: أنا لا أحبه.

فقال لها ثانية: تزوجي زيدا، فنزل قول الله ﷻ [٣٦ الأحزاب]:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ ﴾

والذي لا يسلِّم لهذا الكلام، يكون عاصياً

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾

والعصيان هنا مخالفة الأمر :

مع أننا متوقعين انه شيء دنيوي:

لكن رسول الله ينظر بعين الله ونظرته يجب أن نعلم علم الـيقين أن فيها النفع في الدنيا وفيها السعادة يوم لقاء الله، ولو شككنا في هذا الأمـر واعتقد الإنسان فينا أن نظرته أتم وأشمل من شرع الله ومن نظرة رسـول الله.، بماذا نقول في ذلك؟

نقص في الإيمان ونفاق في القلب والجنان.

لكن لازم أعتقد وأعلم علم اليقين، أن نظرة رسول الله ﷺ فيهـا الصلاح للدنيا وفيها السعادة للإنسان يوم الدين لأنها:

﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [١٠٨ يوسف]

ينظر على بصيرة ...

لأنها أنوار إلهية في ذاتها منيرة ...

ترى غيب السريرة، وترى كل شيء بنور الله ﷻ، الذي أشرق على ذات الحبيب، وعلى بصيرته ﷺ.

◉ فيلزم للإنسان أن يسلم تسليما تاما لرسول الله ﷺ، وهذه هى العلامة الثامنة من علامات الحب الصادق لجنابه العظيم ﷺ .

والآن مع العلامة الثالثة:

وكما قلنا نكتفى فى هذا المقام بذكر بعض من العلامات الـواردة فى كتاب الله الكريم، نفعنا الله بكلامه العظيم وملأ شغاف قلوبنـا وجـوانح أرواحنا بحب رسوله السيد الرءوف الرحيم.

العـــلامة الثـــالثة
الإكثار من الصلاة عليه ﷺ

من قوله تعالى فى سورة الأحزاب :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

● العلامة الثالثة يقول فيها الحبيب:

{من أحب شيئا أكثر من ذكره}[٦]

فالذي يحب رسول الله.. يذكره على الدوام... وكيــف يــذكره؟ يصلي عليه صلى الله عليه وسلم ...

وإذا كان معك كمبيوتر نوراني فاصدر له الأمر أن يبحث في ملفات الصالحين ويرى ما سر قربهم؟

تجد انهم كلهم كانوا مشغولين بالصلاة على حبيــب الله ﷺ، ومــا مقدار هذه الصلاة؟

على الدوام، ويكفي قول سيدنا أُبيّ بن كعب لرسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات عندما قال له:

{ يا رسول الله كم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت قال: الثلث قال: وإن زدت فهو خير لك قال: الثلثين قال: وإن زدت فهو

[٦] شعب الإيمان للبيهقي عن قول أبو عبد الرحمن ومالك بن دينار والحليمي رحمه الله.

خير لك قال: إذاً أجعل لك صلاتي كلها قال: إذاً يكفك الله همك ويغفر لك ذنبك}٧.

أين نحن من هذا الحديث؟!

ودائما نشتكي من الهموم والغموم والمحن ونشتكي من الإحن، أليس هذا الشفاء والدواء؟!

أيوجد أحد يكثر من الصلاة على رسول الله ويناله ضـــيم ويـــصيبه فتنة، مستحيل لكننا للأسف مشغولين ويعاتبنا الله في كتابه الكريم:

﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ ﴾ [١١ الفتح]

حتى أنهم ليس لديهم وقت للاستغفار، وهذا هو الحاصل الآن وربنا قال في القرآن:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال].

ونحن طبعاً لا نريد هذا الدواء، بل نريد من يشرب بالنيابـــة عنـــا الدواء ويتحقق لنا الشفاء.

أيجوز أن أشرب دواء لمريض عندي في البيت لكي يشفى؟

وكذلك نحن نريد من غيرنا أن يستغفر لنا !! وأن يصلي على حضرة النبي لنا بدلاً عنا !!!

وذلك لكي تذهب عنا الهموم والغموم والمشاكل .. هل يصح ذلك ؟

والرجل الذي ذهب لرسول الله وقال يا رسول الله:

٧ عن أبي بن كعب، رواه الألباني في صحيح الترغيب ومشكاة المصابيح.

{ ادعوا الله أن يرزقني مرافقتك في الجنة، فقال ﷺ: أعني علي نفسك بكثرة السجود }[8]

أي لابد حتماً أن تعمل أنت ...، لكن أنت تريد الجنة بدون عمل! لا يجوز .. فنحن علاج مشاكلنا وهمومنا:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

فلا بد للإنسان أن يكثر من الصلاة على حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

● وهذا هو قوت الصالحين :

- منهم من كان يصلي على حضرة النبي في الصباح ألف مرة.وبالليل ألف مرة.
- ومنهم من كان يصلي على حضرة النبي كل يوم وليلة عشرة آلاف مرة.
- ومنهم من كان يصلي على حضرة النبي كل يوم وليلة أربعين ألف مرة.
- وهكذا أمثلة كثيرة ... ومن جد وجد!.

● وماذا وجد ؟

وجد الأنوار ... ووجه النبي المختار ... والمعاملة بالملاطفة .... والأسرار ... ،وكلها بالصلاة على حضرة النبي بالليل وبالنهار، لأنها الدليل الأعظم على محبة النبي الأكرم ﷺ.

[8] عن ربيعة بن كعب الأسلمي ، الألباني ، صحيح أبي داوود

حتى أن الشيخ أبو طالب المكـي ﷺ قـال في كتابـه "قـوت القلوب":

اصطلح العارفون أنه ينبغي لمن أراد طريق القوم ألا يقل في كل ليلة عن ثلاثمائة مرة في الصلاة على رسول الله ﷺ، واتفقوا على ذلك:

لأن الذي يريد الفضل الكبير لا بد أن يبذل الخير الكثير.

ومن طلب الحسناء لم يغله المهر.

العـــلامة الرابعـة
تعظيمه وتوقيره ﷺ

وكتاب الله نجد فيه ماهو الدليل على وجود الحب؟ الدليل هو ..

﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [٩ الفتح]

تعظيم رسول الله، فعند سماع اسمه يختلج صدره، ويهتز قلبـه، يتحرك جسمه لماذا؟

لأنه سمع اسم رسول الله ﷺ، بمجرد أن يسمع سيرة رسول الله يؤخذ بالكلية، وعندما يكون في أي أمر ويحضر من يذكره برسول الله ﷺ تجـد أن حاله تغير، وفكره استدار، لأن رسول الله ﷺ هو قرة عين المحبين، وهو إنسان العين للمحبوبين فلا يرون إلا به ﷺ في كل فتح وفي كل كـشف وفي كل تمكين.

وهذا كان حال أصحاب رسول الله ﷺ :

حتى إن الواحد منهم عندما كان يذكر أمامه رسول الله ﷺ كـان بعضهم يمكث ساعات لا ينتفع به من شدة الوجد الذي حدث له لتـذكره لرسول الله الأعظم ﷺ.

سيدنا بلال ﷺ: بعد انتقال الحبيب إلى الرفيق الأعلى لم يطق أن يظل في المدينة المنورة بدون ضيائها وبهائها وشمسها وجمالهـا وكمالهـا، فاستأذن سيدنا أبا بكر ليذهب إلى الشام وبعد حين إذا به يرى الـنبي ﷺ في المنام ويقول له :

{ يا بلال ما هذه الجفوة؟ أما آن لك أن تزورنا ؟ }

فذهب فوراً لمدينة رسول الله.

وكان معه مقتنياته، وكان لا يملك من الدنيا إلا العصا وماعزا يحلبها وقصعة يأكل فيها ويتوضأ فيها ويغسل ملابسه فيها.

{ ووصل لرسول الله ﷺ قبل الظهر بقليل فارتمى على الروضة الشريفة وأخذ يبكي وإذا بالحسن والحسين يرّبتان على كتفه ويحتضنانه ويقبلونه ويتوسلان له ليؤذّن.

وقالوا له أذن لنا كما كنت تؤذن لرسول الله ﷺ، وعندما قال: الله أكبر؛ إذا بالمدينة كلها تخرج كأنها في يوم النشور وعندما قال: أشهد أن لا إله إلا الله إذا بالبكارى تخرج من عواتقها، والنساء تخرج من خدورها، وطرق المدينة تمتلئ من دموع أهلها لأنهم تذكروا حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وقال الحاضرون: فلم ير باكياً أكثر من هذا اليوم.}

لماذا؟

لأنهم تذكروا رسول الله ﷺ.

لازم الإنسان يوقر ويعظم رسول الله عند ذكره ...

ساعة أن يسمع اسمه صلى الله عليه وسلم

فكيف بالناس الآن :

عند أي شئ يقولون والنبي تعمل كذا والنبي هات كذا! ..

هذا كلام يستوجب التأديب لمن يفعل ذلك من الأنام ...

الحبيب الذي أقسم به مولاه، فكيف نقسم به على شئ تافه في هذه الحياة !!، قال له مولاه:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[سورة الحجر]

فبعد قسم الله به ...أأقسم به لكي يعطيني أحـــد مـــالاً! أو زاداً! أو ملبساً! أو خلافه!..

لا يجوز أن أقسم بحبيب الله إلا إلى ذات الله في أمر مهم لا أجد لـــه مخرجاً إلا من حضرة الله.

وهذا هو الذي اصطلح عليه الصالحون والعارفون :

مثلاً وقعت في ضيق وفي شدة لا أجد لها مخرجاً إلا عند الله، فأتوسل به إلى حضرة الله ،....

لكن أجعل رسول الله عرضة لكل شئ...!! فهذا كلام يـــستوجب التأديب والتهذيب لأنه عرض حضرة النبي ﷺ لما لا يليق.

العـــلامة الخامســة
الفرح برسول الله ﷺ

◉ أيضاً من العلامات التي تدل على حب رسول الله ﷺ :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾ [سورة يونس]

إن الإنسان يفرح برسول الله، يفرح بميلاده، يفرح بزيارته، يفــرح بسماع سيرته، يفرح بمتابعته، يفرح أعظم الفرح إذا أكرمه الله برؤيــاه أو إذا تعطف عليه ولمعت سواطع أنوار وجهه في هذه الحياة لأنه يعلــم علــم اليقين أنه من المعنيين بقول الله فى سورة الأحزاب :

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧ ﴾

لابد أن يفرح برسول الله ﷺ أكثر من فرحه بأي أمر في هذه الحياة بلا جدال ولا نزاع ... لابد ...

◉ ◉ علامات كثيرة ذكرناها من كتاب الله تعالى تدلل على محبة الإنسان لرسول الله ﷺ نكتفي بهذا القدر منها...

وهي مبثوثة في كتاب الله جل وعلا...

وموجودة في أحوال الصحابة الكرام...

وظاهرة على أحوال السلف الصالح من بعدهم إلى يومنا هذا.

من ثمرات محبته ﷺ

أولاً: يحشر معه يوم القيامة

هذه العلامات تستوجب للإنسان عطاءات وإكرامات ونفحـــات لا عد لها ولا حد لها يكفي أن الإنسان إذا امتلأ قلبه بحب النبي العدنان ضمن الأمان يوم القيامة فعندما سأله سيدنا أنس

{ يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا كثير صيام، ولكني أحب الله ورسوله، قال: أبشر أنت مع من أحببت يوم القيامة}، وفي رواية أخرى **{يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة}(.قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم }**[9]

﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [٦٩ النساء]

هذه درجة، لكن الدرجة الأعلى منها:

[9] رواه البخاري ومسلم

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩ الفتح]

النبيون والصديقون والشهداء والصالحون .. كلهم في درجة مع بعضهم، لكن محمد رسول الله والذين معه ... فهذه درجة خاصة.

ولذلك فإن سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه يحكي ويقول:

ذهبت ليلة إلى المسجد الأقصى ونمت، فوجدت الأنبياء والمرسلين والصالحين كلهم يتدافعون؛ فسألت، فقيل لي جاءوا ليشفعوا في الحلاج، ثم رأيت رسول الله ﷺ منفرداً على كرسي عالٍ من النور، والكل ينظر إليه فتعجبت من هذا المشهد، وإذا بخادم المسجد يوقظني ويقول لي:

لا تعجب !! فالكلُّ من نوره عليه الصلاة والسلام

قال: وانتبهت وإذا بآذان الفجر فصليت الفجر.

ثم بحثت عن الخادم فلم أجده:

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء]

وهذه خاصة لسيدنا رسول الله ﷺ .. ومن؟

والذين معه:

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ ﴾ [٨ التحريم]

أيضاً معه هناك :

فالذي يكون مع رسول الله هناك ... يا هناه !!!!... ويا مناه !!!!.

ولذلك سيدنا رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ... يحكي أن واحداً من أمته أمر به إلى النار، فنادى نبى الله سيدنا آدم عليه السلام .. نادى على من ؟ .. نادى على رسول الله ﷺ ،وقال:

يا محمد يا محمد أدرك هذا الرجل من أمتك.قال: فأُمْسكُ بالملائكـــة فيقولون: نحن الغلاظ الشداد الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مـــا يؤمرون، فأقول: يا رب ألم تعدني أنك لن تخزني في أمتي، فيأتي النداء من الله ﷻ للملائكة اسمعوا ما يأمركم به حبيبي محمد ﷺ.

لو تـــرد أطفأت ناري — أو تـرد يمحى الوعيد
يا حبيبي قــر عـيناً — فأنا البر الرشـــيد
قــم إلى النار وطأها — وانهِ وأمر يا ســعيـد
فلظى بالعدل تولي — والنعيم لمن تريـــــد

ثانياً: مرافقته ﷺ في الجنة

فيكفي أن الذي سيحبُّ رسول الله سيكون معه ﷺ يوم الدين، بـــل ومعه في جنات النعيم، وهذا مقام ثانِ أعلى ... لأنه ﷺ قال: من أحـــبني كان معي في الجنة؛ وذلك عندما قال عليه الصلاة والسلام لسيدنا أنس:

{ يا بني إن استطعت أن تبيت وليس في قلبك غلٌّ ولا غشٌّ لأحد من المسلمين فافعل، فإن ذلك من سنتي، ومن فعل سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة }[10]

● والعطـــاء الأكرم والعطـــاء الأعظم الذي سُـــئِلَ فيـــه الشيخ الدباغ ﷺ: هل هناك نعيمٌ أكبر من نعيم الجنَّـــــة؟

---

[10] المعجم الصغير للطبراني عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

وكان الشيخ الدباغ رجل أمياً، ولكنه كان يرى رســـول الله علـــى الدوام ليس مناماً ولكن يقظة، فقال رداً على السؤال:

نعم رؤية رسول الله ﷺ أعظم من نعيم الجنة، قالوا: ولم؟ قال:

لأن الإنسان إذا دخل الجنة يتمتع بكل نعيم فيها على انفراد وعلـــى حدة لكنه إذا رأى رسول الله ﷺ فإن الله يسقيه من كل أنواع نعيم الجنة.

كيف؟ ... هذا الكلام بلا كيف !!!

ولكن فيه ذق تعـــــــرف!!!

وهذا أشهى شـــــــئ عند العارفين !!!

ولذلك كانوا يقولون:

فنظرة منك يا ســــــؤلي ويا أملي
أشـــــــهى علي من الدنيا وما فيها

ثالثاً: رؤيته ﷺ مناماً

نظرة واحدة من رسول الله أشهى من كل أنواع النعيم.

ويكفينا قوله ﷺ في الروايات المتعددة :

{من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي}[11]

ولم يقل رآني خلقاً.

[11] رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة ورواه الطبراني عن أبي بكر ورواه الدارمى عن أبي قتاده..

لأن الخلق انتهى بعد التحاقه بالرفيق الأعلى.

لكن رآني حقاً أي رأى الصورة الحقية ...، الصورة النورانيـــة ....، الصورة الإلهية ...، الصورة القدسية ....، وبشر هؤلاء وقال:

{ من رآني في المنام فسيراني في اليقظة }[12]

على حسب درجته ومترلته :

- إما أن يراه في اليقظة وهو في هذه الحياة.
- وهذا إذا تمكن حب رسول الله من كل ذرات كيانه وأصبح ﷺ هو المهيمن على ظاهره وباطنه.
- وإما أن يراه عند خروجه من الدنيا يبشره بحاله عند الله.
- لكن الجماعة الذين يقولون: سيراه في الآخرة فكلنـــا ســنراه في الآخرة فهذا ليس فيه فضل، لأن الكل سيراه في الآخرة.

لكن أين الفضل؟

إذا رآه في هذه الحياة، والحديث الذي يقول فيه ﷺ:

{ من رآني في المنام فقد رأى الحق }[13].

أي بصفاته العليا ..

وأنواره القدســـية...

وعطاءاته وتجلياته الوهبـــية ...

وهى عطاءات وتجليات لا يستطيع أحد إحصائها ولا عدها.

---

[12] رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.
[13] مسند أحمد بن حنبل وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة.

فالذي يرى رسول الله .. أي سيحظى بعطاء، لأن ربنا قال له:

﴿ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا ﴾ كله معك أنت

﴿ فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) ﴾ [سورة ص].

والحظ بعين قلبك إلى كتاب ربك :

هذا اسم إشارة ومن المشار إليه؟ ﷺ، والكلام لنا نحن :

هذا عطاؤنا، ثم التفت إلى حضرته وقال له: فامنن أو أمسك بغـــير حساب، ليس عليك حساب، اعمل ما تريد.

فأعظم العطاءات وأكبر النفحات وأكرم التجليات: إذا وُوجه المـــرء بالنبي المختار، لكن هذا لا يكون إلا بصفاء القلب من جميع الأكدار.

من كان في قلبه مثقال خردلة من حب الدنيا أو الشهوات أو مثقال ذرة من كبر أو حقد على أحد من المؤمنين أو كره أو بغض أو نفاق فليس له في هذا التجلي نصيب لأنه معيب:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الآية (٨٩) الشعراء].

● من يريد أن يحظى بهذا المقام العظيم :

لا بد أن يكون كل همه أن يصفي قلبه ويطهر سره وينور لبه ويجعله صالحاً كالشاشة الجاهزة لاستقبال الأثير النـــوراني والإرســـال المحمـــدي والتجلي القدسي، وهذا لمن يريد أن يحظى بهذا العطاء ويقـــول في ذلـــك مولانا أبو العزائم ﷺ :

من رام يعرفني تجرد عن ســـوى
نص الشــــريعة إن أراد فلاح

النور محظور على أهل الهوى

والحظ بادر نعطك الأقداح

بادر وتخلص من هذه الأشياء...
وبعد ذلك كل شئ موجود على المائدة المحمدية !!
جاهزة ومعمورة بكل ألوان الحبور والمسرات !!!
ومملوءة بكل أصناف الخيرات والبركات !!!
وعليها كل ما تشتهيه الأرواح وليس الأنفس !!!
وكل ما تشتاق إليه الأسرار !!!
لكنها تريد قلوباً !!!
صفت ووفت وسمت ورقت!!!
فرأت بعين الروح لا عين العقول
هذه الأنوار وهذه الخيرات وهذه الفيوضات
التي خص بها النبي ﷺ.

هؤلاء الفحول الذين كانوا لا يغيب عنهم رسول الله ﷺ طرفة عين.. نسأل الله ﷻ أن يجملنا بجمال المحبين ...
وان يكرمنا بإكرام المحبوبين،
وأن يملأ قلوبنا بالحب الصادق الخالص لسيد الأولين والآخرين،
وأن يوفقنا لحسن اتباع حضرته في كل وقت وحين،
وأن يجعلنا له من خيار المتبعين،
وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الغاية من رؤية سيدنا رسول الله

قد يتساءل البعض ويقول ما غاية رؤية سيدنا رسول الله للــصالحين والعارفين؟

● نحن تكلمنا في المقام الأول أنها بشرى للإنسان بأنه كمل إيمانــه وسيدخل الجنة إن شاء الله.

● لكن كمل الصالحين وأكابر العارفين وأهل التمكين سيدنا رسول الله ﷺ رؤيته لهم: تبدأ مناماً، ثم يقظة لتوجيههم وتلقينهم، ويقوم ﷺ في هذه الأحوال بإمدادهم وإجابة طلباتهم، ويقومون باستشارته في كل أمــر، ولا يفعلون شيئاً إلا عن إذنه بعد استشارته صلوات ربي وسلامه عليه.

وهذه هي الحالة التي تحصل مع هؤلاء القوم والإنسان إذا كــان لا يفعل أمراً ولا يقوم بشأن إلا بعد إذن من رسول الله: معنى ذلك أن يكون ذلك الأمر مبارك وموفق إن شاء الله لأن أمر رسول الله ﷺ هو أمــر الله ولذلك يقول لنا فيه الله:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴾ [٨٠ النساء].

● والذي يريد أن يرضي ربنا، ماذا يعمل؟

نسأل الله ...:

﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾ [٦٢ التوبة]

فالله واحد، ورسوله اثنان..: كان سياق اللغة يقتضي أن يقول أحق أن يرضوهما، لكن قال أحق أن يرضوه، والضمير يعود على أقرب مذكور،

يرضوا من هنا؟..... رسول الله ﷺ.

فالله ورسوله أحق أن يرضوه أي أن الذي يرضي رسول الله يكون أرضى الله، ولذلك فالذين أرضوا رسول الله وأخذ عليهم البيعة ماذا قال الله لهم؟

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ وفوراً ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الفتح].

طبعاً لم يكن فتحاً لمكة، ولكن أعطاهم فتح قريب من القريب فتحاً نورانياً وفتحاً إلهياً وفتحاً قدسياً في قلوبهم، لم؟

لأنهم بايعوا رسول الله وأرضوا رسول الله فلما أرضوا رسول الله رضي عنهم الله جل في علاه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾.......... نعم يارب..........

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾

طبعا...الله...ثم الرسول.، وقال ثانية:

﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [٢٤ الأنفال]

من الذي سيدعي هنا؟

واحد، إذاً الاستجابة لرسول الله هي الاستجابة لحضرة الله جل في

علاه، وإياكم أن تفرقوا بين هذا وذاك.

حتى أن ربنا سبحانه وتعالى تترل من ذاته ومن على سمائه ومن جلاله وكبريائه، وقال للذين يبايعون رسول الله، ووضعوا أيديهم في يد رسول الله :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾.

ولم يقل كأنما بكاف التشبيه، ولكن قال إنما، ثم لكي يؤكد الكـــلام طبعاً أيديهم موضوعة، وفوق أيديهم يد رسول الله..:

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾ [الآية (١٠) الفتح].

لو قال: فوق أيديكم تصبح يد الله فوق الكل، بما فيهم يد رســـول الله، لكن يد الله فوق أيديهم.

واليد التي فوق أيديهم...يد من؟ يد رسول الله.

فيد رسول الله في هذا المقام كأنها يد الله جل في علاه كما قال الله في قرآنه، وهذا هو قرآنه الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار.

● إذن المدار على رسول الله ﷺ :

فالذي اعتقد أن سيدنا رسول الله ﷺ أدى الرسالة وانتهت مهمته مسكين وليس له شأن في مقام التقوى عند رب العالمين ﷻ.

لأن سيدنا رسول الله قائم :

بمهام الرسالة، ومهام النبوة، ومهام الفتوة، بروحانيته وبشفافيته وبنور بصيرته، وبتصريف الله ﷻ له في الأكوان.

وإن كان لا يراه الإنسان لأنه لا يرى إلا البشرية ولا تراه إلا الأعين

المضية التي إما انسلخت من البشرية ...

فترى الحضرة المحمدية أو تنزلت لها الحضرة المحمدية فرأها على حقيقتها النورانية !!!

تراها بهذه الهيئة عندما يتجلى الله على العبد ويكرم بقول الله :

(ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ورجله التي يمشي بها،

إلى آخر الحديث الكريم.

تربية النبى البرزخية

ولو أعطينا أمرا للكمبيوتر الرباني ليجول في أحوال الصالحين، كيف كان يربيهم سيد الأولين والآخرين :

سنجد أشياء لا عد لها ولا حصر لها :

- مثلاً الإمام الجنيد رضي الله عنه وأرضاه :

طلب منه إخوانه أن يحدثهم بما فتح الله عليه فخشي الفتنة، لأن القول والكلام إن لم يكن عن إذن فهو فتنة لكن صاحب الإذن مؤيد بالحفظ من الله عز وجل، فذهبوا إلى شيخه السرى السقطى وطلبوا منه أن يأذن له فقال له :

حدث إخوانك بما فتح الله عليك لينتفعوا بك، قال: فقلت في نفسي لا أتحدث إلا إذا جاءني الإذن الصريح من رسول الله ﷺ

قال: فبت ليلة الجمعة، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وقال: يا جنيد حدث الناس بما فتح الله ﷻ به عليك لينتفعوا بعلمك، فاستيقظ قبل الفجر بساعة، فأسرع إلى شيخه وإلى داره ليزف له البشرى فدق عليه الباب، وإذا بشيخه السرى يقول له: جئت تبشرني بأن النبي ﷺ أذن لك. فذهب إلى المسجد وإذا بالمسجد غاص بأهله، وأجلسوه على الكرسي وقالوا حدثنا.

وعندما بدأ الكلام، وإذا برجل نصراني وكانت العرب تلبس العمائم وغير العرب لا يلبسون العمائم، وكان هذا الرجل يلبس عمامة فقال الرجل النصراني: يا جنيد ! ما معنى قول رسول الله ﷺ :

{اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله}[١٤]؟

فنظر إليه وقال: معناه أنه قد آن أوان إسلامك يا نصراني!

قال: لقد امتحنت بهذا الحديث قبلك جمعاً كبيراً من العارفين!، ولم يصلوا إلى ما وصلت إليه !! فهنيئاً لك المقام يا تاج العارفين.

وأسلم الرجل في الوقت والحال لأنه دعا إلى الله بإذن من رسول الله.

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾

● وما السلاح الذي معه؟

﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب]

---

[١٤] رواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري.

الذي يعطيه الإذن بالبيان لازم يعطيه لمبة العيان لكي يكشف مـا في صدور الناس والإخوان ويحدثهم بما يريده الرحمن ﷻ.

● سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال:

كنت جالساً فرأيت رسول الله يقظة وقال: يا ولدي يا عبد القــادر حدث الناس لينتفعوا بما فتح الله عليك، قال: فقلت يا سيدي يا رسول الله أنا رجل أعجمي فكيف أتحدث مع فصحاء بغداد.

قال: افتح فاك ففتح فاه فتفل فيه سبع مرات، وبعد صلاة الظهر إذا بالناس يجتمعون حوله ويجلسونه على الكرسي ويقولون له: حدثنا والجامع يمتلئ عن آخره، قال: فارتج عليَّ وإذا بي أرى الإمام علي رضي الله عنه وكـــرم الله وجهه فقال: لم لا تتحدث؟

فقلت: يا سيدي ارتج عليَّ، وأنا رجل أعجمي، وكيف أتحدث مـــع فصحاء بغداد؟! قال: افتح فاك قال: فتفل فيه ست مرات.

فقلت: ولَمَ لمْ تتفل السابعة؟ قال: تأدبا مع رسول الله ﷺ.

● وهذا الباب واسع وشاسع لا حصر له ولا عد له، رســول الله ﷺ يحتضن الصالحين ويربي العارفين يجيب على أسئلتهم إذا سألوه.

● وقد كان سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه يقول :

مما من الله ﷻ به عليَّ أنه لم يجعل مسافة بيني وبين رسول الله، فأحياناً أضع يدي وأنا في مكاني على شباكه في المدينة المنورة !!

وأسأله عما أريد فيجيبني.

● وهذه الأحوال كثيرة !!

وإياك أن تكذب فإن من كذب بهذه الأحوال لا يصل إليها أبد الدهر والذي يعترض ينطرد ولكنها أحوال الرجال.

فهذا توجيه رسول الله وكلاءة رسول الله وعناية رسول الله لأهل الله والصالحين من عباد الله هكذا الحال معهم في كل وقت وشأن.

◉ سيدي عبد العزيز الدريني ﷺ، عقدوا له المــشيخة في دريـــن فاعترض بعض السادة الأشراف وقالوا نحن أولى بك من المشيخة :

ولما طال الجدل تدخل أهل الصلاح، وقالوا يجتمع الجميع بعد صلاة الجمعة وينادون على رسول الله، فمن يجيبه رسول الله يكون أهلاً للخلافة.

فاجتمع الأشراف واجتمع معهم الشيخ عبد العزيز الدريني، فقالوا تقدم، فقال لهم: تقدموا أنتم أولا فأنتم الأشراف.فتقـــدموا واحـــداً وراء واحد، يقولون: يا سيدي يا رسول الله، فلا يسمعوا جوابا، فلما انتهوا قال سيدي عبد العزيز الدريني: يا سيدي يا رسول الله قال:

لبيك يا عبد العزيز.

وسمعه الجميع.

فقال من في الخلف: بهتاناً، لم يسمع إلا الصفوف الأولى.

فأعاد النداء ثلاث مرات وفي كل مرة يقول: يا سيدي يا رسول الله فيسمعون النداء:

لبيك يا عبد العزيز.

وأحوال العارفين والصالحين في هذا الأمر فوق الوصف.

◉ إنكم تعلمون جميعاً أن الصالحين لا يتحرك واحـــد منـــهم إلى الدعوة إلى الله وجمع الخلق على الله إلا بإذن صريح من رسول الله.

بل إنهم لا ينتقلون من مكان إلى مكان إلا إذا جاء الأمر انتقــل إلى بلدة كذا، ويعطيه الكشف فانك ستربي هنـــاك فـــلان وفـــلان أمور أجمع عليها الصالحون ومن أراد أن يكون منهم أو يكون معهم فعليـــه بحبيب الله ومصطفاه.

نريد يا إخواني أن نشكر الله على هذه النعمة التي أرســلها لنـــا الله وخصنا بها دون خلق الله وجعلنا ببركته وبسببه خير أمة أخرجت للناس.

رابعاً: رؤيته ﷺ يقظة

اعلم أن أفراد الأولياء وأكابر الأصفياء الذين كانوا يجتمعون بـــالنبي ﷺ يقظة، هم قليلون جداً في كل زمان.

- قال ابن أبي جمرة في كتابه بهجة النفوس شرح مختصره لـــصحيح البخاري عند قوله ﷺ: **{من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي}**[15].

((وقد ذُكرت رؤيته ﷺ عند السلف والخلف وهلم جرا عن جماعة ممن كانوا رأوه ﷺ في النوم وكانوا يحملون هذا الحديث على ظاهره فرأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين، فأخبرهم بتفريجها، ونص لهم على الوجوه التي منها يكون فرجها فجاء الأمر كذلك بلا زيادة ولا نقص)).

---

[15] رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة ورواه الطبراني عن أبي بكر ورواه الدارمى عن أبي قتاده.

◉ وقال أحمد بن المبارك في كتاب الإبريز الذي تلقاه عن شـــيخه غوث زمانه سيدي عبد العزيز الدباغ ﷺ ، قال في الباب التاسع بعد كلام طويل:

((وأما صاحب الفتح، فيشاهد الأولياء العارفين بالله تعالى ويتكلم معهم ويناجيهم على بعد المسافة مناجاة الجليس لجليسه، وكذا يشاهد أرواح المؤمنين فوق القبور والكرام الكاتبين والملائكة والبرزخ وأرواح الموتى فيه، ويشاهد قبر النبي ﷺ وعمود النور الممتد منه إلى قبة البرزخ فإذا حصلت له مشاهدة ذات النبي ﷺ في اليقظة: حصل له الأمان من تلاعب الشيطان لاجتماعه مع رحمة الله تعالى، وهي سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ)).

◉ وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي:

((أجمع المتكلمون المحققون من أصحابنا على أن نبينا ﷺ حي بعد وفاته، وأنه يُسر بطاعة أمته، ويحزن بمعاصي العصاة منهم وأنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته، وقال الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى.وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وقال عليه الصلاة والسلام :

{ مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره }[١٦].

[١٦] رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي عن انس رضى الله عنه .

وهذا صحيح في إثبات الحياة لموسى.

فإنه وصفه بالصلاة وأنه كان قائماً، ومثل هذا لا توصف به الروح، وإنما يوصف به الجسد)).

● وقد قال السيوطي في كتابه"تنوير الحلك في رؤية النبي والملك":

((فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، لم يتبدل منه شيء، وأنه مُغيّب عن الأبصار، كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم} }

((فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته، رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعي إلى التشخيص برؤية المثال)).

● وقال الإمام الشعراني في مقدمة كتابه "المنن الكبرى" :

((كان سيدي على الخواص رحمه الله يقول:

أخذت طريقي هذه عن سيدي إبراهيم المتبولي عن رسول الله ﷺ، وصورة أخذ الأولياء عن رسول الله ﷺ أن أرواحهم تجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة من حيث أرواحهم لا من حيث أجسامهم، فليس اجتماعهم به ﷺ كاجتماع الصحابة فافهم.

● وكان سيدي أبو العباس المرسي يقول:

((لا يكمل مقام فقير، إلا أن صار يجتمع برسول الله ﷺ يقظة، ويراجعه في أموره كما يراجع التلميذ شيخه))

((.وقد بلغنا أن سيدي محمد الغمري لما عمر جامعه بمصر استأذن رسول الله ﷺ بواسطة فقال له: عمّر وتوكل على الله، فلا أدري أكان ذلك قبل الكمال أو استأذن بالواسطة حياء من رسول الله ﷺ، وهذا هو اللائق بمقامه فإنه كان مشهورا بالكمال.))

◉ وكان سيدي ياقوت العرشي يقول:

((من ادعى أنه يأخذ عن رسول الله ﷺ الأدب والعلم فاسألوه عن كيفية ما وقع له، فإن قال رأيت نورا ملأ المشرق والمغرب وسمعت قائلا يقول لي: من ذلك النور في ظاهري وباطني، لا يختص بجهة من الجهات اسمع لما يأمرك به نبيي ورســــــولي فصدقوه، وإلا فهو مفتر كـــذاب)).

◉ وقال الشعراني أيضا في كتابه العهود المحمدية في عهـــد طلـــب الإكثار من الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ:

((أن صحبة النبي ﷺ البرزخية تحتاج إلى صفاء عظيم حتى يصلح العبد لمجالسته ﷺ، وأن من كان له سريرة سيئه يستحي من ظهورها في الدنيا والآخرة، لا يصلح له صحبة مع رسول الله ﷺ ولو كان على عبادة الثقلين)).

◉ وقال محمد بن علان في رسالته:

((أما الاجتماع بحضرة النبي ﷺ يقظة في كل زمان ومكان:

لا يكون إلا لمن فاز من الله تعالي بخصوصيات المواهب، وحاز في الدين أثنى المناصب وأعلى المراتب، وعمل عملاً يصح أن يكون

وسيلة إلى ذلك)).

● وممن روي عنه أنه اجتمع به ﷺ يقظة ومناماً الـــشيخ محمـــد أبوالمواهب الشاذلي رضي الله عنه:

قال الشعراني في طبقاته :

((وكان كثير الرؤيا لرسول الله ﷺ وكان ﷺ يقول: رأيت رسول الله ﷺ على سطح الجامع الأزهر عام خمسة وعشرين وثمانمائة، فوضع يده على قلبي وقال: يا ولدي الغيبة حرام.

ألم تسمع قول الله تعالي:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [١٢ الحجرات]

وكان قد جلس عندي جماعة فاغتابوا بعض الناس، ثم قال لي ﷺ: فإن كان ولا بد من سماعك غيبة الناس فاقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين واهدِ ثوابهم للمغتاب، فإن الغيبة والثواب يتوارثان ويتوافقان إن شاء الله تعالي))

وكان يقول:

((قال لي رسول الله ﷺ :أنا لا أجتمع بمن يجلس مجالس الغيبة مع الناس ولا يقوم منها))

وكان يقول:

((رأيت رسول الله ﷺ فقال لي: يا محمد ما هذه الغفلة ؟ وما هذه الرقد ة؟ وما هذا الإعراض ؟ مالك تركت تلاوة القرآن وما هذه

الوريدات في جانب تلاوة القرآن؟ لا تفعل ذلك أصلا، بل اتلُ كل يوم ولو حزبين لا أقل من ذلك كل يوم.))

● ومنهم عبد الله الدهلوي قدس الله سره قال :

((نمت ليلة قبل صلاة العشاء، فإذا به عليه الصلاة والسلام قد حضر ونهاني عن ذلك وتوعدني، وزارني ﷺ مرة ثم ذهب، فحزنت لفراقه وجعلت أحثو التراب على وجهي، فوجدت ظلمة من هذا الفعل المنكر. ورأيته مرة في المنام فقلت: يا رسول الله أنت قلت من رآني فقد رأى الحق، قال: نعم.وكنت مثابرا على قراءة الأذكار وأهدي ثوابها لمقامه المقدس فتركتها مرة فرأيته ﷺ بالهيئة التي وردت في شمائل الترمذي فعاتبني ﷺ، واعتراني مرة خوف شديد من النار فرأيته ﷺ قد شرف منزلي، وقال لي: من يحبنا لا يدخل النار.))

● ومنهم عثمان بن عفان ﷺ :

نقل السيوطي في كتابه تنوير الحلك عن عبد الله بن سلام، قال :

((أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور، فقال: مرحبا بأخي، رأيت رسول الله ﷺ في هذه الخوخة، فقال ﷺ : عثمان..حصروك؟ قلت: نعم.قال: عطشوك؟... قلت: نعم، قال عثمان: ناولني ﷺ دلوا فيه ماء، فشربت حتى رويت وإني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي، ثم قال: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده ﷺ.فقتل ذلك اليوم))

قال جلال الدين السيوطي:

((وقد فهم المصنف أنها رؤية يقظة، وإلا لم يصح عدها في الكرامات، لأن رؤيا المنام يستوي فيها كل أحد.))

● ومنهم القطب الشهير سيدي أحمد الرفاعي ﷺ :

نقل الشيخ جلال الدين السيوطي في كتاب "الشرف المحتم" :

((عن عز الدين عمر أبي الفرج الواسطي قال: كنت مع شيخنا وسيدنا أبي العباس القطب الغوث السيد أحمد الرفاعي الحسيني ﷺ عام خمس وخمسين وخمسمائة العام الذي قدر الله له فيه الحج، فلما وصل مدينة الرسول ﷺ وقف تجاه حجرة النبي ﷺ وقال على رؤوس الأشهاد: السلام عليك يا جدي، فقال له عليه الصلاة والسلام: وعليك السلام يا ولدي، سمع ذلك كل من كان بالمسجد النبوي، فتواجد سيدي أحمد وأرعد، وأصفر لونه، وجثا على ركبتيه، ثم قام وبكى وأنّ طويلاً وقال يا جداه :

في حالة البعد روحي كنت أرســـلها

تقبل الأرض عني وهـــــي نائبتي

وهذه دولة الأشـــــباح قد حضرت

فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله ﷺ يده الشريفة العطرة، من القبر الأزهر المكرم فقبلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل، والناس ينظرون اليد الشريفة.وكان في المسجد مع الحجاج: الشيخ حياة بن قيس الحراني

والشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ خميس والشيخ عدي بن مسافر وغيرهم نفعنا الله بعلومهم وتشرفنا معهم برؤية اليد المحمدية.))

ولما حج ثانيا في العام الذي توفي فيه، وزار القبر الطاهر قال وهو تجاه القبر بانكسار ومسكنة:

إن قيل زرتم بما رجعتم ... يا أكرم الرسل فما نقول

فظهر صوت من القبر سمعه كل من في المسجد:

قولوا رجعنا بكل خير ... واجتمع الفرع والأصول

● ومنهم خليفة بن موسى النهر ملكي ﷺ :

حكى السيوطي في كتابه "تنوير الحلك":

قال ابن الملقن في طبقات الأولياء في ترجمة الشيخ المذكور :

((أنه كان كثير الرؤية لرسول الله ﷺ يقظة ومناما، فكان يقول أن أكثر أفعاله متلقاة بأمر منه ﷺ إما يقظة وإما مناما، رآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة، قال له في إحداهن: يا خليفة لا تضجر، كثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي،.يا خليفة ألا أعلمك استغفاراً تدعو به فعلمه:

اللهم إن حسناتي من عطائك، وسيئاتي من قضائك،

فجد بما أنعمت علي ما قضيت وأمح ذلك بذلك، جلّيت إن تطاع إلا بإذنك أو تعصى إلا بعلمك، اللهم ما عصيتك حين عصيتك استخفافا بحقك ولا استهانة بعذابك، لكن لسابقة سبق بها علمك، فالتوبة إليك والمغفرة لديك.}}

وقال محمد بن يحي التاذفي في كتابه "قلائد الجواهر":

لما حضرت خليفة بن موسى الوفاة:

وهو توفي سنة ٦٠٤هـ،تشهد وتهلل وجهه بالسرور والبشر وقال:

((هذا محمد رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ يبشروني برضوان من الله تعالي وصلاته))

ثم قال:

((هذه الملائكة عليهم السلام يستعجلون بالقدوم على رب كريم ثم ضحك وتوفى))

نسأل الله أن يفتح لنا أبواب شهود الحضرة المحمدية وينظمنا جميعاً في عقد هذه المعية، ويسقينا من يده الشريفة شربة مريئة هنية لا نظمأ بعدها أبداً، ويتوجنا بيده بتاج السعود، ويجعلنا ببركته ﷺ من أهل الوفود على حضرة الله ويجمعنا عليه جمعية كبريائية، لا نغيب عنه بعدها طرفة عين ولا أقل ويحشرنا يوم الدين تحت لواء شفاعته، ويجعلنا في الجنة في جواره ومن أهل قربه ومعيته.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الاجتهاد لرؤية رسول الله ﷺ[17]

سؤال : كيفية الاجتهاد لرؤية سيدنا رسول الله في الحيـــاة قبل الممات وإذا اجتهد ولم يراه؟

جـــواب : إذا اجتهد لا بد أن يراه.

ولو حتى لحظة خروج الروح وذلك لكي يثبّته..:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [٢٧ إبراهيم]

سؤال : هل يراه بشخصه؟

جواب : نعم يراه بذاته.

لكن الذي يجتهد وهذا الاجتهاد يكون له ضوابط: بمعـــنى أنـــنى لا أصلى على حضرة النبي ﷺ لكي أرى حضرة النبي، وإذا لم أره أتوقف.

لأن هذه الصلاة تكون معلولة، ويقع فيها كثير من الناس :

أنه يصلي لكي يرى الوسول !!! لا

لإنتبهوا إخوانى ... المفروض أصلاً أن أصلي شكراً لله علـــى بعثـــة سيدنا رسول الله، ولا أربط بين الصلاة عليه ﷺ وبين تحقيق الرؤيـــة !!!، وإن لم أرَ الرؤيا .. ، لا أصلي..!!

---

[17] كان هذا الدرس في احتفالات المولد النبوي بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين قبل صلاة الجمعة ٢٢ من أبريل ٢٠٠٥م الموافق ١٣ من ربيع أول ١٤٢٦هـ

وهذا ما يجعل عزائم الكثير من الناس يعتريها الفتور، لماذا؟

مثلاً سيصلي على حضرة النبي لمدة سنة أو سنتين ...

ويمكن أنه يكون على وشك أن يراه ...

ثم ينتابه الكسل !!!!

ويتوقف مرة واحدة بعد أن كان على وشك أن يبلـــغ الأمـــل !!! وتضحك عليه نفسه !!! ويحرم من بلوغ الأمل.

همم الرجال

لكن الذي يعمل لله:

"ما كان لله دام واتصل".

إذا صليت على حضرة النبي:

فيجب أن أديم الصلاة على حضرة النبي.

لأنني متأكد أن العطاء المخصص لي مدخر لي عند الله.

وإذا صرفوا لي جزء منه كبشرى في هذه الحياة فبها ونعمت.

وإذا لم يكن فأنا متأكد ومتيقن أن الآخرة خير وأبقى.

وما عند الله خير للأبرار.

لكن هناك بعض المريدين يكون منتظراً نتيجة اجتـــهاده وصـــلاحه وأعماله وتوجهاته، أن يكون له مبشرات في الدنيا...!!!

كرامات !!! أو آيات !!! أو بعض الحاجات الظاهرات.

وإن لم يظهر عليه أو له مثل هذه الأشياء يتعب جداً، وتنتابه قلاقل نفسية !!! وأمراض عصبية !!!..

قال الصالحون في مثل هذا:

((الشيخ الذي ينتظر الكرامة كالمرأة التي تنتظر المحيض))

ولكن الرجل لا يرجو من الله، إلا الله ..

ولا يطلب من الله إلا رضاه ...

ولا يبتغي بأي وسيلة يتقرب بها إلى حضرة الله ... إلا أن يتعطف عليه مولاه .... ويجعله من عباده الذين يحبهم ... ويرضى عنهم ...في الدنيا ويوم لقاء الله.

وإذا ظهرت لهم مثل هذه الأشياء! فلا تطرف أعينهم.

ولذلك حتى لو أظهر الله لهم -وهم الرجال- كرامات! أو آيات! وعطاءات! وهبات!!!

وحتى لو فتح لهم الجنات !!

وأعطاهم القوة على المشاهدات !!

فإن كل هذه الأشياء لا تلفت نظرهم طرفة عين عن حضرة الذات !

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها
لفارقت حسنها بالزهد همتهم

حتى لو ظهرت لهم الجنة:

يزهدون فيها، لأنهم يريدون صاحب الجنة وصاحب المنة ﷻ.

وهذه هي همم الرجال الذين يبلغون هذا المرام، وهذا العطاء وهـــذا النوال، همتهم لله وتوجههم لله وكل أعمالهم لحضرة الله.

وإذا أكرمهم الله ﷻ بأي إكرام ظاهر أو باطن ولو بكشف أو فتح أو نور أو غيره، كل ذلك لا يلفتهم عن الله ﷻ طرفة عين ولا أقل.

وهذه هي العبادة التي يقول فيها ربنا :

﴿ لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [٥ البينة].

لكنني متأكد ومتيقن :

أنه حتى المرة الواحدة التي أصلي فيها على حضرة النبي، ولو عرضاً ولو حتى سهواً !!!، وكذا التسبيحة !!! والتهليلة !!!، وأي عمل !!!

فإن الله قال في كل ذلك :

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف]

وهذه الودائع موجودة عند الله.

وهى ليست كما هي ...لا

لا يوجد بنك من بنوك الدنيا يعطي فوائد وأرباح مثـــل بنـــوك رب العالمين ﷻ،...أقل فائدة عندنا فى البنوك الإلهية ؟ كم ؟

ألف في المائة ١٠٠٠%

وهذه أقل فائدة: الحسنة بعشرة أمثالها ...

إلى سبعمائة ضعف (يعنى ٧٠٠٠٠%) ويزيد الله لمن يشاء.

أين إذاً من يعطي بهذه الكيفية في الأرباح الإلهية التي يعطيها لنا رب

العالمين يا جماعة المؤمنين؟

لا يوجد أحد في الأولين ولا الآخرين، يعطي الفائدة التي يعطيها لنـــا ربنا. ولذلك قال ﷺ فى معنى الحديث الشريف والمروى بروايات مختلفة عن عائشة رضى الله عنها وكذا عن أبي هريرة :

{ **إن المرء يتصدق بالصدقة لا يلقي لها بالاً** – أي يعطيها وغير ملتفت لها أو حاسس بقيمتها – **فيجدها يوم القيامة كجبل أحد، ويقول له الله خذ صدقتك هذه، يقول من أين يا رب؟ يقول هذه صدقتك التي تصدقت بها في يوم كذا ... أخذناها وربيناها لك، فصارت كما ترى** }.

فذلك هو الذي يجعل المؤمن ... يعمل ... ويعمل ... ويجد ... ويكد ويعتقد تمام الاعتقاد أن:

﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ ﴾ [٩٦ النحل]

وياليته باقياً على حاله.. ولكنه ينفد ..

أما الذى عند الله فإنه يربو ويزيد إلى مالا نهاية عند الله ﷻ.

نية الصلاة على النبى ﷺ وتكريم أهلها

ولذلك أُصلي على حضرة النبي ﷺ، ما نيتي؟

– أنه عليه الصلاة والسلام أهلاً لهذه الصلاة.

- أو شكراً لله ﷻ على بعثته لنا ﷺ.
- أو شكراً لله على أن جعله نبينا .
- أو شكراً لله أنه جعلنا من أمته.
- أو تعبيراً على قدري عن ثنائي على قدري على حضرته.

ولكن لا يوجد أحد من الأولين أو الآخرين...

يستطيع أن يصلي على حضرة النبي الصلاة التي يستحقها !!!

أو يصفه بالنعوت التي هو أهلا لها !!!

أو يثني عليه بالثناءات التي عبَّر المولى ﷻ في القرآن عن بعضها!!!

من الذي يقدر على ذلك ؟

لاأحد ....

ولكنني أصلي بهذه النوايا.

ولما أصلي بهذه النوايا، أو غيرها من النوايا والخبايا، فيتعطف ســيدنا رسول الله كما أمره ربنا في كتابه [٨٦ النساء]:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾

- فيجئ ليحييني..
- يلقي عليَّ السلام ...
- أو يمتعني بلذيذ الخطاب ...
- أو وجميل الكلام..
- أو يتعطف عليَّ بشيء من الفضل والجود والعطاء والإنعام.

ويكفي لأهل هذا المقام:

أن من رأى النبي ﷺ في مقام، فإنه من كرمه وجوده ﷺ يخلع عليه هذا المقام الذي رآه فيه، والله ﷻ يخلع عليه صلى الله عليه وسلم مقاما أعظــم منه من لدن الله ﷻ.

ولكنني عندما أصلي على حضرة النبي :

أصلي على هذه الحالة، أو على الأقل تنفيذاً لأمر الله [٥٦ الأحزاب]:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾

كم مرة نصلي؟

ترك الباب مفتوحاً، فصلاتي كلها تنفيذاً لأمر الله،....

لكن لا أضع في فؤادي، ولا في سويدائي، ولا في قلبي: أنني أصــلي لكي أراه.

التأهل لرؤيته ﷺ

لكن ما الذي يستجلب رؤيته؟

أن الإنسان عندما يصلي عليه .. فمن الأدب :

- أن أتوضأ.
- وأن أتجه إلى القبلة.
- وأستحضر أنني بين يديه.

❁ وأنني جالس في حضرته الشريفة ﷺ.

❁ وأن أستحضر أوصافه ... وكمالاته ... وجمالاته الــتي بلغــتني وقرأت عنها .....

❁ وأستحضر أني قاعد ورسول الله أمامي، كأنه رأى العين.

❁ وإذا لم أقدر على استحضار هذا المــشهد: أستحــضر أنــني في الروضة الشريفة ، وأنني جالس فيها أمام سيدنا رسول الله، وأتأدب بالأدب الذي أمرني به الله حين جلوسي بين يدي رسول الله في روضته المباركة.

وهذا أيضاً يعجل بالرؤية، ويلزم هنا بالطبع الصفاء، وليس الجفــاء وتحتاج إلى النقاء، وجمع الشمل، واجتماع الهم، وعكوف القلــب علــى حضرته ﷺ.

إذا صليت عليه بهذه الكيفية فإن استحضار الصورة المحمدية، يحــرق في قلبي الصدود والبعد، ويجعل قلبي شفافاً بلورياً نورانياً.

في هذه الحالة عندما ينام الإنسان تنطبع صورة الحبيب المــصطفى ﷺ على شاشة هذا القلب، وهذا هو الوضع الذي يعجل بالرؤية.

❁ لكننا نقول لإخواننا صلِ على حضرة النبي مائة مرة:

فطبعا يمسك بالسبحة وهو راكب الأتوبيس !!! أو ماشي في الشارع ينظر لهذا الدكان !!! أو ذاك !!! ، أو ينظر لفلانة !!! وفلان !!! ، ويهذي اللسان بالصلاة على حضرة النبي !!!!!!!!!

لماذا أقول يهذي؟

لأنه يقول ! ولا يسمع ! ولا يفهم ما يقول !

هذه الصلاة بهذه الكيفية سيأخذ عليها أجرا وثواباً .. نعم .

لكن هل ستوصل إلى المراد؟

لا..

ما الذي يوصل إلى المراد يا أحباب؟

❁ أن أقعد في الليل قبل النوم، أو بين المغرب والعشاء، وأتجه للقبلة على وضوء، وأستحضر أن الحبيب أمامي.

وقد قال ذلك ﷺ:

{ ما من مسلمٍ يسلّم عليَّ إلا ردَّ الله روحي حتى أردَّ عليه السلام }[18]

يعني موجود ومشهود، وقال :

{ صلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني }[19]

وفي رواية أخرى :

{ فإني أستمع إلى صلاة المحبين عليَّ يومي الخميس والجمعة }

فيسمع بنفسه صلاة المحبين، بمعنى انه موجود ومشهود وحاضر مع أحبابه، لا يغيب عنهم.

❁ فعندما أستحضر هذه الصورة في أفق قلبي، وفي فؤادي، وسري، وأصلي على حضرة النبي، وأداوم على هذا الحال عدة ليالي فقط، سأنام مشغول البال بسيدنا رسول الله :

وإذا انشغل البال بشيء، ونام الإنسان .. فإنه يراه فى منامه.

❁ إذاً العبرة هنا ليست بهيئة الصلاة، ولا بكيفية الصلاة، ولا بعدد

[18] مسند أحمد بن حنبل والسنن الكبرى للبيهقي وحلة الأولياء عن أبي هريرة ﷺ.
[19] سنن أبي داود ومسند أحمد بن حنبل عن أبي هريرة ﷺ.

الصلاة، لكن العبرة: بالهيئة التي يستحضرها أو يكون عليها عنـد قيامـه بالصلاة على حضرة سيدنا رسول الله ﷺ.

❁ وهذا ما كان يداوم عليه العارفون لكي يروا رسول الله، فلـو داوم على هذا الحال سيراه في المنام.

فإذا دام على هذا الحال في اليقظة ..؟

يجد روحه قد انطلقت من العقال إلى عالم المثال !!

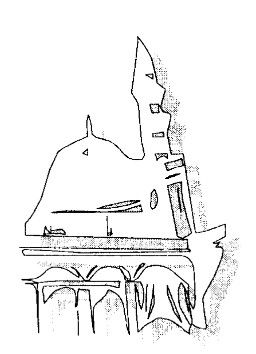
فيرى النبي ﷺ في أفق الصفاء لا بالخيال ....

ولكن في عالم المثال، وهو في اليقظة.

وكل هذا نتيجة عظيم الصفاء ...

ورفع كل حجاب، فيرى النبي ﷺ بغير نقاب ﷺ.

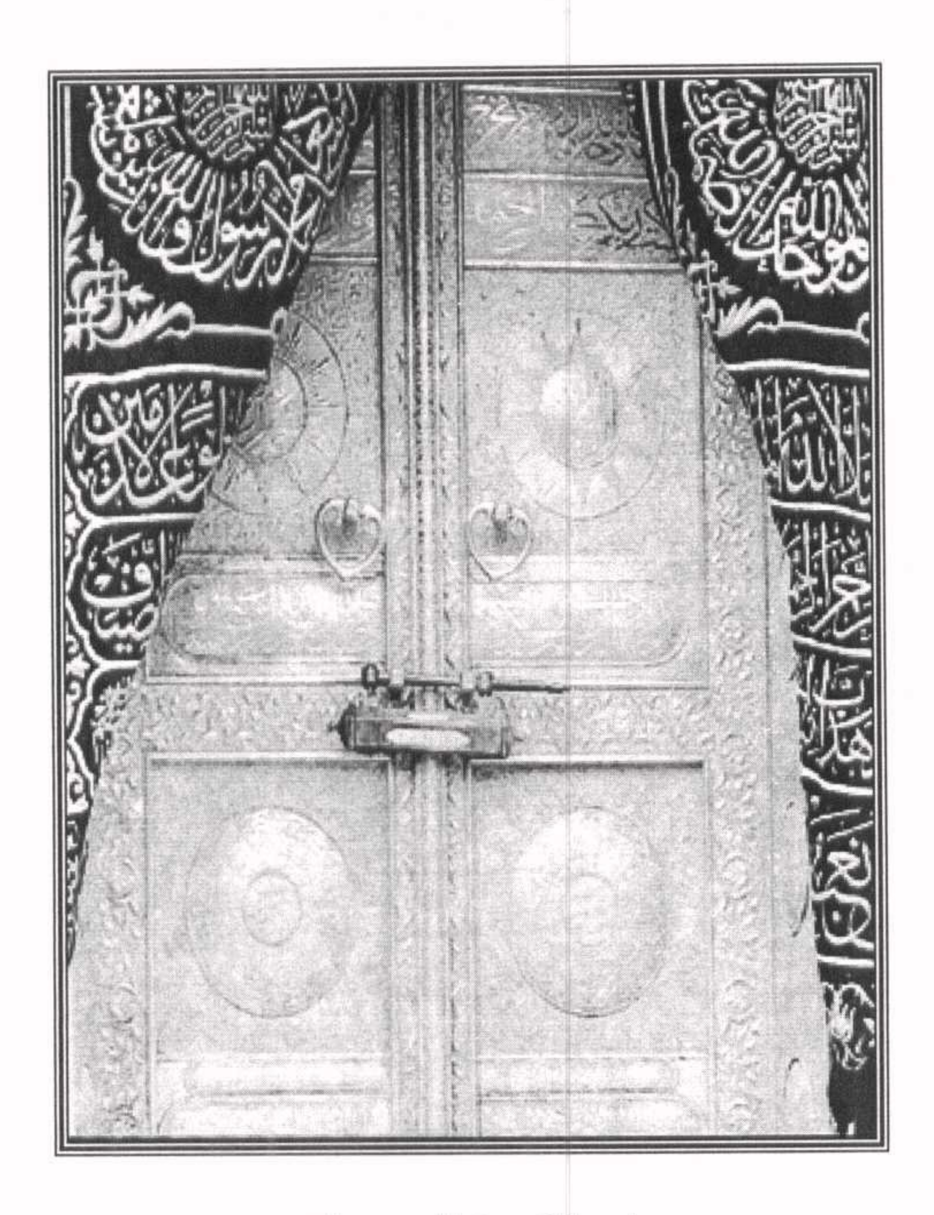
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



البَابُ الثَّامِنُ

جَمَالُ أَهْلِ الإِسْلامِ الْذِى يَجْذِبُ جميعَ الأَنَام

- سر إصلاح أحوال المسلمين
- الإسلام دين حياة
- ثُنائية الفرد
- المسلم يعامل الله
- إخلاص العمل لله
- رجال الصدق
- سر سعادة المسلمين
- سيناريو النور
- جمال الروح
- الأخلاق القرآنية
- منهج الصالحين في الدعوة
- قوّة التقوى



باب الكعبة المشرفة

سرُّ إصلاح أحوال المسلمين(*)

الحمد لله الذي تولانا بولايته، وسقانا من كأس عنايته، وجعلنـــا في الدنيا من خيار أحبته.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ...

شمس الحق المشرقة بنور هداه ... سبيل المقربين ..... وباب العارفين للفتح والشهود والتمكين، والمبعوث رحمة للخلق أجمعين في الدنيا ....

والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الدين ... صلى الله عليه وعلى آله الهادين المهديين وصحابته المرضيين ....

وكل من تبعه بخير وإحسان إلى يوم الدين. وعلينا معهم أجمعين، آمين آمين يا رب العالمين.

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين :

الحقيقة التي لا مرية فيها، والحق الذي لا شك فيه والقضية الـــتي لا تحتمل أمرين :

أن صلاح أحوال المسلمين أفـــراداً .. وأســـراً ... وجماعـــات ... ومجتـــمعات ... وشـــــعوبا ... ودولا ... ؛ لا يكون!.. ولن يكون ... إلا بالرجوع إلى أخلاق السيد الأمين المأمون ﷺ.

وأذكر في هذا المجال أن رجلاً فرنسياً – وقد حدث ذلك هذا العـــام

(*) كان هذا اللقاء في احتفالات المولد النبوي الشريف بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة وذلك يوم الجمعـــة الثاني والعشرين من أبريل ٢٠٠٥، الموافق الثالث عشر من شهر ربيع أول ١٤٢٦هـــ.

– هذا الرجل درس الإسلام في الكتب، واقتنع بالإسلام فأسلم.

وبعد أن عاش فترة على تعاليم الإسلام، فكر في زيارة بلاد المسلمين ليزيد في نظره اقتناعه وسيره على مبادئ هذا الدين.

فترل في بعض البلدان الإسلامية ... بلد من بلاد المغـــرب العـــربي، وبعد أن مكث في هذا البلد أسبوعاً واحداً حجز على أول طـــائرة عائـــداً لبلاده !!! فسألوه لم رجعت؟

قال: الحمد لله أنني أسلمت قبل أن أرى المسلمين.

لأنه لو رأى المسلمين وأحوالهم كان سيتردد في هذا القرار، فالإسلام حاجة...!! وأحوال المسلمين وأفعالهم حاجة ثانية...!!!.

الإسلام دين حياة

ما الذي حدث يا إخواني؟

من الممكن أن يكون حدوث هذا الموضوع نتيجة الفصام الموجود في الأمم الأوربية :

كانت الكنيسة هناك ضاغطة على الشعوب !!

ومحرمة حرية الرأي وحرية الفكر فخرجوا على الكنيسة ......

وقالوا الدين يبقى في الكنيسة...

لكن الحياة العامة ليس لها صلة بالكنيسة .... وظهرت العلمانية:

والعلمانية تعني أن الدين داخل الكنيسة فقط، لكن الزراعة والصناعة والتجارة والبيت والمصنع والمدرسة كل هذا ليس له صلة بالدين.

وطبعاً حاولوا أن يلقنونا هذه الأفكار، ولكن ديننا ليس هكذا:

لأن ديننا معنا في كل أحوالنا وكل أطوارنا، ديننا دين حياة، في كل شيء الإسلام موجود:

لا يوجد علاقة تبنى بين المسلم وغيره إلا والإسلام هو الذي نظمهـا وأسسها وقننها:

- علاقته مع زوجته.
- علاقته مع والده .. مع أمه ..
- مع أولاده ...، علاقته مع جيرانه.
- علاقته مع أجداده...، علاقته مع أحفاده...، علاقته مع أصهاره.
- علاقته مع التجار والصناع ...
- علاقته مع العلماء والمعلمين ...
- علاقته مع أولي الأمر والحكام ....
- ليس هناك أي علاقة للمسلم إلا وذكرها الله وبينها بتفصيل دقيق سيدنا رسول الله :

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ﴾ [٣٨ الأنعام].

هذا واضح بلا جدال .... فكيف صرنا إلى ما نحن فيه ؟؟؟ وكيـف أصبحنا بشخصيتين ... كيف أصبنا بهذا الحال الغريب ...

ثنائية الفرد

ما المشكلة إذن؟

إن المسلم في العصر الحاضر بدلاً من أن كان واحداً، أصـــبح اثنين..!! عمل لنفسه ثنائية.

المسلم داخل المسجد ... فهذا تجده مثل الملائكة !!!

وهو نفسه عندما يخرج من المسجد !!! تجده في صورة مغايرة تماماً :

- إما في صورة سبع يريد أن يأكل كل من في طريقه.
- أو في صورة وحش مفترس يريد افتراس كل من حوله ويسلبهم كل ماهم وكل ما يملكون.
- أو في صورة شيطان لا يريد لأحد من الناس أن يحب الآخر!!
- يريد أن يفرق بين هؤلاء ويوقع الشقاق والفتنة بين هؤلاء...!!

هل هذه صورة المسلم؟

كم وجه للمسلم يا رسول الله؟

قال: للمسلم وجه واحد..! إذاً الذي له وجه في المــسجد ! وآخــر خارج المسجد ؟!! قال: هذا شر الناس.

قال صلى الله عليه وسلم ... واسمعوا واعوا ....

{ شر الناس ذا الوجهين، الذي يلقى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه }[1].

[1] صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه .

المسلم يعامل الله

المسلم لا يتعامل مع الخلق ...

ولكنه يتعامل مع الله حتى وهو يتعامل مع خلق الله ...

وهو لا يريد أجراً ولا ثواباً ولا مكافأة إلا من الله ... لماذا ؟

لأنه مُوقّع العقد مع الله.

إذن يعامل الخلق بما يحبه الله وبما يرضى الله.

لكن لو عامل الخلق على هواه ! فقد نكث العهد الذي وقعــه مــع مولاه! وفرط في حق نفسه!...

كيف ؟ لأنه أخذ العهد على نفسه أن يعمل بما يحبه الله :

أين هذا العهد؟ فى قوله تعالى [٢٣ الأحزاب].

﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾

لقد عاهدنا ربنا على :

- الصدق حتى في المزاح.
- وعلى الأمانة حتى مع الأعداء.
- وعلى المروءة حتى مع الخصماء.
- وعلى كل الصفات الكريمة التي جاء بها أمير الأنبياء وسيد الرسل والأمناء ﷺ.
- وهذا عهد عاهدنا الله عليه بمجرد قولنا لا إله إلا الله.

– وبها نكون التزمنا بكل ما تحويه هذه الكلمة عند الله وفي كتـــاب الله وفي هدي رسول الله ﷺ.

وقال لنا ربنا بصريح العبارة على لسان الصادق الوعد الأمين:

{ من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة، فقالوا يا رسول الله وما إخلاصه ؟! قال: إخلاصها أن تحجزه عن محارم الله ﷻ }[٢]

أي تمنعه عن كل شيء حرمه الله، الغيبة، النميمة، الكـــذب، قـــول الزور، شهادة الزور، السب، واللعن والشتم والفجور.

إذن كيف يمشي المسلم؟

كحبيب الله ومصطفاه:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٢١ الأحزاب].

من الذي يريد أن يكون معه يا إخواني؟

...كلنا...

ماذا يفعل ليكون مثله ؟

كما أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق كذلك المؤمن كما قال ﷺ :

{ ليس المؤمن بسباب ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء }[٣]

هي نفس الصورة.

---

[٢] المعجم الأوسط للطبراني عن زيد بن أرقم.

[٣] سنن الترمذي – الجامع الصحيح عن عبدالله بنص {ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء}.

وكما أنه ﷺ لا يجزي بالسيئة السيئة ولكـــن يعفـــو ويـــصفح ....، فكذلك المؤمن :

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [٤٠ الشورى].

كذلك المؤمن يجب أن يكون أهلاً للعفو وأهلاً للصفح، طلباً لمرضاة الله ورضاء الله جلَّ في علاه، لا يريد شيئاً من خلق الله.

۞ لأن المؤمن – وهذه نقطة جوهرية لو وضعها المؤمن في أفق قلبه سيستريح – أن أتعامل في الكون كله مع الله....

وأين الخلق ؟

هؤلاء الخلق: تجارة أربح عليهم الثواب والأجر من الله.

لو أني وضعت الخلق أنداداً وأريد أن أعاملهم كما يعاملوني، إذاً فقد جعلتهم شركاء لله ﷻ...

كما شتمني أشتمه !!!، كما ضربني لازم أضربه !!! لا .. لا..

لكنني أتعامل مع الله.

فإذا عفوت عن فلان يكون لله .. وليس لأجل فلان.

إذا أكرمت فلانا فلأجل الله ...

إذا عاملت فلانا معاملة طيبة فمن أجل كلام الله ....، ومن أجل هدي حبيب الله ومصطفاه ....

وهذا هو همُّ المؤمنين ونوايا الصالحين وخواطر المقربين، عنـــد كـــل عمل يعملونه في هذه الحياة، لأنه لا يوجد عمل يعملونه إلا لله.

۞ الذي ضيع الناس في كل زمان ومكان:

أن الإنسان منا ينسى هذا الموضوع ... ينسى أنه عامل عقـــد مـــع حضرة الله، إن شغله كله...لله...

أين شغله ؟

هو يعتقد أن شغله الذي مع الله في الجامع .. الركعتين وتلاوة القرآن والصيام ..!!! اعتقد أن هذا فقط هو الذي لله ..!!

ولكن مع الخلق يناطح فيهم ويناطحوه، ويضربهم ويضربوه، ويقول أصل الحديث بيقول: (من لم يتذأب أكلته الذئاب) وهذا حديث إبليس !! وليس حديث النبي ﷺ.، قال تعالى فى [١١٢ الأنعام] :

﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ ﴾

و مثلها ما يقولون: (اللي يحتاجه البيت يحرم على الجـــامع)، وهـــي كذلك من أحاديث إبليس !!!

وانتشرت في هذا الزمان أحاديث كثيرة لإبليس: (اتـــق شـــر مـــن أحسنت إليه)..!!!، قائل هذا الكلام بتر الجزء الثاني كالـــذي قـــال: ولا تقربوا الصلاة، لأن الصالحين قالوا:

"اتقِ شر من أحسنت إليه، بدوام الإحسان إليه "

فلا تمنع الإحسان، لأنك مع من تتعامل ؟....مع الله !!!!!

وهناك فارق كبير بين من يتعامل في كل أحواله مع الله..، وبين الذي أنزل نفسه لكي يتعامل مع خلق الله !!!!، وعمل نفسه مثلهم !!! فالنـــاس الصالحون مع من يتعاملون ؟ مع من ؟؟؟؟؟

يتعاملون .... مع الله ....

❁ ألقي درسا مثل هذا...ليس لإعجاب الحاضرين !!

ولا لكي ينشر في الجرائد، ولا لكي تسجل المسجلات والإذاعات، لا ولكن لكي ينال رضا الله جلَّ في علاه ..

لأنه يبلغ رسالة الله .

وهذه نيته.

ولذلك سجلوا أو لم يسجلوا، لا يلزمه...! لأنه يبلغ رسالة الله :

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [٣٩ الأحزاب]

في أي مكان...وفي أي زمان....هي لله... ماذا قالوا؟..!!

ليس له شأن بهذا الموضوع، ولماذا يعود أذنيه على الثنـــاء، وعلـــى حسن الثناء، هو لا يريد أن يسمع الثناء إلا من الله !.وهذا هو الثناء الذي له أجر عظيم، لكن ثناء الخلق ماذا يعمل به؟

ومن الممكن أن يكون وراءه غرور وشرور لأن الذي يـــثني عليـــه الـــناس يضرونه، لأنه يغتر، إذاً ماذا تريد ؟

أريد أن أسمع من الله وقد أنزل الله في كتابه ثناءاً على الذين يحسنون العمل طلباً لمرضاة الله جلَّ في علاه.

❁ لماذا أربي ابني ؟......لله.

لأن الله كلفني بهذه الأمانة وحملني هذه الرسالة.

ولذلك فأنا غير منتظر منه شكراً ولا مكافأة، ولا حتى هدية يهـــديها لي بعد تخرجه وزواجه، لأن الذي أعمل له أجري مضمون عنده...!!

فلماذا أنتظر من غيره ؟..لأن هذا من شهوات النفس..

يقول مثلاً:

أنا ربيتك وعلمتك ولم يطمر فيك ؟ ولم ترد لي شيء مما عملته لك..؟ في هذه الحالة لو أردت الرد فقد فسخت العقد الذي بينك وبين الله..!!

لكن المؤمن يتعامل مع الله !!!!

وهذه نقطة جوهرية حاسمة في القضية الإيمانية.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [٩٧ النحل]

الحياة الطيبة هنا:

أنه لا ينتظر شيئا من أحد، لأنه يتعامل مع الواحد الأحد.......

❁ ما الذي يتعبنا كلنا ؟

أنا عملت لفلان ولم يرد الجميل...

أنا سعيت مع فلان والآخر حتى لم يقل لي كلمة متشكرين..

فإذا كنت عملت من أجل أن تسمع كلمة متشكرين ...

فهذه أجرتك، والنبي ﷺ قال مجملا كل هذه المعانى ومبينـــا أســـاس الأعمال كلها والنوايا ولماذا يقبل الله العمل ؟ أو لماذا يرد الله الأعمال على على أصحابها أو فاعليها ؟ غسمعوا له ﷺ :

{ قال الله تعالى: من عمل لي عملا أشرك فيه غيري تركته له،أنا أغنى الأغنياء عن الشرك}[٤].

---

[٤] صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة.

إخلاص العمل لله

فالذي يعمل وينتظر الجزاء من الخلق فقد فسخ عقده مع الحق فــلا ينتظر الأجر من الحق ﷻ.

إذاً ماذا يريد الحق ؟

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [٥ البينة]

في كل عمل.

۞ حتى لو اشتريت لزوجتي أكله حلوة، لا أقول أنا اشتريت لــك كذا لأنني اشتريتها لله، وليس لخاطر زوجتي لأنني أريد أجرها من أين ؟

{ إن المرء ليؤجر حتى في اللقمة يضعها فى في زوجته }°

لو أحضر لها هذه اللقمة وقال لها "أنا جبت لك الذي تريدينه لكــي تسكتي" تكون هذه أجرته .. وخلاص !!

ولكنها لله ولذلك لا أشتري لها إلا ما يرضي الله، ولــيس لي شــأن برضاها، رضاء الله أولا ....، ثم رضاها لأنني أتعامل مع الله.

وحتى فى قضائه لشهوته مع أهله ، فتمام الحديث السابق:

{ وإن فى بضع أحدكم لصدقه}

وهذه أحوال المؤمنين فكل أعمالهم عبادة ....

۞ وكان هناك رجل من الصالحين يتعامل بهذه الأحــوال، فكــان

°صحيح البخاري ومسلم عن عامر بن سعد عن أبيه.

يقول رضى الله عنه :

"إني لا أخرج من بيتي إلا إذا استحضرت سبعين نية في خروجي كلها لله عز وجل" وكلما زادت النوايا زاد الأجر والثواب.

وعلى هذا الحال يا إخواني كان أصحاب رسول الله ﷺ، دربهم على هذا الحال العظيم.

۞ حتى أنهم كانوا يفتحون مدينة في فارس اسمها نهاوند وكانــت آخر معاقل الملوك في فارس وكان حولها حصن كبير وظلــوا شــهرين لا يستطيعون فتح المدينة بسبب هذا الحصن:

وفي يوم من الأيام واحد من صحابة رسول الله مشغول البال لا يريد أن يأخذ نوط الشجاعة، ولا قلادة النيل ولكن يريد أن يأخذ نوط الشجاعة من ربِّ العالمين والوسام من سيد الأولين والآخرين.

فقام ولبس ملابسه، وذهب لجماعة من الجنود لا يعرفونه، وقال لهم: سترفعونني وترمونني من فوق السور وسط الأعداء بجوار الباب ...، سألوه من أنت ؟

قال لهم: ليس لكم شأن !!

فحملوه ورموه من فوق السور في وسط الأعـــداء وانهالـــت عليـــه السيوف، فأخذ يضرب بالسيف من حوله !! حتى قتلهم بإعانة من الله !!

ثم فتح فتحة في الباب !! ونادى على المسلمين !! فدخلوا من الباب، وفتح الله هذا الحصن وهذا البلد ببركة هذا الرجل.

فأعلن القائد العام عن مكافأة عظيمة لهذا الرجل، وكان لا يعرفه.فلم يظهر الرجل ولم يبلغ عنه أحد !!!

وظل القائد على هذا الحال ثلاثة أيام.

وفي النهاية ذهب له الرجل قائلاً له أنا أعرف الرجل الـــذي فـــتح الحصن، وهو يريد أن يقابلك، ولكن له ثلاثة شروط :

قال: وما شروطه؟ قال:

الشرط الأول أن لا تعرف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بشخصه.

والشرط الثاني: أن لا تعطيه أجراً لأنه يريد أجره من الله ﷻ.

الشرط الثالث: أن لا تشهره بين الجيش.

فقال القائد: موافق على كل هذه الشروط، من هذا الرجل؟

فقال: أنا !.

وتركه وخرج.

رجال الصدق

من هؤلاء الرجال ؟

هم:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

رجال كان همهم كله إرضاء الواحد المتعال ﷻ لأنهم عرفـــوا مـــن البداية أن العقد مع الله، العقد الذي يخصنا كلنا ما هو؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ ﴾ [١١١ التوبة]

من الذي اشترى؟....الله ،..... ممن ؟

﴿ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

الذين كانوا في عصر النبي فقط أم كلهم..؟

المؤمنون كلهم إلى يوم القيامة،.....وماذا اشترى منهم؟

﴿ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾

وبم يعني الله " بأنفسهم " ؟

يعني حركاهم .... وسكناهم ... وأعمالهم .... كلها لله، وماهم ... يتصرفون فيه علي وفق كتاب الله وكما يأمر شرع الله، طلباً لمرضاة الله.ولا يتصرف فيه قائلاً: مالي وأنا حر فيه، لو كان يخصك ؟ لماذا يحاسبك عليه الله إذاً ؟ ولكنه يقول لك:

- تطلبه كما أمر الله.
- وتنفقه كما وضح شرع الله.
- ونيتك من قبل ومن بعد طلباً لمرضاة الله.
- ويجب أن تجلب هذا المال من طريق أحله الله.
- وتنفقه في باب وافق عليه شرع الله.
- وتشكر الله عليه، وتؤدى حقه تعالى فيه.
- ولا تنسى أبداً أنك إنما مستخلف فيه، وأن مالكه على الحقيقة هو الله جلَّ فى علاه.

❁ تريد أن ترضي زوجتك وأولادك، فتلك مصيبة المصائب :

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[٨٨-٨٩ الشعراء].

هل سأقول يا أولادي لقد اشتريت لكم عمارتين، ووضعت لكم في البنك الرصيد الفلاني، هل سينفعوني هناك؟

هل هناك منهم من يعطيني ويتبرع بحسنة لو احتجتها؟

أبداً لن يحدث :

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة عبس].

وهو بذاته سيقول في هذا اليوم:

يا رب خذ لي بحقي من هذا الرجل.!!

حقك في ماذا يا بني ؟..يقول :

لقد جمع لنا هذا المال من حرام، ووزعه على غير هدى خير الأنام.، قال ﷺ: في حديث ما معناه :

{ يشتكي أهل الرجل الرجل يوم القيامة، يقولون: يا ربنا خذ لنا بحقنا من هذا، كان يطعمنا من الحرام ولم يعلمنا أحكام ديننا}

إذن الإنسان الكيس الفطن الذي يتعامل مع الرحمن، وهذا هو العقد:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾

وما الثمن؟ ﴿ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾

وكيف يسددون المال والنفس ؟

﴿ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾

وهل هذا العقد مسجل؟

نعم ، ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾

وأين مكاتب التوثيق؟

﴿ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [سورة التوبة].

﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الفتح].

❁ هذا العهد وهذا العقد كلنا أعلناه عندما قلنا:

لا إله إلا الله محمد رسول الله

وهذا معناه:

أنني .. ونفسي .. ومالي .. ووقتي .. وأنفاسي .. وعمري .. وحياتي كلها لله، بمعنى أن أمشي فيها كلها على شرع الله ونيتي فيها كلــها طلبــا لمرضاة الله جلّ في علاه...وهذا هو عقد الصالحين.

والذي ينسى هذه الحكاية ؟؟؟ يضيع !! ويتوه في هذه الحياة الــدنيا، ويعرض نفسه للحساب !!!، يقول له الله تعالى:

لقد عاهدتنا على كذا وكذا ولم تنفذ.

❁ ولذلك فإن الإمام عبد الوهاب الشعراني ﷺ وأرضاه:

وكان من أئمة الصالحين عمل كتابا عظيما تفصيلا لهذا العهد سمَّـــاه "العهود المحمدية "، فالعهد مجمل، فكتب مذكرة تفصيلية لأنه محامي قانوني في مكتب الحضرة المحمدية.

وكذلك كل الصالحين:

كل واحد منهم يأخذ طلبات الناس في زمانه وعصره، ولكنهم جميعاً يعملون في الحضرة المحمدية، فالرجل كتب مذكرة تفصيلية لهـــذا العهـــد، وعندما تقرأه تجده يقول :

أخذ علينا العهد من الله ومن رسول الله بأن نصدق في أقوالنـــا وألا نكذب حتى في لهونا ومزاحنا، ويأتي بالنصوص التي تؤيد هذا الكلام، أخذ علينا العهد من رسول الله ﷺ أن نكون أمناء في بيعنـــا وشـــرائنا وأقوالنـــا وأحوالنا، حتى مع غير الأمناء من خلق الله حولنا لقول نبينا:

{ أدِ الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك }[6].

ويسرد كل البنود التي يجب أن تنفذها، فيجب أن تعرف ما البنـــود التي وراء هذا العهد ؟

وهي الشريعة المحمدية، الأخلاق القرآنية، والمعـــاملات الإســـلامية، والأحوال المحمدية، والتي نحن مأمورون بأن ننفذها في حياتنا الدنيوية طلبـــاً لمرضاة الله جلَّ في علاه.

وهذا هو الفارق بين عباد الله الذين يعملون لله وبين الذين وحـــلوا في هذه الدنيا، ونسوا ما عاهدوا الله عليه، فأصبحوا يعملون لأنفـــسهم أو

---

[6] رواه الإمام الشافعي في السنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرة.

لخلق الله، أو يراءون أو ينافقون أو يخادعون أو يغدرون !!!

ولم كل هذا ؟!!!!

لأنه نسي أنه يتعامل مع الله.

ولذلك ربنا ذكَّرهم، قال لهم:

إنك إن ظننت أنك تخدع فلاناً هذا في البيع، أو في الـــشراء، أو في الكلام، فانك لا تخدعه .... لأنك متعاقد معي أنا :

﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [٩ البقرة].

بدأ بالله أولاً: ... إذاً من يخدع مؤمناً فإنه يخدع الله، وكذلك مـــن يخون أو يكذب أو ينافق.

فخل الخلق خلفك ثم عامل ... بصدق ذات مولاك العلية

افرض إنهم خائنين، ليس لي شأن بهم... لأنني أوفي بالعهـــد الـــذي أخذته على نفسي لله ﷻ، لأنني أتعامل مع الله وليس خلق الله.

فكل شأن للمؤمن مع غير الله يعاتب فيها من الله:

لأنه أخذ العهد من الله أن يكون صورة محبوبة بين خلـــق الله، ممثلـــة لحبيب الله ومصطفاه، يمشي بشرع الله مزيناً في كل أحواله وسلوكه بزينة:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩ الفتح].

الذي يراه يتذكر أحوال حضرة النبي: بهديه وأخلاقه وسمته ومعاملاته فيشد الخلق إلى الله.

لكننا حالياً نقول أننا مع الله فقط في الجامع :

وعند خروجنا من الجامع نضع على وجوهنا: صورة إبلـــيس..!، أو

يضع صورة أسد..! أو صورة كبش..! أو قرد..! أو غيره...! :

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ [٦٧ يس].

وهذه هي الصورة التي تظهر في هذا الكون، ويقع في هذه المشكلة عباد الله وسيتعرضوا بسببها للحساب العسير يوم لقاء الله جلَّ في علاه، لأن المؤمن يكون ظاهره كباطنه أو باطنه خير من ظاهره، لكن ظاهره أفضل من باطنه هذا هو المنافق.

۞ المؤمن حاجة من اثنين :

- إما ظاهره كباطنه.
- وإما باطنه خير من ظاهره.
- ظاهره كباطنه كما كان سيدنا أبو بكر,
- أو باطنه خير من ظاهره كما كان سيدنا عمر.

عندما قال سيدنا أبو بكر:

لقد اخترت لكم عمر، فقالوا: لا إنه شديد، فرد عليهم بأن عمر بداخله رحمة تامة ولكنكم لا ترون إلا الظاهر، وقد حدث فقد كان رحمة تامة بجميع الأمة رضوان الله ﷻ عليه لأن باطنه كان خيراً من ظاهره.

۞ وهذه هي أحوال المؤمنين، نسأل الله ﷻ :

أن يطهرنا ظاهراً وباطناً من خصال المنافقين، وأن يجملنا بأخلاق المؤمنين وأحوال سيد الأولين والآخرين، وأن يكرمنا في الدنيا بالعلو والتمكين والعمل بشرع رب العالمين،

وأن يجعلنا يوم القيامة من عباده الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن يحفظنا من الغرور وحب الظهور الذي يقصم الظهور.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سرُّ سعادة المسلمين

الحمد لله على ما أنعم وأكرم، والصلاة والسلام على نبينا المكرم وحبيبنا المعظم سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال ﷺ ما معناه:

{ إنما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد بها أولها }

يعنى أن وسيلة السعادة التي تم بها الفتح ونشر الإسلام وعلو راية الحق بين الأنام في البداية؛ .... هي كذلك ستكون نفس الوسيلة في النهاية.

ولو تدبرنا مسرح الدنيا وما يحدث عليه من أحداث هو نفس السيناريو الذي حدث في البداية مع رسول العناية ﷺ:

كان العالم في البداية تسيطر عليه القوة الغاشمة والجبروت والصولجان وهما دولتا الفرس والروم، وهو الوقت الذي ظهرت فيه مسرحية "محمد رسول الله والذين معه".وكذلك في وقتنا هذا تُعاد نفس الأحداث أيضاً :

حيث يسيطر على العالم الآن الظلم والقوة والجبروت !!، ويتبارى فيه الإنسان بغلظة وبقسوة أكثر من الحيوان، وهذه حقيقة حيث لا يتورع

بنو الإنسان الآن عن استخدام أسلحة دمار تدمر كيان الإنسان وصحة الإنسان، حتى ولو لم يكن ذلك في ميدان القتال.

وهذا الحاصل الآن ... مثال الأسلحة الفتاكة التي تفتك بالأجساد والأمراض والأوبئة والحرب البيولوجية، هل ذلك يحدث في ميدان القتال؟ أم معنا الآن يا إخواني ؟

موجودة وعلى أشدها، حتى الناس الذين بيننا وبينهم هدنة فالهدنة معهم في الأسلحة القتالية لكنهم يصدرون لنا يوميا أسلحة بيولوجية إذا لم يكن في الدجاج ففي النحل أو المبيدات الزراعية حتى في الأدوية،

ويحدث ذلك من الدول التي تتدعي أنها أعلى الأمم في القيم.

وفي الشهر الماضي أعلنوا (وكالات الأنباء فى ألمانيا) أن ألمانيا وهي من الدول التي يقال عنها أنها ذات التزام بالقيم، أعلنوا أن الأدوية التي تصدرها للدول الأفريقية والآسيوية، غير ملتزمة فيها بالمواصفات القياسية، بل فيها مواد تدميرية ويبيعونها بهذه الكيفية على الرغم من وثوق الناس فيهم على أنهم شعب يراعي القيم.

وكذلك نفس الوضع إلى وقت قريب:

دولتان يتحكمان في العالم:

- وهما دولة كفرية مثل الدولة الماجوسية.
- ودولة كتابية مثل الروم.
- وتلك الدولتان كانتا موجودتان في عصر الحضرة المحمدية، أليس نفس السيناريو؟

فالأحداث تعيد نفسها، و الدور الباقى على الأمة المحمدية.

سيناريو النور

كيف نظهر على هذا المسرح؟ وكيف ننفذ سيناريو " محمد رســول الله والذين معه " ؟

ونحن الموعودون بتنفيذ قول رب العالمين [٣٣ التوبة]:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾

هل ظهر على الدين كله؟ .. إلى وقتنا هذا لم يظهر بعد.

لكن سيظهر في عصرنا على الدين كله، لأنها آية ولابد أن تتحقق.

هل تحققت في عصر رسول الله ؟ .. لا، وكـــان موجـــود المجـــوس واليهود والمسيحيون، لكن لازم يظهر على الدين كله قال ﷺ :

{ إذا كان آخر الزمان أفنى الله جميع الملل والنحل، ولم يبقَ إلا الإسلام }[٧].

وهذا وعد موعود من الله !! ولابد أن يظهر الله الإسلام على الدين كله، وبم يظهر ؟

كما ظهر في البداية :

وهل ظهروا في البداية: بقوة السلاح وبقوة العتاد وبقوة المال وقـــوة الصناعات وقوة الأجسام؟......أبداً...!!

---

[٧] سنن أبي داود عن أبي هريرة في نزول المسيح (فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويـــضع الجزيـــة ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام

إذن ما السلاح الفعال الأقوى من كل هذه الأسلحة والــذي فــتح القلوب؟.......الأخلاق !!! هي السلاح الذي تسلح بــه المــسلمون !!! وفتحوا به جميع الأفاق !!!!

وهذه التكنولوجيا غير موجودة إلا عندهم، فالأعــداء معهــم ذرة ومعهم سفن فضاء ومعهم صواريخ، ومعهم كل التكنولوجيا المادية، لكــن ليس معهم الأخلاق الإلهية !!!!!

وهذه يتوقف عليها فتح القلوب وتأهيلها للأحوال الإيمانية، بماذا فتح سيدنا رسول الله والذين معه ؟ ... هذا هو السلاح يا إخواني...!!

ولذلك فإن كل مسلم مطالب في هذه الأيام بــأن يأخــذ دوره في مراكز التأهيل المحمدية، على الأخلاق الإسلامية والإيمانية، لماذا ياإخوانى؟ لكي يظهر جمال الدين الإلهي.

وبعض إخواننا الغافلين فكروا أن إظهار جمال الدين بأن يتمــسكوا بظاهر رسول الله فيطلق اللحية ويطول العدبة، ويمسك الــسواك ويلــبس الملابس الباكستانية، ويظن بذلك أنه سيظهر جمال الــدين...!!. ولكنــهم وفقط ... إنما يظهرون المسوح.

جمال الروح

❀ والذي سيظهر جمال الدين هي الروح الساكنة تحت هذا اللباس، وليس اللبس، ربنا لما وصفه والناس أقبلت عليه، بماذا أقبلت عليه؟

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ ... اللين ....

﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ [١٥٩ آل عمران].

كلها مكارم ... وأخلاق ....

ليس لها شأن بالزي ... ولا بالمظهر ... ولا بالمنظر ....

المهم :

- جمال المخبر...
- المهم حسن الجوهر...
- المهم ســــلامة الصدور...
- وصفـــــــــاء القلوب...
- والأخـــــلاق العظيمة مع الخلق......

وهذه لا تكون إلا إذا عامل الإنسان الله في خلقه، ولا يعامل النـــاس لأنهم أهل لهذه الأخلاق أو أهل لهذه المعاملات.

وإنما أنا أعامل الناس حتى ولو كانوا غير أهل لهذه الأخلاق، لأنـــي أعامل حضرة الله ... فأعاملهم بالكمال والجمال الذي أمر بـــه الله طلبـــاً لمرضاة الله جل في علاه قال ﷺ:

{ اصنع المعروف في أهله وغير أهله، قالوا: يا رسول الله نصنع المعروف في أهله فكيف نصنعه في غير أهله؟ قال: إذا لم يكن أهلاً للمعروف فكن أنت أهلا له }[8]

لأن دينك ونبيك وقرآنك وأخلاق إلهك على هذه الشاكلة.

فادعوا إلى هذا الأمر .... فمن يجهل عليك فاعرض عنـــه، لأن ربي

[8] تخريج الإحياء عن علي بن أبي طالب.

أمرني وليس لأنني عاجز عن الرد عليه .... فأنــا أقــدر أن أرد الــصاع صاعين كما يقولون !! ، ولكنه قال لي:

﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف]

إذا أساء إليَّ فأنا أقدر أن أدفع السيئة بسيئتين، لكنه قال: لا !!

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [٣٤ فصلت].

فأنا أطيع الأمر طلباً لمرضاة الله، وليس خوفاً من جبروت أحد مــن عباد الله، لأن المؤمن لا يخاف إلا الله...

وهكذا الأخلاق الإلهية التي أمرني بها الله، ألتزم بها مع خلق الله طلباً لمرضاة الله وإظهاراً لجمال دين الله.

فهذا الرجل يخونني... قال... لا شأن لك به :

{ أدِ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك }[9]

❁ كما ترون يا إخواني: أين نحن من أخلاق المؤمنين الأولين ؟!!

نحن نشبههم فقط في صف الصفوف، وتطويل الصلاة وتلاوة القرآن من الحناجر واللسان، لكن بيان القرآن في أفعال وســلوكيات وأخــلاق الإنسان.....هذا هو الأهم...!!.

حفظنا النص وغير قادرين على تمثيله على المسرح والمسرح هو الدنيا

❁ وماذا يعرض هذا المسرح؟

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩ الفتح]

---

[9] رواه الإمام الشافعي ف السنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرة.

فيه من يقوم بدور الصدِّيق ...

وفيه من يمثل دور ذي النورين ...

وفيه من يؤدي دور علي بن أبي طالب ....

وكل واحد له دور من هؤلاء الرجال .. ، بم يكون أداء الدور ؟

بالتشبه بأحواله وأخلاقه وسلوكياته وأفعاله :

❁ لو ظهرت هذه الكتيبة إخواني وأخواتي على مسرح الـــدنيا ... من في الوجود كله سيتخلف عن دين الله ؟

لن يتخلف أحد !!!!

لأن العالم شرقاً وغرباً يفتقر إلى القيم الإيمانية والأخلاق الإسلامية.

❁ مثلاً المركز الإسلامي في فرنسا:

ذهبت سيدة فرنسية بولدها، ليعلن إسلامه في احتفاليـــة للمركـــز الإسلامي، فسألوها هل أنت مسلمة ؟ .. قالت: لا..، إذاً ...لماذا تـــدفعين ابنك للإسلام ؟ قالت:

حتى يعاملني إذا كبرت، كما يعامل أبناء المغاربة أمهاتهم ولا يعاملني كمعاملة أبناء الفرنسيين لأمهاتهم، فأبناء المغاربة لا يضعون آبائهم وأمهاتهم في دور المسنيين لأنهم فوق الجميع والكل يسعى لخدمتـــهم ويـــسترضيهم ويطلب دعائهم.

فتريد ابنها على هذه الشاكلة، لكن الفرنـــسيين فـــوراً علـــى دار المسنيين!!! بلا تفكير ...

مثلاً يقال له: أبوك مات، فيتصل بوكالة دفن الموتى، قائلاً لهم: هناك فلان الفلاني مات في المكان الفلاني، جهزوه وادفنوه وخـــذوا التكـــاليف

وانتهى الموضوع !!!

فلا يحضر جنازة من مات له، وهذا ما يحدث هناك، فلا يتزاورون ولا مودة ولا رحمة هناك !!!

المودة..والرحمة...عندنا هنا

❁ التلفزيون الألماني :

عمل برامج يدعو فيها الألمان للتعامل أسرياً كما يتعامل المـــسلمون، وذلك منذ خمسة سنوات تقريباً.وبحجة أن هذا التعامل يزيد مـــن المناعـــة، ويعمل على التوافق النفسي والتوازن الشخصي، ويعفـــى الإنـــسان مـــن الأمراض النفسية والعصبية، لأنه يجد الناس تسأل عنه ويخففون عنه ..

يجد المشاركة الوجدانية في حل جميع مشاكله، في شهامة المسلم لكن هناك هل سيجد من يسمع له..؟! ..لا وقت لهذا... عندك مثلاً مشكلة... اذهب لطبيب نفساني، والطبيب الساعة بكذا، انتـــهت الـــساعة ولم يـــتم استكمال حكاية المشكلة ...

إذاً تريد ساعة أخرى ؟..ادفع أولا..!.

لكن هنا، يجد طبيب نفساني في المسجد أو غيره مجاناً، ومـــستعد أن يجلس معه يوم بليلة لكي يسمع المشكلة، ويـــسعى معـــه في حـــل هـــذه المشكلة،... أو إخوانه يسمعون منه ويريدون أن يساعدوه ... ويـــذهبون معه ...من أين يا إخواني ؟

❁ هذه قيم الإسلام وأخلاق الإسلام التي نشرها دين الإسلام ونبي الإسلام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وهذا هو السلاح الفعال ... ولكن ويالالأسف !!فنحن نحاول هدمه

والقضاء عليه بدون أن ندري!

ونحن طبعاً ليس لنا كيان إلا بهذا ...

لأن القوة التكنولوجية نحن ضعاف فيها، والقوة الحربية أضعف، ولا يعطون لنا منها إلا ما يريدون ...

فمثلاً السلاح الذي استخدموه في الحرب العالمية، وأصـــبحوا غـــير محتاجين له هو الذي يعطونه لنا....لكن السلاح الحيوي الفعال هل يعطـــوه لنا؟...لا...!!.. وبحجة أن المعسكر الآخر سيأخذه ويفك شفرته.

الأخلاق القرآنية

إذن ما الذي نكون به لنا كيان في العالم؟

هو سلاح الأخلاق القرآنية والأخلاق النبوية.

نتعامل بها فيما بيننا، وإذا نظر العالم إلى شأننا سيعجب بأحوالنا فيرون أن هذا هو الدين الحق، ويدخلون في دين الله ﷻ أفواجا.

❁ وعلى سبيل المثال سيدنا الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه:

كان صورة مصغرة من سيدنا رسول الله في خلقه وفي هديه، لأنهم لو كانوا صورة منه في العبادات لأصبحوا صورة واحدة، ولكنهم كانوا غـــير ذلك فكل واحد منهم له ميدان في المجاهدات :

منهم من اختار قيام الليل ومنهم من اختار الصيام ومنهم من اختـــار العلم ومنهم من اختار تلاوة القرآن، كل واحد اخذ بابـــا مـــن أبـــواب

العبادات، لكنهم جميعا كانوا صورة مجملة بالأخلاق المحمدية وليس في ذلك خلاف، مثلا: نختلف في الوقوف في الصلاة هل أضع يدي على القلب ؟أم على الوسط ؟أم أسدلها وأتركها تماما؟ لكن لن نختلف في :

الصدق والكذب ؟ هل في هذا خلاف ؟

لأن الصدق هو الصدق، والكذب هو الكذب.

لن نختلف في الأمانة والخيانة.

لن نختلف في الكرم والبخل.هناك أشياء لا فصال فيها.

وهي التي كان عليها المعول والتي بها رفعة الدرجات والتي بها نيـــل الكرامات والتي بها دخول معية سيد السادات ﷺ.

❁ فسيدنا الإمام علي ﷺ :

كان له حق عند يهودي، أو غير مسلم على اخـــتلاف الروايـــات، واشتكاه إلى القاضي ، فاستدعى القاضي الاثنان.

ونادى القاضي وقال يا أبا الحسن: اجلس هنا بجواري، فتغير وجـــه الإمام علي، وظهر عليه الغضب ورفض الامتثال لهذا الأمر، رفض قبـــول هذه المكرمة من القاضي، وبعد انتهاء الجلسة وحكم القاضي، عاتبه القاضي قائلا: يا أبا الحسن لم رأيت على وجهك الغضب؟

قال: لأنك كنيتني وناديته باسمه ولم يتبين الحق لي بعد !!، وطلبت مني أن أجلس وتركته واقفا ولم يظهر الحق لي بعد..! .. سيدنا علـــي لا يريـــد المحاباة في دين الله.

وهذه هي القيم التي وصاهم بها سيدنا رسول الله ﷺ :

﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾[٥٤ المائدة].

❁ ومثل هذه المواقف كثيرة... !!!

لو درسنا هذه السير المنيرة نجد أن إقبال الناس على أهـل الإسـلام وعلى قادة الإسلام وعلى جند الإسلام ودخولهم في دين الإسلام :

- إنما كان لما رأوه في الفاتحين من الأخلاق الإسلامية العظيمة، ليس لقوتهم أو لقوة عتادهم وسلاحهم.
- وإنما لأخلاقهم التي هي صورة لما طالبهم به كتاب الله، وبما كان عليه رسول الله ﷺ وعلى هذه الشاكلة كان الصالحون والعارفون في كل زمان ومكان.

منهج الصالحين فى الدعوة

كيف نجح الصالحون في دعوة الخلق إلى الله؟

بتأسيهم بسيدنا رسول الله ﷺ في أخلاقه الكريمة في معاملتهم الخلـق طلبا لمرضاة الله جل في علاه.

لكن العبادات فهي لنفسه ... ما لهؤلاء الخلق بهذه العبادة...

واحد قاعد في خلوة في جبل يعبد الله أربعين أو خمسين سـنه، هـل سينتفع به الخلق؟ ... لا لكن الذي سيشد الخلق إلى الله من؟

لازم يكون عايش بينهم ... ولا يتأثر بشحهم .... ولا بخلـهم .... ولا أنانيتهم ... ولا عدوانيتهم .... ولا فطرهم المهملة ... بل يتمسك بفطرته النقية ... وأخلاقه القرآنية .... وسط هذه الحياة المادية، وهذا هو

المهم وهو الإعجاز في هذا العصر.

والإعجاز هو أن تجد الناس تتنافس على المادة كأنهم مــسعورين !!، وتجد إنسانا عفوف النفس تعرض عليه المادة ولكن من طريق فيــه شــبهة فيرفضها ويأباها !!!!

لأنه لا يريد إلا ما أباحه شرع الله، في حين أن حياته قد تحتــاج إلى بعض هذه المادة: لأنه يعاني من ضوائق في هذه الحياة، لكنه يصر علــى ألا يأخذ إلا ما يبيحه شرع الله، وما أباحه له سيدنا ومولانــا رســول الله..!، وهذا هو الإعجاز

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [٢٧٣البقرة]

وهو في استطاعته أن يزيف أو يجور أو يظلم أو يرتــشي أو يغــش ويصبح مليارديرا وليس مليونيرا ... لكن خشية الله .... وتقوى الله ..... تمنعه من التشبه بهذه الكلاب التي قال فيها رسول الله :

{ **الدنيا جيفة وطلابها كلاب** }[10]

الدنيا في هذا الحديث:

هي الدنيا المذمومة التي تُطلب على غير مرضاة الله والــتي تُطلــب بسخط الله وعلى غير شرع الله ومنهج الله، ولذلك فطلابها كلاب.لكــن الدنيا التي يطلبها المؤمن ليرضي الله .....

---

(١٠) أخرجه أبي نعيم في الحلية وابن أبي شيبة عن يوسف بن أسباط عن علي وذكره السيوطي في الدرر وأبو الــشيخ في تفسيره عن علي بلفظ الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر علي مخالطة الكلاب

فقد قال فيها حبيب الله ومصطفاه :

{ نعم المال الصالح للرجل الصالح }١١

لأنه يستعين به على طاعة الله ... وعلى تقوى الله ... وعلى إعــلاء كلمة الله جل في علاه، وهذا هو الإعجاز.

❁ الناس التي على هذه الشاكلة.. فرد واحد منهم .. من هــؤلاء يلفت أنظار آلاف مؤلفة ويجعلهم يديرون الفكر ما الذي جعله كذلك ؟

لماذا لا يريد رشوة ؟

لماذا لا يكذب ؟ لماذا لا يخون ؟؟؟

لماذا لا يفعل كذا وكذا مِن الذي يفعله جماعات غسيل الأموال ؟

فيفاجئوا بأن الذي يمنعه دينه، أي دين هذا ؟

يدرسوا الدين ويدعوهم هذا إلى الدخول في دين الله أفواجا.

❁ هل عرفتم يا إخواني الآن كيف سينتشر الدين بهـــذه الطريقـــة وبهذه الكيفية ... هل اتضح هذا الآن ...؟؟

لكن إذا كان المسلمون يسارعون مــع غـــير المـــسلمين في الغـــش والتدليس للحصول على هذا المال الخسيس، فهل يلتفتون إلى هذا الدين؟

كلا !!!!!!

بل إنهم ربما يستهزئوا ويقولون: ما الذي يفعله بصلاته ؟ وما الــذي يفعله بصيامه ؟ وما الذي يفعله بحجه ؟

سيقولون هذا الكلام، لكن ما الذي يستوقفهم؟

---

(١١) رواه الألباني عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

أنه مع شدة الحاجة إلا أن الله ﷻ حفظه وجعله لا يقبل إلا ما أباحه حقا، وصرفا شرع الله لأنه يريد أن ينال رضى الله وأن يكون مع حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

❁ هذه الأخلاق هي التي يجب أن نأخذ فيها دورات تأهيلية:

لأن دورات الكمبيوتر مهما نأخذها فلن نغزو بها قلوب العالم وننشر فيها الإسلام، لأننا أيضا سنكون لهم تلامذة مهما تقدمنا.

والأسلحة الحربية ما زلنا فيها في الروضة، أو أقل، وغيرها وغيرهـــا من الأمور الصناعية والزراعية، وغيرها، لكن الذي سيعجزهم هي :

هذه الأخلاق ...

يجدوا الإنسان المسلم رغم فاقته ورغم فقـــره ...، إلا أن تمـــسكه بشرع ربه وبهدي حبيبه ...

يجعله يستحيل عليه أن يرتكب شيئا يغضب الله ...

أو نهى عنه كتاب الله، أو يخالف فيه حبيب الله ومصطفاه.

قوة التقوى

وإذا بحثت في الأولين والآخرين :

ستجد أن هذا هو السبب الأعظم في دخول الناس في ديـــن الله ﷻ أفواجا، والمجال يعجز عن جمع ولو حتى بعض الروايات في هـــذا الـــسبيل، وأريد من بعض إخواني الذين يدرسون أن يجمعوا هذه النماذج في كتـــب

طيبة، لكي يراها ويقرأها إخوانهم المسلمون.

هذه النماذج العطرة الموجودة في تاريخنا المعطر بعطر النبوة الذي فيه هذه الأمثال العظيمة وهذه النماذج القويمة التي كانت تجعل الملوك يخضعون على أعتاب المسلمين، ويسلمون بأن في هذا الدين قوة لا تلين هـــي الـــتي تجذبهم إلى هذا الدين قوة خشية الله وتقوى الله والأخلاق التي أهلهم لها الله وحفزهم عليها سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

من ضمن هذه الغرائب قصة واحدة أختم بها حديثي:

❁ رجل أسره الروم من المسلمين:

وكان رجلا قوي الشكيمة .. شديد المراس ..، فعرض عليه ملـــك الروم أن يترك الإسلام ... ويتنصَّر ... ويزوِّجه إبنته ... بل ويـــشاركه في ملكه، فأبى..! وهو عنده أسير!!. فتعجب الملك أيما عجب ...

فجاء ببعض الأسرى وجاء بزيت وأغلاه، ووضعهم في الزيت المغلي أمامه، وقال له : إن لم تفعل ما أمرتك به فسيكون مصيرك كهؤلاء !!!

ولكن هذا أيضا لم يؤثر فيه ....

فعجب القوم من قوة الإيمان التي يتسلح بها هؤلاء الناس ... وكلما رأى شيئاً من هذه الفظائع زادته قوَّة وإيماناً..!!

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [١٧٣-١٧٤ آل عمران]

هذه الآية .... هى السرُّ ...

فلما رأى الملك إصراره، فالقلوب بيد ملك الملوك يقلبها كيف يشاء، أودع الله في قلبه أنه لا يجب عليه أن يقتل مثل هذا الرجل.

وقد ألهمه الله فقال له:

إني لا أريد قتلك على أن تسجد لي، قال:

عندنا لا ينبغي السجود إلا لله، فلما أبى السجود، قال: على أن تقبِّل يدي، قال: أقبِّل يدك على شرط أن تطلق جميع أسرى المسلمين لديك، قال الملك: لك ذلك، فقبَّل يده على أن يطلق أسرى المسلمين !!. فأطلقهم الملك جميعاً ، وأطلقه معهم إعجاباً بثباته وسُمُوِّ أخلاقه !!

فلما وصل إلى المدينة المنورة، وكان عمر بن الخطاب ﷺ قد سمع بهذه القصة ... فأمسك يده وقبَّلها أمام الحاضرين، وقال :

أقبِّل اليد التي أطلقت أسرى المسلمين.

۞ وهذا هو السلاح الفعال الذي يؤثر في هؤلاء القوم، ويجعل الفكر يدور ..!!.. والقلب يتحير..!!

أهؤلاء رجال ؟

أم ملائكة ؟

أم أُناس غير عاديين بتمسكهم بهذه الأخلاق وهذه الأوصاف ؟

فما أحوج شباب الإسلام لهذه القصص ... !! ...

لأن شبابنا انغمس في الحياة المادية لأقصى درجة، وفي سبيل الحياة المادية يتحلل من القيم الإسلامية والأخلاق القرآنية !!وهذه هي الطامة الكبرى .... !! ... فى جميع بلاد الإسلام ... ولاحول ولاقوة إلابالله .....

وهذا هو سبب كل مشاكلنا في كل وادي وفي كل مجتمع.

ولا مخرج لنا :

إلا إذا رجعنا إلى مبدأنا الأول:

إلى أخلاق الإسلام.

أخلاق الإســــلام ...

أخلاق الإســـــلام ... لا مخرج إلا بذلك ....

والذي سيتمسك بهذه الأخلاق :

يبشره الله بأن الله سيعلي شأنه على من ســـواه، وســـيبلغه منـــاه، وسيجعله عزيزاً في الدنيا، وسعيداً يوم لقاء الله

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨ المنافقون].

أسأل الله تعالى ....

أن يعيـــد لنــــا بفـــضله وعــــزِّه مجــــدنا ...،

وأن يعلـــى علـــى جميـــع النـــاس والخلـــق شـــأننا .... ،

وأن يبصِّر شبابنا وبناتنا وأبنائنا فى جميع بلاد الإسلام بحقائق ديننـــا .... ،

وأن يجعل عليه إقبالنا وفيه جدِّنا ونـــشاطنا ولـــه جميـــع قـــصودنا ... ،

وصـــلى الله علـــى ســـيدنا محمـــد وعلـــى آلـــه وصـــحبه وســـلم.

البَابُ التَّاسِعُ

عِبَادَاتُ الْمُقَرَّبِــين

- شُـــغْلُ المؤمن
- المشي على الصراط
- حُـقـوق العبـــاد
- كرامات الصالحين وأخلاقهم
- نوافـــل أهـــل القـــرب
- العبـــــــادات الرافعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ ﴾

آية ٦٩ سورة النساء

[*]بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على الرحمة العظمى لجميع الأكوان ..

سيدنا محمد وآله أهل القرب والتدان ، وأصحابه الذين اجتمعوا معه في معية النور والعرفان ...

صلى الله عليه، وعلى كل من تبع هديه، ومشى على دربه إلى أن ينتهي الزمان ويفنى المكان ...

ونسأل الله عزَّ شأنه أن يجعلنا جميعاً من رفقائه وجيرانه في دار الرضوان، وأن يجعلنا في الآخرة من الذين يقول فيهم الرحمن:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام].

شغل المؤمن

الحقيقة يا إخواني، أن الأمر الذي ينبغي أن يشغل بال كل مؤمن هو ما هو مقبل عليه بعد خروجه من هذه الحياة ؟ وماذا جهَّز لنفسه؟ وبأى وجه سيلقى وجه مولاه !!! وماذا أعد له للقاء حضرة الله ؟

وكما بينت فإن الخطأ العام الذي يقع فيه كثير من الأنام في زماننا هذا ... وأعود فأكرر ...: أنه الواحد منا يظن أنه أدى ما عليه لله ... إذا قام بأداء العبادات التي فرضها الله عليه

(*) كان هذا الدرس بمقر جمعية الدعوة إلى الله بالجفف مركز ديرب نجم شرقية يوم ٣٠ من مايو ٢٠٠٥م الموافق ١٢ من ربيع الآخر ١٤٢٦هـ.

مع أن العبادات مهما بلغ الإنسان من رفعة قدر !! وعلو مقـــام في أدائها !!! فإن الله ﷻ يقول في شأنها :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الجاثية].

ويروي الإمام أبو عبد الله القرطبي في تذكرته :

أن عيسى روح الله ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، مرَّ على مقبرة، فطلب منه الحواريون أن ينادي على صاحب هذه المقبرة؛ فنادى عليه؛ فإذا بالرجل وقد شاب شعره، ويتجلجل في العذاب فقال الرجل: ياروح الله أقامت القيامة؟، قال: لا! ما هذا العذاب الذي أنت فيه وما سببه؟ قال: يا روح الله إني ما عصيت الله ﷻ قط، وكنت أقوم بما أوجبه عليَّ الله، وأديم عليه إلا أني كنت أعمل ح طاباً، (يعنى يحمل حطباً للناس على جمل) ، **وفي يوم أخذت عوداً من الحطب سلَّكت به أسناني بدون أن أستأذن من صاحبه !! ، فأنا أتجلجل به في العذاب منذ سبعة آلاف سنة.**

فأين نذهب نحن إذن؟ .. ومع هذا المثال الذى ذكرنا .. فإن الله فوق هذا كله .. رءووف رحيم وحليم وكريم وإن كان هو الجبار العظيم ..

وربما نحن لا نلقى بالاً لمثل هذه القصة التى ذكرنا فـــالرب ﷻ رؤف ورحيم وكريم..، لكن من الجبار يا إخواني؟..أنا، وأنت..!! ، وقـــد قال الشيخ أبو اليزيد البسطامي رضي الله عنه عبارة لا يدريها إلا أهل الإشارة قال:

" بطشي أشد من بطش الله ﷻ "، فقالوا: كيف؟ قال: فإن بطش

الله معه رحمة الله، لكن بطش الإنسان لا رحمة فيه، فإنه جبار، وعندما يمس الله الإنسان بألم أو مرض يرسل معه اللطف وبعده الرحمة والمسرة والهنـاء، لكن هل هناك أشد بطشاً من الإنسان.. أو جبروت أقوى من الإنسان..!!؟

لا يوجد، فما الذي يجعلك تستجدي وتستعطف أي إنسان؟

❁ هذه هي المشكلة :

لأن الإنسان الحكيم هو الذي يخرج من الدنيا، وليس عليه مظلمـة لأحد من عباد الله، لأن الله جلَّ في علاه بعد أن يقف أهل الموقف كما ورد في الحديث الصحيح ، أن الله ينادى يوم القيامة على من شاء من خلقه:

{ يا عبادي لقد استمعت إليكم طويلاً فاستمعوا إليَّ اليوم، أما ما كان بيني وبينكم فقد وهبته لكم، وأما ما كان بينكم وبين بعضكم فتواهبوه فيما بينكم، ثم ادخلوا الجنة برحمتي }.

فمن الذي سيعطلنا يا حضرات ؟

العباد ... العباد ... العباد ...

فاحذروا ياعباد الله من أكل حقوق العباد ...

لأن الذى عليه حق من حقوق العباد فلابد من أن يمشي على جسور جهنم فوق الصراط ... ماذا أنت فاعل عندها ؟؟؟ أفيقوا ياعباد الله !!!

أما من ليس عليه حق للعباد ... فياهناه .. فيخرج من هنا فوراً إلى..

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المطففين].

والثاني لابد أن يمرَّ على الصراط فوق ظهر جهنم ... ياألله !!

المشي على الصراط

والصراط كما ورد في الروايات الصحيحة، وسنرويها بالمعنى:

{ سبعة جسور على جهنم .. كلُّ جسر منها ألف عام صعوداً، وألف عام إستواءاً، وألف عام هبوطاً }

أى واحد وعشرون ألف سنة لعبور السبعة جسور .. ولأن اليـــوم مقداره خمسون ألف سنة من أيامنا ... فاحسبوها أنتم !!!!!!:

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾(٤) [المعارج].

لأن ما نطمع فيه كلنا أن ندخل في بشرى النبي التي يقول لنا فيها:

{ يمر يوم القيامة على المؤمن كصلاة ركعتين خفيفتين }[1]

فلم هذه الجسور ؟ فالحديث الآخر ما معناه قال :

{من حافظ على الوضوء وعلى إسباغه يمر على الجسر الأول كالبرق الخاطف، والصلاة يمر على الثاني كالبرق الخاطف، والصيام يمر على الثالث كالبرق الخاطف، والزكاة يمر على الرابع كالبرق الخاطف، والحج يمر على الخامس كالبرق الخاطف، والسادس من برَّ والديه يمر عليه كالبرق الخاطف، والسابع حقوق العباد، وعامة سقوط أهل الموقف منه }

من على فوق هذا الجسرفإن الظالمين سيقعوا في جهنم ..!!

---

[1] رواه احمد وأبو يعلي وابن حبان والبيهقي عن أبي سعد

لأن جسر جهنم أرق من الشعرة..!!، وأحد من السيف..!!، كما ورد فى الحديث هذا بالنسبة للناس العاديين، أما بالنسبة للمؤمنين قال ﷺ:

{ يتسع الصراط للمؤمن حتى يصير عرضه مسيرة ثلاثة أيام }[٢]

لكن بالنسبة للمحسن، والموقن لا يلزم ذلك، لأنه سيمر كالبرق الخاطف.لكن الجماعة الوجهاء والعظماء سيتفرجون على هذه الجسور من شرفات القصور !!! ، وليس لهم شأن بهذا، والآية التي تقول:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [٧١ مريم]

"منكم" من هنا للتبعيض..، بعضكم وليس كلكم..، يعني لم يقل كلكم واردها، ولكن بعضكم لأن هؤلاء تنطبق عليهم الآية التي تقول:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنبياء]

فعامة سقوط أهل الموقف في جهنم من حقوق العباد :

لذلك فإن الإنسان الذي يريد أن ينال ولاية الله .. يعنى يتولاه مولاه، يلزمه أن يخلّص نفسه من عباد الله ....من هنا .. وليس هناك ..

❁ وقد سُأل الإمام على رضي الله عنه وكرم الله وجهه: من هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال:

هم قوم أنفسهم عفيفة، وحاجاتهم خفيفة .. (أي ليس لهم طمع في أحد ولا يريدون شيئاً من أحد) .. **شرورهم مأمونة** .. (لا يأتي من جهتهم شر لأحد لا باللسان ولا بالفعل) ..**وألسنتهم مخزونة** .. (فلا تتحرك ألسنتهم إلا بما يحب الرحمن عز وجل).

[٢] عن عبد الله ذكر جعفر بن سليمان، قال: سمعت مالك بن دينار يسأل علي بن زيد وهو يبكي فقال: يا أبا الحسن، كم بلغك أن ولي الله يحبس على الصراط ؟ قال كقدر رجل في صلاة مكتوبة أتم ركوعها وسجودها، قال: وهل بلغك أن الصراط يتسع لأولياء الله؟ قال: نعم. " من كتاب الأولياء لابن أبي الدنيا"

فلا يصح لواحد من عباد الرحمن أن يكون لسانه شغال في الهـــذيان !فالذي يهذي كثيراً اعلم أنه بعيد عن حضرة العلي الكبير ﷻ، لماذا ؟ لأن أهل المعية الإلهية هم أهل الحكمة...!.

❁ من الذي سيأخذ ميراث الحكمة؟...يقول سيدنا رسول الله :

{إذا رأيتم الرجل أوتي صمتاً وزهداً فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة}[3]

لأن الذي سيتكلم كثيراً سيخطئ كثيراً، والورع في الأكل والشرب والمطعم والملبس سهل أو ممكن ، لكن الورع الأشد على الـــنفس .. هـــو الورع في الكلام!، وهذا ما يحرص عليه عباد الله الذين يريدون ولايـــة الله، والورع في المنطق!، أي قبل أن ينطق بالكلمة.. لازم يوزنها [(٢٤) الحج]:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾

ولذلك كما قال الإمام على عن المؤمن :" **شرورهم مأمونة، وألسنتهم مخزونة، الناس منهم في راحة،وأنفسهم منهم في عناء** "

فالجهاد والعناء مع النفس؛ لأنها هي التي تريد الجهاد.

حقوق العباد

ولو لاحظنا كتاب الله، فقد ترك المسلمين يصلوا كما يريدون بعـــد تعليمهم، لكن الحاجة التي حاسبهم عليها وأعطاهم فيها درسا عظيما...

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا

[3] رواه الألباني عن أبي هريرة وأبو خلاد.

سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [النور].

إياكم أن يغلط أحد منكم مثل هذه الغلطة أبداً..!.. لماذا؟

لأن الله في هذه الحالة لن يعفو!!. كيف ؟

لأن الذي لا بد أن يعفو هو صاحبها، فربنا لأنـــه رحـــيم وحنّـــان وشفوق وعطوف قال: ما بينك وبيني سأسامح فيه، ولكن ما بينك وبـــين العباد .... ماذا يعمل فيه حضرة الله ؟

لا بد أن يعطي لصاحب الحق حقه ..ممن ؟ منك أنت !!...

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت]

❁ وهذا مربط الفرس.

فإياك أن تضع رقبتك تحت سلطان أو هيمنة رجل من الخلق، أو امرأة من الخلق، لماذا ؟ .. لأنه أو لأنها ستتحكم فيك، فماذا تفعل ؟

وإذا كان الحج أو رمضان .. يغفر للإنسان فقد قال الأئمة :

{{ إلا حقوق العباد }}

❁ يعني مثلاً :

آخذ من مجموعة من الناس من كل واحد خمسين ألف جنيـــه لكـــي أسفرهم للخارج، ثم آخذ مبلغاً من هذا المال وأحج به ويكـــون الـــذنب خلص وغفره الله...هل ينفع ذلك؟...لا.. من الذي سيعطي هؤلاء الناس حقوقهم ؟ لازم حقوق العباد....

وهذا ما يحرص عليه الصالحون أجمعون.

كرامات الصالحين وأخلاقهم

ولذلك عندما تسمع عن الكرامات التي أكـرم الله بهـا الأوليـاء والصالحين تجدها كلها في هذا الباب :

❁ على سبيل المثال .. الإمام أبو حنيفة النعمان ﷺ وأرضاه:

كثرت في بيته الفئران ولم يكن هناك سمٌّ في هذا الوقت، فأشار عليه أحد أصدقائه قائلاً: أحضر لك قطة لكي تأكل هذه الفئران؟ أو تطردها ..

فقال أبو حنيفة ﷺ لصديقه: لا ..، فقال: لماذا ياإمام؟

فقال: إن الفئران عندما تشعر بالقطة ستفرُّ إلى بيت الجيران، فأكون قد آذيت جيرانى! .. فهو خائف من إيذاء الجيران! بماذا؟ بالجرذان ..

هكذا يكون الورع.

❁ أما في عصرنا هذا فيقول الواحد منا :

المهم نفسي !!! لا شأن لي بجاري ولا بغيره !!!

والإسلام غير ذلك لأنه يبغي أن يصلح الإنسان ما بينه وبين الخلـق فيصطفيه الحق ويرقيه ويرفعه ويحبوه ويدنيه، لكن سيقول طالما بيني وبين الله عمار، فليس لي شأن بالخلق ! ليس هذا من الإسلام... لأن الإسلام :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾..وبعد ذلك ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ فالتقوى بعد أن تصلحوا بينكم وبين الناس:

﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١٠ الحجرات].

نوافل أهل القرب

ولذلك عندما ننتقل إلى باب النوافل :

عندنا ثلاثة أصناف من النوافل:

النوافل النافعة، النوافل الدافعة، والنوافل الرافعة.

قد يقول بعض العلماء: من أين جئت بهذا التقسيم ؟

قد ألهمني به الله، واضبطوه على كتاب الله وعلى سنة رسول الله.:.

❁ فالنوافل النافعة:

هي التي ينتفع بها الإنسان بحسنات تنفعه يوم الميقات أو تـــضيف إلى رصيده في الجنات.

❁ والدافعة :

هي التي يدفع الله ﷻ بها عنه في الدنيا آفات كنوافل قيام الليل، صيام الأيام النفلية، تلاوة القرآن، الأذكار، التسبيح والتـــهليل، والحمـــد لـــه والحوقلة، والصلاة على حضرة النبي...

وكل هذه النوافل هل هناك أفضل من هذه النوافل؟

طبعاً !!!

هناك نوافل نسميها في الدين فرائض، وهي نوافل !!

طلب العلم فريضة أم نافلة؟..فريضة.

فهل هناك نافلة مما سبق ذكره تساوي طلب العلم ؟ كلا!

الصلاة على الجنازة: هل هي فرضٌ ؟ أم سنَّة ؟..فرض كفاية.

إذن الفرض مقدم على السنة، لأنها حق المسلم: فهل ينفع أن أمكث أقرأ القرآن ؟ ولا أصلي على أخي الميت ؟..لا.

هل ينفع أن أصلي نوافل ؟ وأترك جنازة أخي الميت ؟.. لا.

لأنها فريضة، صحيح أنهم قالوا: إنها فرض كفاية، إن أداها الـــبعض سقطت عن الآخرين، لكن هل هي فريضة ؟ أم سنَّة ؟..فريضة.

والفريضة مقدمة على السنة.

❁ كذلك مثلها بالضبط الإصلاح بين المسلمين:

والحديث الشريف يقول فيها:

{ألا أنبئكم بما هو خير لكم من الصلاة والصيام والزكاة والحج (النوافل) **قالوا: وما هو يا رسول الله ؟ قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين}**[4]

❁ إذاً هذه النافلة اسمها نافلة رافعة.لأنها ترفع الإنسان.

والأولى نسميها نافعة، أو دافعة: إذا دفعت عني مكروه تكون دافعة، أو نافعة يكتب لي أجر وثواب.. لكن هذه رافعة: ترفع الإنسان في المقـــام والقدر، لأنه ينال بها وراثة النبوة إن كان طلب العلم، فهذا عمل الأنبياء، أو الصلح والإصلاح: وهذا شغل الأنبياء أيضاً ..!

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ [٨٨ هود].

فأعمال الأنبياء فرائض رافعة ... وأعمـــال العابـــدين والزاهـــدين

[4] رواه الألباني في صحيح الجامع عن أبي الدرداء ﷺ.

والطائعين فهي سنن دافعة أو نافعة، على حسب ما يفتح الله ﷻ به علينـــا فالذي يحرص على هذه النوافل هم الصالحون.

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

كان معتكفاً في مسجد سيدنا رسول الله ﷺ والاعتكاف نحن نعــرف أجره قال ﷺ في شأنه:

{ من اعتكف قدر فواق ناقة – يعني قدر وقت حلب الناقة– كتب له أجر حجتين وعمرتين تامتين مقبولتين }[٥]

وقد يقدر وقت حلب الناقة بعشر دقائق تقريباً ويأخذ فيهم كل هذا الأجر، ولذلك فقد علمنا الإمام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه قال:

وقت دخولك المسجد تصلي ركعــتين تحيــة المــسجد، وتنــوي الاعتكاف، لكي تأخذ هذا الأجر بشرط ألا تتكلم مع من على يمينـــك أو مع من على شمالك، لا تتكلم إلا مع من يقول للشيء كن فيكون: تناجيــه بكلامه أو تتملق إليه بإنعامه أو تجالسه بذكره وهكـــذا، لكــن ســتجلس وتتكلم مع خلق الله في الدنيا والمعايش وتقول: أنا معتكف.. لا يجوز.

والاعتكاف في مسجد رسول الله أعظم أجــراً وأكــبر في القــدر والثواب، فجاء لسيدنا عبد الله بن عباس وهو معتكف رجل وقال له :

يا بن عم النبي إن لي حاجة، هي أن تشفع لي عنــد فــلان لقــضاء مصلحة، وبعد أن كلمه، قال: سمعاً وطاعة.مع أن الرجل عندما كلمه كان يقصد أن ينيب عنه أي أحد لقضاء هذه المصلحة، لعلمه باعتكافه ولكــن سيدنا عبد الله بن عباس خرج بنفسه فقال الرجل: أنسيت أنك معتكف ؟

---

[٥] رواه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال: أعلم !، ولكني سمعت صاحب هذا القبر يقول :

{ من مشى في حاجة أخيه المسلم قضيت أم لم تقضَ؛
كتبت له عبادة ستين سنة }[6]

فأين أجد هذا الأجر ؟ فهذه هي العبادة الرافعة، والحديث الآخر:

{من مشى في حاجة أخيه المؤمن ابتغاء وجه الله كنت واقفاً عند ميزانه فإن رجحت كفة حسناته وإلا شفعت له}[7]

فهذه العبادات الرافعة لا يقدر أن يحيط بأجرها وثوابها أحد.

❁ مثل العلم، ومثل الصلح، فأما بالنسبة للعلم فقد ورد فى الأثر :

{مجلس علم وإن قلَّ خير من عبادة سبعين سنة ليلها قيام ونهارها صيام}

فاليوم كما ترون كم مجلس قضيناه...مجلس قبل صلاة الجمعة.. ، والخطبة الأولى مجلس ...، والخطبة الثانية مجلس ...، وقد سن الرسول السكتة بين الخطبتين لكي تكون مجلسين ...، وبعد الصلاة مجلس .. ، ولو ذهبت لمترلك وطالعت كتاباً من كتب العلم كذلك يكون مجلساً ...، فأين الأجر والثواب الذي سيحصله العباد ويوازي ذلك؟ ..لا يوجد.ولو طالعت كتاباً في الصباح فقد قال ﷺ :

{لأن تغدو فتقرأ باباً من أبواب العلم، خير لك من أن تصلي مائة ركعة }[8]

لأن العلم هو الذي سيصحح العبادة، لتكون عبادة على خير، وعبادة على حق.

---

[6] عن أنس بن مالك رضى الله عنه وأرضاه في المطالب العالية { من مشى إلى حاجة أخيه المسلم كتب الله تعالى له بكل خطوة يخطوها حسنة إلى أن يرجع من حيث فارقه، فإن قضيت حاجته خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب}

[7] حلة الأولياء عن عبد الله بن عمر ﷺ.

[8] سنن أبو ماجة عن أبي ذر الغفاري ﷺ.

فمتى يدخل الشيطان للإنسان؟

إما وقت النسيان.. وإما في الموضوع الذي يجهل فيه الإنسان الحكم الشرعي .. لكن لو أن الإنسان يعرف الحكم الشرعي ويذكر الله.. هل يقدر الشيطان أن يدخل عليه؟ لا.. فهو يــدخل مــن هــاتين الناحيتين إذا كان ناسياً، أو إذا كان جاهلاً لا يعرف الحكم الشرعي، ولذلك فالذي يجعل الإنسان في أمان من الشيطان هو العلم :

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [٦٥ الإسراء]

من هؤلاء؟..هم من....:

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف]

لأن من يعلمهم هو الرحمن ..، فكيف يدخل الشيطان ؟ وحتى عندما يريد الشيطان أن يدخل، فاللمبة الحمراء التي ركبها الــرحمن في القلــب والجنان تضيء...قال تعالى [﴿٢٠١﴾الأعراف]:

﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾

العبادات الرافعة

فهذه هي العبادات الرافعة، التي ترفع الإنسان لأنها تجعله على منهج الأنبياء والرسل، ومنهج الأنبياء والمرسلين هو العلم، الحكمة، الصلح بــين الناس، السعي في مصالح الخلق، وهي وظيفة الأنبياء.

❁ لكن الذي سيجلس في خلوة أو في حجرة في جبل ويتعبـــد لله فكيف ينتفع به الناس ؟

فعبادته على قدره، واسمه عابد، والله أعلم بما في نواياه.فإذا دخلـــه مكروب الغرور، سيظن أنه أحسن من كل الناس، فيـــضيع...!.. ألـــيس كذلك؟ .. وإذا أصيب بفطر العجب، وأعجب بنفسه: ضاع أيضاً.

لكن الأفراد القائمين بمهام الأنبياء ... ولأنها عبادات مع الخلق، فلا يشعر ولا يحس بها، ويهيأ له أنه لم يعمل شيئا، ويمكن في آخر اليوم يكون مهموماً يقول لنفسه: أنا اليوم لم أقرأ القرآن، ولم أسبح أو أذكـــر الله لأن أعماله مع الخلق ولهم، ليست منه على بال أنها عبادات رافعات.

❁ لكن ما الذي يلفت النفس؟

هذه العبادات الظاهرات.:

أنا صليت اليوم مائة ركعة، أنا ختمت القرآن في يوم وليلـــة، لأنهـــا عملية واضحة للنفس: فعندما تظهر في مرآة النفس، تطغى النفس وتصاب بالتيه والفخر والعجب، وتصاب بالكبرياء وأمراض أخرى كثيرة.

لكن.الذي يعمل مع الخلق ولهم هذه الأعمال، لا يلقى لها بالاً ولكنها العبادة التي ترفع الإنسان إلى :

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [٦٩النساء].

❁ ولذلك كان أصحاب رسول الله على نفس المنهاج، وقد بـــين سيدنا رسول الله هذه الحقيقة قائلاً لهم..:

{ ما فضلكم أبو بكر بكثير صلاة ولا كثير صيام ولكن بشيء وقر في صدره }[9]

❁ كيف وصل سيدنا عمر إلى الجلاء البصري والفراسة النورانية ؟ وما الأذكار التي كان يذكرها ؟ وكل اسم كان يذكره كم ألف مرة لكي يصل للجلاء البصري ؟

أنه وهو على المنبر، يرى جيش المسلمين في بلاد فارس هـــل كـــان جالساً في خلوة ؟ هل كان معه سبحة ألفية ؟ ماذا كان يعمل إذاً ؟

❁ كان مهتماً بمصالح الرعية.... كيف كان يقوم الليل ؟

في تفقد أحوال الرعية، كان يمشي وعندما يجد امرأة في حالة وضع ؛ يأتي بزوجته ويحضر الدقيق والسمن ويحمله على كتفيه ويعمل لها العصيدة، وزوجته هي التي تولدها.

❁ يجد جماعة أخرى قائمة على حراسة بضاعتها، فيتطوع قائلاً لهم سأحرس البضاعة لتأخذوا قسطاً من النوم، وهكذا كان قيامه.

❁ ماذا كان قرآنه؟ :

قضاء مصالح الخلق... كم مرة كان يختم القرآن في اليوم والليلة؟ .. إنه حتى في رمضان، لم يكن لديه وقت ليصلي التراويح...:

لقد كلف أبي بن كعب يصلي بهم، وهو في مصالح الرعية لأنه يـــرى أن هذه هي العبادة الأصلية التي بها الوراثة النبوية للحضرة المحمدية.

❁ وكذلك عثمان ماذا كانت عبادته؟

كانت التجارة للمسلمين، يأتي بالبضاعة التي يحتاجون إليها لكـــي لا

---

[9] رواه ابن القيم

يحتكرها أحد ويرفع عليهم الأسعار ويزايد عليهم في الأثمان ليقضى علـى السوق السوداء، فعندما يجد أن السلع الغذائية شحت في السوق يُخـرج كل ما عنده لفقراء المسلمين مجاناً.وهذه كانت بضاعته.

ولذلك دعا سيدنا رسول الله ﷺ لهؤلاء القوم ... لأهم شـاركوه في عبادته ... ، وورثوه في بضاعته، وعاونوه في تبليغ شريعة الله في كل أرجاء هذه البسيطة ...

لكنك اليوم عندما تقفل عليك الباب وتذكر الله مائة ألف مرة فماذا يستفيد منك الناس؟

❁ ❁ وليس معنى ذلك أنى أكرِّه الناس فى هذه العبادات، وأقول أنها حرام أو محذورة وممنوعة، ولكني أقول أن هناك أولويات !!!

ما العبادة الأوْلَى ؟

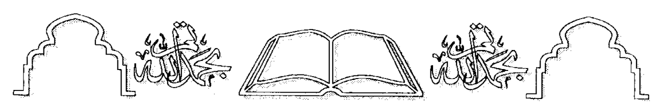
أن أسعى في مصالح الخلق، كأن أسعى في الصلح بين الناس، أو أتعلم وأعلم الناس،.....: وهذه هي العبادات التي ورثها لنا سيدنا رسـول الله، وهي العبادات الرافعة لمن أراد أن يرفعه الله : [١١المجادلة]

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾

وليس حسنات لكن الأخرى النافعة... [٤٠ النساء]

﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا ﴾

أجراً.، وليس درجة... أجراً عظيماً.وهذا هو الفـارق بـين هـذه وهذه.وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



نبذة عن المؤلف فضيلة الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

تاريخ ومحل الميلاد: ١٨/١٠/١٩٤٨م، الجميزة
مركز السنطة – محافظة الغربية – جمهورية مصر العربية

المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٠م.

العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية.

النشاط: ١ – يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

٢ – يتجول فى جميع الجمهورية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣ – بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام.

٤ – والتسجيلات الصوتية والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة.

٥– وأيضا من خلال موقعه على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) :
WWW.Fawzyabuzeid.com

جارى تحديث الموقع وترجمته وستنشر به الكتب تباعا والتسجيلات واللقاءات.

دعوته: ١– يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد، والأحساد، والأثرة، والأنانية، وغيرها من أمراض النفس.

٢– يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية؛ بعد تهذيب نفوسهم، وتصفية قلوبهم.

٣– يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن الكريم وعمل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام.

هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وكذلك بترسيخ المبادئ القرآنية



للحصول على مؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

أولا : بالقاهرة والجيزة

إسم المكتبة	الهاتف	العنوان
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شـــارع جوهر القائد - أمام جامعة الأزهر- القاهرة
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام التجارى – ميدان الحسين، القاهرة
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ ش الشيخ ريحان عابدين
دار الأحمدي للنشر	٢٥٧٤٠٥٠٣	٤٠ ش طلعت حرب- أمام سينما مترو، القاهرة
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ ش الشيخ صالح الجعفري بالدراسة ، القاهرة
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة – بجوار مسجد السيدة نفسية بالقاهرة
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف – القاهرة
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شـــــارع التحرير- ميدان الدقي، الجيزة
مكتبة عالم الفكر	-----------	أمام مسجد الإمام الحسين
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
مكتبة مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠- طريق النصر- مدينة نصر - القاهرة
مكتبة النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ ش عدلى – جوار السنترال
مكتبة هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش د/حجازي، الصحفيين – القاهرة ، خلف نادي الترسانة

المكتبة الفاطمية	--------------	ميدان جامع الأزهر- أمام الباب العباسي ، القاهرة
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد- أمام جامعة الأزهر، القاهرة
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهـــر
مكتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ شارع الدكتور.أحمد أمين - مصر الجديدة
ثانيا	بالأقاليم	
مكتبة عبادة	-٠٥٥- ٢٣٢٦٠٢٠	الزقـــازيق – شارع نور الدين
كشك عبدالحافظ محمد عبدالحافظ	--------------	الزقـــازيق – بجوار مدرسة عبدالعزيز على
مكتبة تاج	-٠٤٠- ٣٣٣٤٦٥١	طنطا - مكتبة تاج - بجوارمسجد السيد أحمد البدوي
مكتبة الإيمان		فايد- حاج أحمد غزالى بربرى
كشك الصحافة		الســـويس- شارع الشهداء- حـــاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	-٠٩٣- ٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- ش احمد عرابي بجوار مركز التكوين المهنى
كشك أبو الحسن محمود	--------------	قنا - أمام مســـجد ســـيدي عبدالرحيم القناوى
دار الأحمدي للنشر	-٠٦٨- ٢٣٤٧٨٠٢	المنيا- أبراج الجامعة - أمام الشبان المسلمين

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع و دار الشعب والدور القومية للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والأسكندرية والأقاليم

لملاحظاتكم القيمة

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....